النّبوّات

رسائل في العقيدة
(٢)

النُّبُوَّات

للإمام العلامة شيخ الإسلام علم الأعلام
تقي الدين أبي العباس أحمد بن تيمية
المتوفي سنة ٧٢٨ هجرية
بتعليقاتٍ للشيخ الفقي رحمهُ الله

حَقَّقَهُ وعلَّقَ عَلَيْهِ وضبطه
أبُو عبدِ الله مُحَمَّد بن العفِيفي

○ فصلٌ ○

الحجة على من أنكر قدرته وحكمته

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الحجة على من أنكر قدرته ، وعلى من أنكر حكمته ، فأول ما أنزل الله تعالى : ﴿ اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ . اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ . الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ . عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾ [العلق: ١ ـ ٥]، فذكر أنه الأكرم، وهو أبلغ من الكريم ، وهو المحْسن غاية الإحسان.

الأكرم أبلغ من الكريم

○ومن كرمه: أنه علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم؛ فعلمه العلوم بقلبه، والتعبير عنها بلسانه ، وأن يكتب ذلك بالقلم.

فذكْرُ التعليم بالقلم يتناول علم العبارة والنطق، وعبارة المعاني والعلوم؛ فإذا كان قد علمه هذه العلوم، فكيف يمتنع عليه أن يعلِّمه ما يأمره به، وما يخبره به.

وبيان ذلك أنه قال في أول السورة : ﴿ اقْرأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴾، ومعلومٌ أن من رأى العلقة قطعة من دم، فقيل له: هذه العلقة يصير منها إنسان يعلم كذا وكذا، لكان يتعجب من هذا غاية التعجب، وينكره أعظم الإنكار. ومعلومٌ أن نقل الإنسان من كونه علقة إلى أن يصير إنسانًا عالمًا قادرًا كاتبًا، أعظم من جعل مثل هذا الإنسان يعلم ما أمر الله به ، وما أخبر به؛ فمن قدر على أن ينقله من الصغر إلى أن يجعله عالمًا قارئًا كاتبًا، كان أن يقدر على جعله عالمًا بما أُمر به، وبما أُخبر به أولى وأحرى. وهذا كما استُدِلَّ على قدرته على إعادة الخلق، بقدرته على الابتداء.

تعجب الكفار من التوحيد والنبوة والمعاد

وقد أخبر الله تعالى عن الكفار أنهم تعجبوا من التوحيد، ومن النبوة، ومن المعاد؛ فقال تعالى: ﴿ صَ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ . بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ . كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوْا وَلاتَ حِينَ مَنَاصٍ . وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم

مُنذِرٌ مِّنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ . أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ١ ـ ٥]؛ فذكر تعجبهم من التوحيد، والنبوة، وقال تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، وهذا أيضًا تعجبٌ من أن أُرسل إليهم رجلٌ منهم، وقوله: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ النَّاسَ﴾: دلَّ على أنه منذرٌ لجنس الناس، وأنه من جنس الناس لا يختصُّ به العرب دون غيرهم، وإن كان أول ما أرسل إليهم، وبلسانهم.

وقال تعالى: ﴿قٓ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ . بَلْ عَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ . أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَلِكَ رَجْعٌ بَعِيدٌ﴾ [ق: ١ ـ ٣]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥]، وقال تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ . وَإِذَا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُونَ . وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات: ١٢ ـ ١٤]؛ فالرسول كان يَعْجبُ من تكذيبهم لما جاءهم به من آيات الأنبياء، وهم يعجبون مما جاء به لكونه خارجًا عما اعتادوه من النظائر، فإنهم لم يعرفوا قبل مجيئه؛ لا توحيدًا، ولا نبوة، ولا معادًا؛ قال تعالى: ﴿قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِن شَهِدُوا فَلا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٠].

حكمته تعالى في إرسال بشر

○**وأما حكمته في إرسال بشر**: فقد ذكر أنه من جنسهم، وأنه بلسانهم؛ فهو أتم في الحكمة والرحمة، وذكر أنهم لا يمكنهم الأخذ عن الملَك، وأنه لو نزل ملكًا، لكان يجعله في صورة بشر، ليأخذوا عنه.

ولهذا لم يكن البشر يرون الملائكة إلا في صورة الآدميين؛ **كما كان**

جبريلُ يأتي في صورةِ دحيةَ الكلْبي(١)، وكما أتى مرة في صورة أعرابي(٢)،

---

(١) **صحيح :**
وأخرجه أحـمد في «مسنده» (٢/ ١٠٧) ، وابن سعـد في «الطبقات» (٤/ ١٨٩) من حديث ابن عمـر رضي الله عنهما . وإسناده صحيح، وله شـاهدٌ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفـوعًا، أخرجـه مسلم في «صحـيحه» (١٦٧) بـلفظ : «عُرض عليَّ الأنبيـاء فإذا موسى . . . إلى أن قال : ورأيت جـبريل عليه السلام ، فـإذا أقرب من رأيت به شبهًا دحية» . وأخرجه أحمد أيضًا في «مسنده» (٣/ ٣٣٤).
وله شاهدٌ آخر؛ من حديث عائشة ﷺ، أخرجه أحمد في «مسنده» (٦/ ١٤٢) بلفظ «وكان دحية الكلبي تشبه لحيته وسنه ووجهه جبريل» .
ودحيـة الكلبي هو دحـية بن خليـفة بن فـروة بن فضـالة ، صحابـيٌ مشهـورٌ. انظر «الإصابة» (٢/ ٣٢١، ٣٢٢) ترجمة دحية الكلبي ، وقـد ذكر الحافظ الحديث، ونسبه «للنسائي» فـقال : «وروي النسائي **بإسنادِ صحيح** عن يحيى بن يـعمر عن ابن عـمر رضي الله عنهما ، وذكره .
وذكر له شاهـدًا آخر؛ رواه «الطبراني» من حديث عـفير بن معدان عن قـتادة عن أنس مرفوعًا.
● **قلت** : أخرجـه في «الكبيـر» (برقم ٧٥٨) ، وفي سنده «عفـير بن مـعدان» ، وهو ضعيف.

(٢) **صحيح :**
وهو ثابتٌ في «الصحـيحين» وغيرهمـا من حديث أبي هريرة ﷺ قال : «كان رسول الله ﷺ يومًا بارزًا للناس ، فأتاه رجل ، فقال : يا رسول الله ما الإيمان ؟ . . . ـ إلى أن قال ﷺ ـ : «هذا جبريل ، **جاء ليعلم الناس دينهم**» . رواه البخاري (رقم: ٥٠)، ومسلم (رقم١٠) وابن ماجه (٦٤، ٤٠٤٤) وابن خزيمة (٢٢٤٤) وغيرهم .
● **قلتُ**: وهذه مـسألة من مـسائل العـقيـدة . ألا وهي أن الملائكة تتشكل فـي صورة البشر. وأن الله يرسـلهم على هيئة البشـر، وهذا له أمثلة كثيـرة في كتاب الله ، وفي سنة النبيِّ ﷺ، وإليك بعضًا منها :
● قال الله سبحانه وتعالى عـن مريم: ﴿ **فَاتَّخَذَتْ من دُونهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا** ﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿ **قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا** =

. . . .

= زَكِيًّا﴾ [مريم: ١٧ ـ ١٩] .

ـ وقول الله سبحانه لما دخلت الملائكة على لـوط وعلى إبراهيم عليهما السلام: ﴿هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ سَلامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ . فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ . فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلا تَأْكُلُونَ ﴾ [الذاريات: ٢٤ ـ ٢٧].

● وكما ـ سبق ـ جاء جبـريل في صورة أعرابي يسأل رسول الله ﷺ عن أركان الإيمان والإسلام وفي الحديث قال رسول الله ﷺ : «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». رواه البخاري (٤٧٧٧) ، ومسلم (٩) . وأخرج البخـاري (حديث : ٢) من حديث عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ فقـال: «يا رسول الله كيف يأتيك الوحي، فقال رسول الله ﷺ : «أحيانًا يأتيني مـثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيُفصم عني؛ وقـد وعيت عنه ما قال ، وأحيانًا يتمثل لي الملك رجـلاً فيكلمني فأعي ما يقول» .

● وسبق أنه أتى في صورة دحية الكلبي؛ كما عند البخاري (٣٦٣٤) ومسلم (حديث ٢٤٥١) من طريق أبي عثمان عن سلمان، وفيـه (.. قال: .. وأنبئت أنّ جبريل عليه السلام أتى نبي الله ﷺ وعنده أم سلمة . قـال فجعل يتحدث ثم قـام. فقال نبي الله ﷺ لأم سلمة : «من هذا؟» أو كما قال . قالت : هذا دحـية. قال فقالت أم سلمة : ايمُ الله ! ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة نبي الله ﷺ يخبر خبرنا . أو كما قال. قال فقلتُ لأبي عثمان . ممن سمعت هذا ؟ قال: من أسامة بن زيد).

● حديث الأكمه والأبـرص والأعمى جاءهم الملك على هيئة رجل مسكين عـابر سبيل . . . ليبتليهم.

● حديث ملـك الموت الذي جاء موسى فـفقـأ موسى عـينه . عند البخـاري وحديث ٣٤٠٧) ومسلم (صـ٧٤٣).

● وقـول الله تبارك وتعـالـى : ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ . إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُودَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَاحْكُم بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَىٰ سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴾ [٢٠ ـ ٢٢] .

● وحديث الرجل الذي زار أخًا له فـي الله فأرصد الله عـلى مـدرجته ملكًا أخرجه =

ولما جاءوا إبراهيم، وامرأته حاضرة، كانوا في صورة بشر، وبشروها بإسحاق، ومن وراء إسحاق يعقوب؛ قال تعالى: ﴿ **وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ إِلَّا أَن قَالُوا أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا . قُل لَّوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَّسُولًا** ﴾ [الإسراء: ٩٤، ٩٥] .

وأما قدرته على تعريف الخلق بأنه نبيه، فكما تقدم؛ فإنه إذا كان قادرًا

= مسلم (٢٥٦٧) من حديث أبي هريرة .

● وحديث قاتل التسعة والتسعين نفسًا لما مات واحتكم فيه ملكان ملك الرحمة وملك العذاب جاء ملك ثالث على هيئة رجل يحكم بينهم . وفيه : «**فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم**» أخرجه البخاري (٣٤٧٠) ومسلم (٢٧٦٦) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا .

● وفي معركة بدر رأى الصحابة أناسًا يلبسون ثيابًا بيضًا [1] يقاتلون معهم في المعركة . وأخرج البخاري (حديث ٣٩٩٥) من حديث ابن عباس أن النبي ﷺ قال يوم بدر : «**هذا جبريل آخذٌ برأس فرسه عليه أداة الحرب** » .

●وأخرج أيضًا (حديث ٣٩٩٢) من حديث معان بن رفاعة بن رافع الزرقي عن أبيه وكان أبوه من أهل بدر قال : (جاء جبريل إلى النبي ﷺ فقال : ما تعدون أهل بدر فيكم قال : من أفضل المسلمين أو كلمة نحوها قال : وكذلك من شهد بدرًا من الملائكة) .

● وقول الله تعالى : ﴿ **إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ** ﴾ [الأنفال: ١٢]

---

(١) فهم يلبسون البياض كما في الصحيحين (خ ٥/ ١٢٤ ومسلم ٧/ ٧٢) عن سعد بن أبي وقاص قال: «رأيت بشمال رسول الله ﷺ رجلين عليهما ثياب بيض يوم أحد ما رأيتهما قبل ولا بعد».

● وكما ورد عند مسلم في حديث جبريل الطويل من حديث عمر بن الخطاب، وذلك من طريق يحيى ابن يعمر وفيه: أن عمر بن الخطاب قال: «بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذا طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر. . .).

●**قال الحافظ في («الفتح»** ١/ ٢٩ تحت حديث: ٢): «وفيه دليل على أن الملك يتشكل بشكل البشر. . ظهر بتلك الصورة تأنيسًا لمن يخاطبه».

على أن يهدي الإنسان الذي كان علقة ومضغة إلى أنواع العلوم بأنواع من الطرق إنعامًا عليه، وفي ذلك من بيان قدرته، وحكمته، ورحمته، ما فيه، فكيف لا يقدر أن يعرفه صدق من أرسله إليه. وهذا أعظم النعم عليه، والإحسان إليه ، والتعريف بهذا دون تعريف الإنسان ما عرفه به من أنواع العلوم؛ فإنه إذا كان هداهم إلى أن يعلم بعضهم صدق رسول مَنْ أرسله إليه بشر مثله، بعلامات يأتي بها الرسول، وإن كان لم تتقدم مواطأة وموافقة بين المرسل والمرسل إليهم .

فمن هدى عباده إلى أن يرسلوا رسولاً رسولاً بعلامة، ويعلم المرسل إليه أنها علامة تدلّ على صدقه قطعًا، فكيف لا يقدر هو أن يرسل رسولاً، ويجعل معه علامات يعرف بها عباده أنه قد أرسله. وهذا كمن جعل غيره قديرًا، عليمًا، حكيمًا، فهو أولى أن يكون قديرًا، عليمًا، حكيمًا، فمن جعل الناس يعلمون صدق رسول يُرسله بعض خلقه بعلامات يعلم بها المرسل صدق رسوله، فمن هدى العباد إلى هذا، فهو أقدر على أن يعلمهم صدق رسوله بعلامات يعرفون بها صدقه، وإن لم يكن قبل ذلك قد تقدم بينهم وبينه مواطأة .

للناس طرقٌ في دلالة المعجزة على صدق الرسول

○ **وللناس طرقٌ في دلالة المعجزة على صدق الرسول:** طريقُ الحكمة، وطريق القدرة، وطريق العلم والضرورة ، وطريق سنته وعادته التي بها يعرف أيضًا ما يفعله؛ وهو من جنس المواطأة ، وطريق العدل، وطريق الرحمة، وكلُّها طرق صحيحة.

وكلّما كان الناس إلى الشيء أحوج، كان الربُّ به أجود ، وكذلك كلّما كانوا إلى بعض العلم أحوج ، كان به أجود؛ فإنه سبحانه الأكرم: ﴿**الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ. عَلَّمَ الإنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾ ، وهو: ﴿**الَّذي خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَالَّذي قَدَّرَ فَهَدَىٰ**﴾ ، وهو: ﴿**الَّذي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ**﴾ ، فكيف لا يقدرُ أن

يهدي عباده إلى أن يعلموا أن هذا رسولَهُ، وأن ما جاء به من الآيات أنه من الله، وهي شهادةٌ من الله له بصدقه، وكيف تقتضي حكمته أن يُسوِّي بين الصادق والكاذب؛ فيؤيدُ الكاذب من آيات الصدق، بمثل ما يؤيد به الصادق؛ حتى لا يعرف هذا من هذا، وأن يرسل رسولاً يأمر الخلق بالإيمان به وطاعته، ولا يجعل لهم طريقًا إلى معرفة صدقه.

وهذا كتكليفهم بما لا يقدرون عليه، وما لا يقدرون على أن يعلموه. وهذا ممتنع في صفةِ الرب، وهو منزه عنه سبحانه؛ فإنه لا يكلِّف نفسًا إلا وسعها.

○ وقد علم من سنته وعادته: أنه لا يؤيدُ الكذَّاب بمثل ما أيَّدَ به الصادقَ قط، بل لا بُد أن يفضحه ولا ينصره، بل لا بد أن يهلكه. وإذا نصر ملكًا ظالمًا مسلّطًا، فهو لم يدع النبوة، ولا كذب عليه، بل هو ظالم سلطه على ظالم؛ كما قال تعالى: ﴿ **وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا** ﴾ [الأنعام: ١٢٩]، بخلاف من قال: إنه أرسله؛ فهذا لا يؤيده تأييدًا مستمرًا إلا مع الصدق، لكن قد يمهله مدة، ثم يهلكه؛ كما فعل بمن كذَّب الرسل: ﴿ **إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا . وَأَكِيدُ كَيْدًا . فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا** ﴾ [الطارق: ١٥ ـ١٧].

لفظُ النبيِّ كلفظ الرسول

○ ولفظُ النبيِّ كلفظ الرسول؛ هو في الأصل إنما قيل مضافًا إلى الله؛ فيقال: رسول الله، ثم عرف باللام؛ فكانت اللام تعاقب الإضافة؛ كقوله: ﴿ **أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً . فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ** ﴾ [المزمل: ١٥، ١٦]، وقوله: ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا** ﴾ [النور: ٦٣].

معنى الرسول والنبي في اللغة

وكذلك اسمُ النبيِّ؛ يقال: نبي الله؛ كما قال: ﴿ **فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [البقرة: ٩١]، وقيل لهم: ﴿ **لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا** ﴾ [النور: ٦٣]؛ فتقولون: يا محمد، بل قولوا: يا نبي

الله، يا رسول الله.

ورسول: فعول بمعنى مفعول؛ أي: مُرْسَل؛ فرسولُ الله: الذي أرسله الله؛ فكذلك: نبي الله هو بمعنى: مفعول؛ أي: منبأ الله؛ الذي نبأه الله، وهذا أجود من أن يقال: إنه بمعنى فاعل؛ أي: منبىء؛ فإنه إذا نبأه الله فهو نبي الله؛ سواء أنبأ بذلك غيره، أو لم ينبئه؛ فالذي صار به النبيُّ نبيًا: أن ينبئه الله.

وهذا مما يبين ما امتاز به عن غيره؛ فإنه إذا كان الذي ينبئه الله؛ كما أن الرسول هو الذي يُرسله الله؛ فما نبأ الله حق، وصدق، ليس فيه كذب؛ لا خطأ، ولا عمدًا؛ وما يوحيه الشيطان: هو من إيحائه، ليس من إنباء الله؛ فالذي اصطفاه الله لإنبائه، وجعله نبيًا له؛ كالذي اصطفاه لرسالته، وجعله رسولاً له.

فكما أن رسول الله لا يكون رسولاً لغيره، فلا يقبل أمر غير الله، فكذلك نبيُّ الله لا يكون نبيًا لغير الله، فلا يقبل أنباء أحد إلا أنباء الله.

وإذا أخبر بما أنبأ الله، وجب الإيمان به، فإنه صادقٌ مصدوق، ليس في شيءٍ مما أنبأه الله به شيء من وحي الشيطان. وهذا بخلاف غير النبيٍّ؛ فإنه وإن كان قد يُلهم، ويُحدث، ويوحى إليه أشياء من الله، ويكون حقًا، فقد يلقي إليه الشيطان أشياء، ويشتبه هذا بهذا؛ فإنه ليس نبيًا لله، كما أن الذي يأمر بطاعة الله غير الرسول، وإن كان أكثر ما يأمر به هو طاعة الله، فقد يغلط ويأمر بغير طاعة الله، بخلاف الرسول المبلغ عن الله؛ فإنه لا يأمر إلا بطاعة الله ؛قال تعالى: ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٦٤] . فنبيُّ الله: هو الذي ينبئه الله، لا غيره. ولهذا أوجب الله الإيمان بما أوتيه النبيون؛ فقال تعالى: ﴿ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

أنواع الوحي

وليس كلُّ من أوحى إليه الوحي العام يكون نبيًا؛ فإنه قد يوحي إلى غير الناس؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨]. وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢]،

وقال تعالى عن يوسف ـ وهو صغير ـ: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي﴾ [المائدة: ١١١]. وقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا﴾ [الشورى: ٥١]، يتناولُ وحي الأنبياء، وغيرهم؛ كالمحدثين الملهمين؛ كما في «الصحيحين» [(١)] عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «قَدْ كَانَ فِي الأمَمِ قبلكم مُحَدَّثونَ فإن يَكُنْ في أمتي أحَدٌ فَعُمر منهُمْ».

● وقال عبادة بن الصامت [(٢)]: (رؤيا المؤمن كلامٌ يُكلِّم به الربُّ عبدَهُ في

---

(١) أخرجه البخاري في («الصحيح» برقم ٣٦٨٩) عن أبي هريرة ومسلم في («الصحيح» برقم ٢٣٩٨) عن عائشة.

● قال ابن وهب: تفسير «محدّثون»: ملهمون.

(٢) ● سندُهُ ضعيف؛

أخرجه الطبراني في «مسند الشاميين» ١٠٢٥) و(١٠٢٦) وابن أبي عاصم في «السنة»=

منامه).

فهؤلاء المحدثون الملهمون المخاطبون يُوحَى إليهم هذا الحديث الذي هو لهم خطابٌ، وإلهام، وليسوا بأنبياء معصومين مصدَّقين، في كل ما يقعُ لهم؛ فإنه قد يوسوس لهم الشيطان بأشياء لا تكون من إيحاء الرب، بل من إيحاء الشيطان، وإنما يحصل الفرقان بما جاءت به الأنبياء؛ فهم الذين يُفرقون بين وحْي الرحمن ووحي الشيطان؛ فإن الشياطين أعداؤهم، وهم يوحون بخلاف وحي الأنبياء؛ قال تعالى: ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ**﴾ [الأنعام: ١١٢]، وقال تعالى: ﴿**وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ**

= (٤٨٧) وأبو زكريا الأنصاري ت ٥١١هـ في (ترجمة الطبراني ٣٣٨ بتحقيق السلفي) من طريق: إسماعيل بن عياش والوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن حميد بن عبد الله المزني عن عبادة بن الصامت أن رجلاً سأله عن هذه الآية: ﴿**لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ [يونس: ٦٤] فقال عبادة: سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: («هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن لنفسه أو يرى له». وهو من كلامٍ يكلِّم به ربك عبده في المنام).

● **قلت**: وهذا إسنادٌ ضعيف؛ فحميد لم يسمع من عبادة؛ كما قال العلامة أحمد شاكر في (التعليق على الطبري ١٥/ ١٣٠، ١٤٠).

○ وله طريقٌ أخرى عن عبادة؛ عند ابن أبي عاصم في «السنة» (٤٨٦) من طريق جنيد بن ميمون عن حمزة بن الزبير عن عبادة مرفوعًا به. وفيه «رؤيا المؤمن من كلام....».

وعزاه الحافظ في «الفتح» (١٢/ ٣٧٠) (كتاب التعبير) للترمذي في «نوادر الأصول» من طريق جنيد به.

○ **قلت**: وسندُهُ ضعيفٌ كذلك.

قال الحافظ:

«وهو واهٍ؛ وفي سنده جنيد».

﴿إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١] .

الذين غلطوا في النبوة

وقد غلط في النبوة طوائف غير الذين كذَّبوا بها؛ إما ظاهرًا وباطنًا، وإما باطنًا؛ كالمنافق المحض، بل الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أُنزل إلى الرسول، وإلى من قبله، وهم خلقٌ كثيرٌ فيهم شُعبة نفاق، وإن لم يكونوا مكذِّبين للرسول من كلِّ وجه، بل قد يعظمونه بقلوبهم، ويعتقدون وجوب طاعته في أمور دون أمور.

الفلاسفة والباطنية والملاحدة من أبعد الطوائف عن النبوة

وأبعد هؤلاء عن النبوة: المتفلسفة، والباطنية، والملاحدة؛ فإنَّ هؤلاء لم يعرفوا النبوة إلا من جهة القدر المشترك بين بني آدم؛ وهو المنام، وليس في كلام أرسطو وأتباعه كلامٌ في النبوة ، والفارابي جعلها من جنس المنامات فقط، ولهذا يُفضل هو وأمثاله الفيلسوف على النبيِّ.

ابن سينا جعل للنبي ثلاث خصائص

○ وابنُ سينا عظَّمها أكثر من ذلك؛ فجعل للنبيِّ ثلاث خصائص:

● **أحدها** : أن ينال العلم بلا تعلم، ويسميها القوة القدسية؛ وهي القوة الحدسية عنده.

● **والثاني**: أن يتخيل في نفسه ما يعلمه؛ فيرى في نفسه صورًا نورانية، ويسمع في نفسه أصواتًا؛ كما يرى النائم في نومه صورًا تكلِّمه، ويسمع كلامهم، وذلك موجودٌ في نفسه لا في الخارج. فهكذا عند هؤلاء جميع ما يختص به النبيُّ مما يراه ويسمعه دون الحاضرين، إنما يراه في نفسه، ويسمعه في نفسه، وكذلك المرور عندهم.

● **والثالث**: أن يكون له قوة يتصرف بها في هيولى العالم، بإحداث أمور غريبة؛ وهي عندهم آيات الأنبياء، وعندهم ليس في العالم حادثٌ إلا عن قوة نفسانية ، أو ملكية، أو طبعية؛ كالنفس الفلكية، والإنسانية، والأشكال الفلكية، والطبائع التي للعناصر الأربعة، والمولدات لا يُقرون بأن

فوق الفلك نفسه شيءٌ يفعل، ولا يحدث شيئًا فلا يتكلّم، ولا يتحرك بوجهٍ من الوجوه؛ لا ملك ولا غير ملك، فضلاً عن رب العالم. والعقول التي يثبتونها عندهم ليس فيها تحولٌ من حالٍ إلى حال البتة؛ لا بإرادة، ولا قول، ولا عمل ، ولا غير ذلك، وكذلك المبدأ الأول.

وهؤلاء عندهم جميع ما يحصل في نفوس الأنبياء، إنما هو من فيض العقل الفعال.

ما يحصل في نفوس الأنبياء عن الفلاسفة هو العقل الفعال

ثم إنهم لما سمعوا كلام الأنبياء، أرادوا الجمع بينه، وبين أقوالهم؛ فصاروا يأخذون ألفاظ الأنبياء، فيضعونها على معانيهم، ويسمون تلك المعاني بتلك الألفاظ المنقولة عن الأنبياء، ثم يتكلّمون ويصفون الكتب بتلك الألفاظ المأخوذة عن الأنبياء؛ فيظن من لم يعرف مراد الأنبياء ومرادهم أنهم عنوا بها ما عنته الأنبياء، وضلَّ بذلك طوائف، وهذا موجودٌ في كلامِ ابن سينا ، ومن أخذ عنه.

وقوع الغزالي في ما وقع فيه الفلاسفة وإن حذّر من كلامهم

وقد ذكر الغزالي ذلك عنهم تعريفًا بمذهبهم، وربما حذَّر عنه، ووقع في كلامه طائفة من هذا في «الكتب المضنون بها على غير أهلها» ، وفي غير ذلك؛ حتى في كتابه «الإحياء»؛ يقول: الملك، والملكوت، والجبروت، ومقصوده: الجسم، والنفس، والعقل الذي أثبتته الفلاسفة، ويذكر اللوح المحفوظ؛ ومراده به: النفس الفلكية ، إلى غير ذلك، مما قد بُسط في غير هذا الموضع.

كتابا «التهافت» و «المضنون به» للغزالي

وهو في «التهافت»، وغيره: يكفرهم، وفي «المضنون به»: يذكر ما هو حقيقة مذهبهم؛ حتى يذكر في «النبوات» عين ما قالوه، وكذلك في الإلهيات.

وهذه الصفاتُ الثلاث التي جعلوها خاصة الأنبياء؛ توجد لعموم

الناس، بل توجد لكثير من الكُفَّار؛ من المشركين، وأهل الكتاب؛ فإنه قد يكون لأحدهم من العلم والعبادة ما يتميز به على غيره، من الكفار، ويحصل له بذلك حدَسٌ وفراسة يكون أفضل من غيره.

وأما التخييل في نفسه: فهذا حاصل لجميع الناس الذين يرون في مناماتهم ما يرون، لكن هو يقول: إن خاصة النبيّ أن يحصل له في اليقظة ما حصل لغيره في المنام.

وهذا موجودٌ لكثيرٍ من الناس؛ قد يحصل له في اليقظة ما يحصل لغيره في المنام.

ويكفيك أنهم جعلوا مثل هذا يحصل للممرور، وللساحر.

ولكن قالوا: الساحر قصده فاسد، والممرور ناقص العقل، فجعلوا ما يحصل للأنبياء، من جنس ما يحصل للمجانين والسحرة، وهذا قولُ الكفار في الأنبياء؛ كما قال تعالى: ﴿**كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ**﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣].

الفرق بين النبي والساحر عند الفلاسفة

وهؤلاء عندهم ما يحصل للنبيِّ من المكاشفة، والخطاب هو من جنس ما يحصل للساحر والمجنون، لكن الفرق بينه وبين الساحر: أنه يأمر بالخير، وذاك يأمر بالشر، والمجنون ما له عقل.

وهذا القدر الذي فرقوا به موجودٌ في عامة الناس، فلم يكن عندهم للأنبياء مزية على السحرة والمجانين، إلا ما يشاركهم فيه عموم المؤمنين.

القوة الفعالة عند الفلاسفة تحصل للساحر

وكذلك ما أثبتوه من القوة الفعالة المتصرفة: هي عندهم تحصل للساحر، وغيره؛ وذلك أنهم لا يعرفون الجن والشياطين، وقد أخبروا بأمور عجيبة في العالم، فأحالوا ذلك على قوة نفس الإنسان، فما يأتي به الأنبياء من الآيات، والسحرة، والكهان، وما يخبر به المصروع، والممرور، هو عندهم

كله من قوة نفس الإنسان؛ فالخبر بالغيب: هو لاتصالها بالنفس الفلكية ، ويسمونها اللوح المحفوظ. والتصرُّف: هو بالقوة النفسانية. وهذا حذق ابن سينا وتصرفه، لما أخبر بأمور في العالم غريبة، لم يمكنه التكذيب بها؛ فأراد إخراجها على أصولهم، وصرح بذلك في إشاراته، وقال: (هذه الأمور لم نثبتها ابتداءً، بل لما تحققنا أن في العالم أمورًا من هذا الجنس، أردنا أن نبين أسبابها).

أرسطو وأتباعه لم يعرفوا الأنبياء وآياتهم ولكن السحر موجودٌ فيهم

وأما أرسطو وأتباعه: فلم يعرفوا هذه الأمور الغريبة، ولم يتكلَّموا عليها ولا على آيات الأنبياء، ولكن كان السحر موجودًا فيهم. وهؤلاء من أبعد الأمم عن العلوم الكلية، والإلهية؛ فإن حدوث هذه الغرائب من الجن، واقترانهم بالسحرة، والكهان، مما قد عرفه عامة الأمم، وذكروه في كتبهم غير العرب؛ مثل الهند، والترك، وغيرهم؛ من المشركين، وعُبَّاد الأصنام، وأصحاب الطلاسم والعزائم، وعرفوا أن كثيرًا من هذه الخوارق هو من الجن والشياطين. وهؤلاء الجهال لم يعرفوا ذلك، ولهذا كان من أصلهم أن النبوة مكتسبة، وكان السهروردي المقتول يطلب أن يكون نبيًّا، وكذلك ابن سبعين وغيره.

النبوة عند الفلاسفة مكتسبة وصوفيتهم يطلبونها أن تكون فيهم

وقال ابن سبعين: لقد تحجر ابن آمنة واسعًا بقوله: «لا نبي بعدي».

النبوة الحق

والنبوة الحق هي: إنباء الله لعبده، ونبي الله: مَنْ كان الله هو الذي ينبئه، ووحيه من الله، وهؤلاء وحيهم من الشياطين؛ فهم من جنس المتنبئين الكذابين؛ كمسيلمة الكذاب، وأمثاله، بل أولئك أحذق منهم؛ فإنهم تأتيهم أرواح، فتكلِّمهم وتخبرهم بأمور غائبة، وهي موجودةٌ في الخارج لا في أنفسهم، وهؤلاء لا يعرفون مثل هذا.

دخولُ الجني في الإنسي

ووجودُ الجنِّ والشياطين في الخارج، وسماعُ كلامهم، أكثر من أن يمكن سَطْر عُشْرِه هنا، وكذلك صرعهم للإنس، وتكلُّمهم على ألسنتهم.

من الفروق بين النبي والساحر

والفرقُ بين النبيِّ والساحر أعظم من الفرق بين الليل والنهار.

النبيُّ معه ملك كريم والساحر معه شيطان رجيم

والنبيُّ يأتيه ملك كريم من عند الله ينبئه الله، والساحر والكاهن إنما معه شيطان يأمره ويخبره؛ قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٢، ٢٢٣] . فلا الخبر كالخبر ، ولا الأمر كالأمر، ولا مُخبر هذا كمخبر هذا، ولا آمر هذا كآمر هذا؛ كما أنه ليس هذا مثل هذا؛ ولهذا قال تعالى لما ذكر الذي جاء بالقرآن إلى مُحمَّد، وأنه ملَكٌ منفصل، ليس خيالاً في نفسه، كما يقولُه هؤلاء؛ قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ . فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ . لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ . وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ١٩-٢٩]؛ فالقرآنُ قول رسولٍ أرسله الله، لم يرسله الشيطان؛ وهو ملَك كريم، ذو قوة عند ذي العرش مكين، مطاع ثم أمين؛ فهو مطاع عند ذي العرش في الملأ الأعلى.

والشياطين لا يطاعون في السموات، بل ولا يصعدون إليها، وإبليس من حين أهبط منها لم يصعد إليها .

شيخ الإسلام يرجح كون جنة آدم أنها جنة التكليف وليست في السماء

ولهذا كان أصحُّ القولين: أن جنة آدم جنة التكليف، لم تكن في السماء[1]؛ فإن إبليس دخل إلى جنة التكليف؛ جنة آدم بعد إهباطه من

(١) والذي عليه الجمهور من السلف أن الجنة التي أسكنها آدم هي جنة الخلد التي هي دار الثواب، وقد حكى الخلاف بالتفصيل العلامة المحقق ابن القيم في «حادي الأرواح» (ص ٢٥ وما بعدها) ط: دار الحديث، وكذا الحافظ ابن كثير في كتابه «التاريخ» (١/ ٦٩ ط دار الريان) .

● **قال الحافظ ابن كثير ـ رحمه الله تعالى ـ :**

« والجمهور على أنها هي التي في السماء ، وهي جنة المأوى ، لظاهر الآيات =

السماء، وقول الله له : ﴿فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ . وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [ص: ٧٧، ٧٨]، وقوله تعالى: ﴿اخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الأعراف: ١٨]، لكن كانت في مكان عال في الأرض من ناحية المشرق، ثم لما أكل من الشجرة، أهبط منها إلى الأرض؛ كما قد بسط هذا في غير هذا الموضع.

لفظ الجنة في القرآن

○ ولفظ الجنة في غير موضع من القرآن: يُراد به بستان في الأرض؛ كقوله: ﴿ إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ﴾ [القلم: ١٧]، وقوله : ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ﴾، إلى قوله: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا﴾ إلى قوله: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾ [الكهف: ٣٢ ـ ٣٥] .

وقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ﴾ الآية، إلى قوله: ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٥، ٢٦٦] الآية، وقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ: ١٥ ـ ١٦]، وقوله : ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن

= والأحاديث، كقوله تعالى: ﴿ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٤]، والألف واللام ليست للعموم، ولا لمعهود لفظي، وإنما تعود على معهود ذهني، وهو المستقر شرعًا من جنة المأوى ... إلخ كلامه ، ثم قال : وهذا فيه قوة جيدة ظاهرة في الدلالة على أنها جنة المأوى، وليست تخلو عن نظر» .

● **قلت:**

وقد وافق رأي الجمهور الإمام أبو محمد ابن حزم ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه : «الفصل في الملل والأهواء والنحل» (٤/ ١٤٣ دار الجيل) .

○ **قلت:** وفي («الفتاوي» ٤/ ٣٤٧ ـ ٣٤٩) رجّح شيخ الإسلام أنها جنة الخلد؛ ولعلّ الشيخ كان يرى ذلك ثم رأى أن المسألة تحتمل قولين للسلف فرأى أن الصحيح خلافه ما رجحه هناك، كما نبه على ذلك الدكتور الطويان (٢/ ٧٠٧).

جنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٢٥] الآية، وقوله : ﴿أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الشعراء: ١٤٦، ١٤٧] .

وجنة الجزاء والثواب التي في السماء لم يدخلها الشيطان بعد أن أهبط من السماء، وهو أهبط من السماء لما امتنع من السجود لآدم، قبل أن يدخل آدم إلى جنة التكليف التي وسوس له ، وأخرجه منها .

وجنة الجزاء مخلوقة أيضًا.

جنة الجزاء مخلوقة والرد على من أنكر ذلك

وقد أنكر بعض أهل البدع أن تكون مخلوقة، وقال: إن آدم لم يدخلها؛ لكونها لم تخلق بعد ، فأنكر ذلك عليه من أنكره من علماء السنة[1].

وقد ذكر أبو العالية [2]، وغيره من السلف: أن الشجرة التي نُهي عنها آدم كان لها غائط ، فلما أكل احتاج إلى الغائط ، وجنة الجزاء ليس فيها هذا. لكن الله أعلم بصحة هذا النقل. **وإنما المقصود**: أن بعض السلف كان يقول: إنها في السماء، وبعضهم يقول: إنها في مكان عال من الأرض.

ولفظ الجنة في القرآن: قد ذُكر فيما شاء الله من المواضع، وأريد به جنة في الأرض. وجنة الجزاء مخصوصة بمماتهم؛ كقوله: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]، فإن أرواح المؤمنين تدخل الجنة من حين الموت؛ كما في هذه الآية : ﴿ قِيلَ ادْخُلِ

---

(١) راجع «الفصل» لابن حزم (٤/ ١٤١) و «حادي الأرواح» لابن القيم (ص ٤٥ ط: الحديث) و «الطحاوية» (٢/ ٦١٤ وما بعدها ـ الرسالة) . وهذا الأخير فيه كلامٌ مهم؛ فراجعه غير مأمور.

(٢) سندُهُ ضعيف؛ وقد أخرجه الطبري في («التفسير» رقم ٧٤٥ شاكر) و («التاريخ» ١/ ٧٣) قال: حدثت عن عمار : قال : حدثنا عبد الله بن أبي جعفر عن أبيه عن الربيع قال : وحدثني أبو العالية؛ فذكره، وفيه «وكانت شجرة من أكل منها أحدث» .

الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ . بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧]، قال تعالى: ﴿وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِ مِنْ بَعْدِهِ مِن جُندٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ. إِن كَانَتْ إِلاَّ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾ [يس: ٢٨، ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقال تعالى لما ذكر أحوال الموتى عند الموت: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ. وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ . فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ .وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ .فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ . وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٨٨ ـ ٩٤] .

وهذا غير ما ذكره في أول السورة من انقسامهم يوم القيامة الكبرى، إلى سابقين، وأصحاب يمين، ومكذبين، فإنه سبحانه ذكر في أول السورة انقسامهم في القيامة الكبرى، وذكر في آخرها انقسامهم عند الموت؛ وهو القيامة الصغرى؛ كما قال المغيرة بن شعبة: **(من مات فقد قامت قيامته)**[1]،

(١) **أثر حسن :**

رواه الدولابي في «الكنى والأسماء» (٢/ ٨٩) قال : حدثنا محمد بن عبد الله بن يزيد قال : حدثنا سفيان عن مسعر عن أبي قيس عبد الرحمن بن ثروان عن زياد بن علاقة قال: سمعت المغيرة بن شعبة يقول: «يقولون القيامة القيامة، وإنما قيامة أحدكم موته».

قلت :

وعزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» (١١٨٣) للطبراني من حديث : زيادة بن علاقة عن المغيرة بن شعبة قال : فذكره.

قلت :

وعبد الرحمن بن ثروان أبو قيس الأودي، روي له البخاري، تكلم فيه أحمد فقال: «يخالف في أحاديث» [1] « لا يحتج به » [2] كما في «الميزان» (٢/ ٥٥٣) ولينه أبو =

(١) في «تهذيب التهذيب»: «يخالف في أحاديثه»، وكذا في «تهذيب الكمال» ولعله الصواب.

(٢) في «الضعفاء» لابن الجوزي (رقم: ١٨٥٨): «لا يحتج بحديثه».

وكذلك قال علقمة [(١)] وسعيد بن جبير عن ميت: **(أما هذا فقد قامت قيامته)**؛ أي: صار إلى الجنة أو النار. وإن كان بعد هذا تعاد الروح إلى البدن، ويقعد بقبره.

الإيمان بنعيم القبر وعذابه

ومقْصُودهم: أن الشخص لا يستبطىء الثواب والعقاب؛ فهو إذا مات يكون في الجنة أو في النار؛ قال تعالى عن قوم نوح: ﴿**مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**﴾ [نوح: ٢٥]، وقال عن آل فرعون: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ [غافر: ٤٦]. وبسط هذا

= حاتم، ولين العقيلي حديثًا له في «الضعفاء» (٢/ ٣٢٧)، ووثقه ابن معين والعجلي والدارقطني وابن نمير وابن حبان، وقال أحمد في رواية: «ليس به بأس» وكذا قال النسائي، ولخص الحافظ رأيه فيه فقال: «صدوق ربما خالف» كما في «التقريب».

● **قلت**: وأقل أحواله أن يكون حسن الحديث، والله أعلم.

(١) ● أما أثر علقمة:

فرواه الدولابي أيضًا في «الكنى» (٢/ ٨٩) بنفس الإسناد الذي مر آنفًا إلى أبي قيس عبد الرحمن ابن ثروان قال: «صلى علقمة على جنازة، فقال: أما هذا فقد قامت قيامته».

وعزاه السخاوي في «المقاصد الحسنة» إلى الطبراني أيضًا من رواية سفيان [(١)] عن أبي قيس ـ وهو ابن ثروان ـ قال: «شهدت جنازه فيها علقمة، فلما دفن قال: أما هذا فقه قامت قيامته».

○ **قلت**: وقد روي مرفوعًا من حديث أنس، ولا يصح، كما في «الفوائد المجموعة» (ص ٢٨٨) وزاد فيه: «وهو من قول الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى».

ولمزيد انظر «الضعيفة» لمحدث العصر ناصر الدين الألباني ـ رحمه الله تعالى ـ (١١٦٦) و«تبيض الصحيفة بأصول الأحاديث الضعيفة» (١/ ١٢٧) (٤٣) للشيخ الفاضل محمد عمرو بن عبد اللطيف، فقد أفاد وأجاد ـ حفظه الله تعالى ـ.

---

(١) وفي «المقاصد» تصحيف نبه إليه الشيخ الفاضل محمد عمرو حفظه الله في «تبييض الصحيفة» (١/١٢٨).

له موضعٌ آخر .

ملاحدة الصوفية وكلامهم في النبوة

○ **والمقصود هنا**؛ الكلام على النبوة؛ فهؤلاء المتفلسفة ما قدروا النبوة حق قدرها، وقد ضل بهم طوائف من المتصوفة المدعين للتحقيق وغيرهم ، وابن عربي، وابن سبعين ضلوا بهم؛ فإنهم اعتقدوا مذهبهم، وتصوفوا عليه، ولهذا يقول ابن عربي : إن الأولياء أفضل من الأنبياء ، وإن الأنبياء وسائر الأولياء يأخذون عن خاتم الأنبياء علم التوحيد، وأنه هو يأخذ من المعدن الذين يأخذ منه الملك؛ الذي يوحى به إلى الرسول؛ فإن المَلَك عنده هو الخيال الذي في النفس، وهو جبريل عندهم، وذلك الخيال تابعٌ للعقل؛ فالنبيُّ عندهم يأخذ عن هذا الخيال ما يسمعه من الصوت في نفسه.

ابنُ عربي يفضل الأولياء على الأنبياء

ولهذا يقولون: إن موسى كُلم من سماء عقله، والصوت الذي سمعه كان في نفسه لا في الخارج، ويدَّعي أحدهم أنه أفضل من موسى، وكما ادَّعى ابن عربي أنه أفضل من محمد؛ فإنه يأخذ عن العقل الذي يأخذ منه الخيال، والخيال عنده هو الملك الذي يأخذ منه النبي، فلهذا قال: فإنه يأخذ من المعدن الذي يأخذ منه المَلَك الذي يوحى به إلى النبي ، قال : فإن عرفت هذا فقد حصل لك العلم النافع. وبسط الكلام على هؤلاء له مواضع أخر .

الفرق بين الرسول والنبي

○ **والمقصود هنا**؛ الكلام على النبوة؛ فالنبيُّ هو الذي ينبئه **الله**، وهو ينبىء بما أنبأ **الله** به؛ فإن أُرسل مع ذلك إلى من خالف أمر **الله** ليبلغه رسالة من **الله** إليه؛ فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يُرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، فهو نبي ، وليس برسول؛ قال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّىٰ أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ**﴾ [الحج: ٥٢]، وقوله : ﴿**مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ**﴾، فذكر إرسالاً يعم النوعين، وقد خص أحدهما بأنه رسول فإن هذا هو الرسول المطلق الذي أمره بتبليغ رسالته إلى

من خالف الله؛ كنوح.

اول رسول بعث إلى المشركين

○ وقد ثبت في «الصحيح» [١]: **«أنه أول رسول بُعث إلى أهل الأرض»**، وقد كان قبله أنبياء كشيث[٢] وإدريس عليهما السلام[٣]، وقبلهما: **«آدم كان نبيًا مكلمًا»**[٤].

---

(١) وهو جزء في حديث الشفاعة الطويل.
أخرجه البخاري (٣٣٤٠) (٣٣٦١، ٤٧١٢) ومسلم (١٩٣).

(٢) لم أر حديثًا صحيحًا يخصُّ شيئًا، إلا أن أكثر المؤرخين ذكروا أنه نبيٌّ من ولد آدم عليه السلام. ومعهم المصنف رحمه الله؛ فالله أعلم.

(٣) وقد رجح الإمامُ القرطبي في («التفسير» ٣/ ٢٢) وقبله شيخه ابن العربي كما في («القرطبي» ٧/ ١٤٨). أن إدريس بعد نوح على الصحيح، فقال ابن العربي: «ومن قال إدريس كان قبله من المؤرخين؛ فقد وهم».

(٤) **ورد في حديث صحيح:**
أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (رقم ٢٩٩) والحاكم في «مستدركه» (٢/ ٢٦٢) وقال: «صحيح على شرط مسلم» وابن حبان كما في «الإحسان» (٦١٩٠) وفي «الموارد» (٢٠٨٥) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥١٧) والطبراني في «الكبير» (٧٥٤٥) وفي «الأوسط» (٤٠٥ ٢) وفي «مسند الشاميين» (٢٨٦١) وابن منده في «التوحيد» (٥٧١).

من حديث أبي توبة الربيع بن نافع الحلبي ثنا معاوية بن سلام حدثني زيد بن أسلم أنه سمع أبا سلام يقول: حدثني أبو أمامة ﷺ فذكره مرفوعًا.

● **قلت:**

وهذا إسنادٌ صحيح على رسم مسلم، كما قال الحاكم رحمه الله، وكذا ابن منده في كتاب «التوحيد» حيث قال: «هذا إسناد صحيح على رسم مسلم والجماعة إلا البخاري».

وكذا قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (١/ ٩٤) والهيثمي في «مجمع الزوائد» (١/ ١٩٦) وهو كما قالوا؛ وللحديث طرق أخرى عن أبي أمامة، لكنها كلها فيها مقال، وانظر «الرد على الجهمية» للدارمي (٣١٧) و «تاريخ الطبري» (١/ ٩٥): =

● قال ابن عباس [١] : «**كان بين آدم ونوح، عشرة قرون كلُّهم على الإسلام**». فأولئك الأنبياء يأتيهم وحي من الله بما يفعلونه ويأمرون به المؤمنين الذين عندهم؛ لكونهم مؤمنين بهم؛ كما يكون أهل الشريعة الواحدة يقبلون ما يبلغه العلماء عن الرسول.

= و«معجم الطبراني الكبير» (٧٨٧١) و «مسند إسحاق بن راهويه» كما في «المطالب العالية» (٤/ ٥١) وغيرهم . وقد جاء الحديث عن أبي ذر الغفاري ﷺ مرفوعًا، وكل طرقه ضعيفة جدًا لمن تفحص أسانيدها، والله تعالى أعلم . وقد تقدم تحرير بعضٍ من تلك الطرق (ص ١٢٧) .

(١) **أثر صحيح :**

وأخرجه الطبري في «تاريخه» (٤/ ٢٧٥ بتحقيق أحمد شاكر رحمه الله) والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٤٤٠) والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٤٦) وقال :

«هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه» قلت: ووافقه الذهبي .

من حديث :

همام بن يحيى [١] عن قتادة عن عكرمة عن ابن عباس ﷺ قال: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة من الحق، فاختلفوا، فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» قال : «وكذلك هي في قراءة عبد الله : «كان الناس أمة واحدة فاختلفوا»».

● **قلت:**

وقد وهم من عزاه للبخاري؛ كالحافظ ابن كثير ـ رحمه الله ـ في «البداية والنهاية» (١/ ٩٤) وقبله ابن عروة الحنبلي؛ كما قال العلامة الألباني ـ رحمه الله ـ في «تحذير الساجد» (ص١٠١/ حاشية).

● **قلت:**

وله شاهدٌ من حديث أبي أمامة ﷺ، ولفظه : أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله، أنبيًا كان آدم؟ قال : «نعم، مكلمًا»، قال : كم بينه وبين نوح ؛ قال: «عشرة قرون» وليس فيه التتمة الواردة في أثر ابن عباس، وقد تقدَّم حديث أبي أمامة قبل هذا الأثر ، وهو صحيح كما سبق .

---

(١) وقد تصحَّف عند ابن جرير إلى «همام بن منبه» وهو خطأ، وإنما هو همام بن يحيى بن دينار الأزدي، كما أثبت هنا.

أنبياء بني إسرائيل يحكمون بالتوراة

وكذلك أنبياء بني إسرائيل يأمرون بشريعة التوراة، وقد يُوحى إلى أحدهم وحيٌ خاصٌّ في قصة معينة، ولكن كانوا في شرع التوراة كالعالم الذي يُفهِّمه الله في قضية معنى يطابق القرآن؛ كما فهَّم الله سليمان حكم القضية التي حكم فيها هو وداود.

الفرق بين الرسول والنبي

فالأنبياء ينبئهم الله؛ فيُخبرهم بأمره، ونهيه، وخبره. وهم يُنبئون المؤمنين بهم ما أنبأهم الله به من الخبر، والأمر، والنهي. فإن أُرسلوا إلى كفَّار يدعونهم إلى توحيد الله، وعبادته، وحده لا شريك له، ولا بد أن يكذب الرسل قومٌ؛ قال تعالى: ﴿كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، وقال: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]؛ فإن الرسل تُرسَل مخالفين؛ فيكذبهم بعضهم.

وقال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَى أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلا تَعْقِلُونَ . حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١٠٩ ـ ١١٠] .

وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] .

❑ فقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلا نَبِيٍّ﴾ [الحج: ٥٢]: دليلٌ على أن النبيَّ مرسلٌ، ولا يسمى رسولاً عند الإطلاق، لأنه لم يُرسل إلى قوم بما لا يعرفونه، بل كان يأمر المؤمنين بما يعرفونه أنه حق؛ كالعالم؛ ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «العُلَمَاءُ وَرَثَةُ الأنْبِيَاءِ» (١) .

ليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة

● وليس من شرط الرسول أن يأتي بشريعة جديدة؛ فإن يوسف كان

---

(١) **حديث صحيح لغيره**: وهو جزء من حديث أطول سياقًا، وفي أوله: « من سلك =

. . . .

= **طريقًا يطلب فيه علمًا** - إلى قوله - **وإن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارًا ولا درهما، ورثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر»** .

○ والحديث روي عن أبي الدرداء ، وله عنه طرق :

*○**أولاً**: طريق: عاصم بن رجاء بن حيوة عن داود بن جميل عن كثير بن قيس عنه به.

واختلف على عاصم : قال الدارقطني - رحمه الله - :

« فرواه أبو نعيم عن عاصم بن رجاء بن حيوة عمن حدثه عن كثير بن قيس .

ورواه عبد الله بن داود الخريبي عن عاصم فقال: عن داود بن جميل عن كثير بن قيس، وداود هذا مجهول.

ورواه محمد بن يزيد الواسطي عن عاصم بن رجاء عن كثير بن قيس ، لم يذكر بينهما أحدًا، وعاصم بن رجاء ، ومن فوقه إلى أبي الدرداء ضعفاء، ولا يثبت .

ورواه الأوزاعي عن كثير بن قيس عن يزيد بن سمرة عن أبي الدرداء، وليس بمحفوظ» ا.هـ.

وأعله ابن القطان في «الوهم والإيهام» (٥/ ٦٥٢) وكما في «تخريج أحاديث الكشاف» (٨/٣ للزيلعي) ما نصه : «داود بن جميل، وكثير بن قيس لا يعلمان في غير هذا الحديث، ولا نعلم روي عن كثير غير داود ، والوليد بن مرة، ولا نعلم روي عن داود غير عاصم بن رجاء - ثم قال - : فالمتحصل من علته هو الجهل بحال راويين من رواته، والاضطراب فيه ممن لم تثبت عدالته، يعني: عاصمًا» اهـ.

والحديث من هذه الطرق عند أبي داود (٣٦٤١) والترمذي (٢٦٨٢) وابن ماجه (٢٢٣) وأحمد (٥/ ١٩٦) والدارمي (١/ ٩٨) وابن حبان كما في «الإحسان» (٨٨) وفي «الموارد» (١/ ٦٠، ٦١) والطحاوي في «شرح مشكل الآثار» (٩٨٢) والبغوي في «شرح السنة» (١/ ٢٧٥) والمحاملي في «الأمالي» (١، ٣٥٤، ٣٥٥) وابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (ص ٣٣ - ٣٧).

○○ وللحديث طرق أخرى عن أبي الدرداء سالمة من الإشكالات السالفة؛ فمنها :

١ -● ما رواه أبو داود في «سننه» (٣٦٤٢) من طريق :

الوليد بن مسلم قال : لقيت شبيب بن شيبة، فحدثني به عن عثمان بن أبي سودة عن أبي الدرداء مرفوعًا . =

. . . .

= وفي سنده شبيب بن شيبة ، وهو مجهول ، كما في «التقريب» ولكن قال الحافظ :
«وقيل الصواب: شعيب بن زريق» ا.هـ.
قلت: وهو أشبه بالصواب ، فقد رواه الطبراني في «المعجم الكبير» من طريق :
شعيب بن زريق، قال : سمعت عثمان بن أبي سودة به .
قال الزيلعي بعد ذكره لهذه الطريق في «تخريج أحاديث الكشاف» :
«وهذه الرواية أشبه من رواية أبي داود، وإسناده جيد ، وشعيب بن زريق، قال فيه دحيم: لا بأس به، وقال الدارقطني : ثقة ».
● ومنها :
ما رواه الطبراني في «الكبير» قال : حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي ثنا عمر بن محمد بن الحسن الأسدي ثنا أبي ثنا شيبان بن عبد الرحمن بن عتبة بن عبد الله عن يونس بن يزيد عن عطاء بن أبي رباح عن أبي الدرداء فذكره .
وسند الطبراني كما قال الزيلعي ما نصه :
«شيخ الطبراني هو مُطين صاحب المسند إمام حافظ ، وباقي رجاله محتج بهم في الصحيح، ليس فيهم من تكلم فيه غير عمر بن محمد بن الحسن الأسدي المعروف بالتل، وقد احتج به البخاري، وقال أبو داود: صالح، وقال ابن عدي : لم أر بحديثه بأسًا، وضعفه ابن معين، وابن حبان، ويعقوب الفسوي، والله أعلم» ا.هـ. وقال في «التقريب»: «صدوق ربما وهم».
وأخرجه الخطيب في «الفقيه المتفقه» (١/ ١٧) من طريق : عطاء به ، وسنده ضعيفٌ جدًا، وراجع «تاريخ بغداد» (١/ ٣٩٨) له .
○ هذا :
وقد أورده البخاري في باب من أبواب «صحيحه» (١/ ١٩٢ فتح) ، ولم يفصح بكونه حديثًا، قال الحافظ في «فتحه» (١/ ١٩٣) .
«فلهذا لا يعد في تعاليقه، لكن إيراده له في الترجمة يشعر بأنه له أصلاً، وشاهده في القرآن؛ قوله تعالى: ﴿ **ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ [فاطر: ٣٢].
وقبل هذا قال :
«وحسنه حمزة الكناني، وضعفه عندهم باضطرابٍ في سنده ، لكن له شواهد يتقوى =

رسولاً، وكان على ملة إبراهيم، وداود وسليمان كانا رسولين، وكانا على شريعة التوراة؛ قال تعالى عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولاً﴾ [غافر:٣٤]. وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِن بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا. وَرُسُلاً قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلاً لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٣، ١٦٤].

○ والإرسال: اسمٌ عامٌّ يتناول إرسال الملائكة، وإرسال الرياح، وإرسال الشياطين، وإرسال النار؛ قال تعالى: ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ﴾

الإرسال اسمٌ عام

= بها» ا.هـ.

● قلت:

ومن هذه الشواهد أيضًا باختصار:

● ما رواه الخطيب في «تاريخه» (٤/ ٤٣٨) من حديث جابر بن عبد الله ﷺ مرفوعًا، وسنده هالك.

● ومنها؛ ما رواه السهمي في «تاريخ جرجان» (٦١٦) من حديث ابن مسعود مرفوعًا، وسنده ضعيف لأجل حماد وهو ابن أبي سليمان ونعمان بن ثابت وهو أبو حنيفة.

● ومنها؛ ما رواه أبو نعيم في «فضل العالم العفيف على الجاهل الشريف» من حديث البراء بن عازب مرفوعًا.

وفي سنده خلاف في سماع أبي إسحاق من البراء، وقد نفاه ابن المديني.

● ومنها؛ ما عزاه الزيلعي لأبي نعيم أيضًا من حديث عبد الله بن عمرو وفي سنده شريك.

● ومنها ما أورد الذهبي في «الميزان» (١/ ١٣٠) من حديث ابن عمر مرفوعًا ولفظه: «**وحملة العلم خلفاء الأنبياء**» وحكم عليه البطلان.

○○ قلت:

وعلى هذا يتبين أن الحديث صحيح لغيره، والله سبحانه أعلم.

[الرحمن: ٣٥]، وقال تعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ [فاطر: ١]؛ فهنا جعل الملائكة كلهم رسلاً. **والملك في اللغة: هو حامل الألوكة؛ وهي الرسالة**. وقد قال في موضع آخر: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥].

الملك في اللغة

فهؤلاء الذين يرسلهم بالوحي؛ كما قال: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ﴾ [الشورى: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وقال تعالى: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]. لكن الرسول المضاف إلى الله: إذا قيل رسول الله، فهُم مَنْ يأتي برسالة من الله؛ من الملائكة، والبشر؛ كما قال: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وقالت الملائكة: ﴿يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَن يَصِلُوا إِلَيْكَ﴾ [هود: ٨١].

أعمال الملائكة والجن والرياح

وأما عمومُ الملائكة، والرياح، والجن: فإن إرسالها لتفعل فعلاً، لا لتبلغ رسالةً، قال تعالى: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

فرسلُ الله الذين يبلغون عن الله أمره ونهيه: هي رسلُ الله عند الإطلاق، وأما من أرسله الله ليفعل فعلاً بمشيئة الله وقدرته: فهذا عامٌّ يتناول كل الخلق. كما أنهم كلهم يفعلون بمشيئته، وإذنه المتضمن لمشيئته، لكن أهل الإيمان يفعلون بأمره، ما يحبه ويرضاه، ويعبدونه وحده، ويطيعون رسله، والشياطين يفعلون بأهوائهم، وهم عاصون لأمره، متبعون لما يسخطه، وإن كانوا يفعلون بمشيئته وقدرته.

لفظ البعث

○ **وهذا كلفظ البعث**: يتناول البعث الخاص؛ البعث الشرعي؛ كما قال: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢]، ويتناول البعث العام

الكوني؛ كقوله : ﴿ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ [الأعراف: ١٦٧].

فالعام بحكم مشيئته وقدرته، والخاص هو أيضًا بحكم مشيئته وقدرته، وهو مع ذلك بحكم أمره، ورضاه، ومحبته.

وصاحبُ الخاص من أولياء الله يكرمه ويثبته، وأما من خالف أمره، فإنه يستحق العقوبة ، ولو كان فاعلاً بحكم المشيئة؛ فإن ذلك لا يُغني عنه من الله شيئًا.

المحتج بالمشيئة على المعصية هو المتبع لهواه

ولا يُحتجُّ بالمشيئة على المعاصي إلا من تكون حجته داحضة، ويكون متناقضًا، متبعًا لهواه، ليس عنده علمٌ بما هو عليه؛ كالمشركين الذين قالوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٤٨]؛ كما قد بُسط في غير هذا الموضع، والله أعلم.

○ فصلٌ ○

الدليل هو الآية والبرهان

الدليل الذي هو الآية والبرهان يجبْ طرده كما تقدم؛ فإنه لو كان تارةً مع وجود المدلول عليه، وتارة يتحقق مع عدمه. فإذا تحقق لم يعلم: هل وجد المدلول، أم لا؟ فإنه كما يوجد مع وجوده، يوجد مع عدمه.

ولهذا كان الدليل إما مساويًا للمدلول عليه، وإما أخص منه، لا يكون أعم من المدلول.

ولهذا لم يكن للأمور المعتادة دلالة على ما هو أخص؛ كطلوع الشمس، والقمر، والكواكب، لا تدل على صدق أحد، ولا كذبه؛ لا مدَّعي النبوة، ولا غيره؛ فإنها توجد مع كذب الكاذب، كما توجد مع صدق الصادق.

المخلوقات دليل على وجود الرب وهو سبحانه ليس بحاجة إلى دليل

لكن تدل على ما هو أعم منها؛ وهو وجود الرب، وقدرته، ومشيئته، وحكمته؛ فإن وجود ذاته وصفاته ثابت؛ سواءٌ كانت هذه المخلوقات موجودة، أو لم تكن؛ فيلزم من وجود المخلوق وجود خالقه؛ ولا يلزم من عدمه عدم خالقه، فلهذا كانت المخلوقات كلها آيات للرب؛ فما من مخلوقٍ إلا وهو آية له؛ هو دليل، وبرهان، وعلامة على ذاته وصفاته ووحدانيته. وإذا عُدم كان غيره من المخلوقات تدل على ما دل عليه، ويجتمع على المعلوم الواحد من الأدلة ما لا يحصيه إلا الله.

وقد يكون الشيء مستلزمًا لدليل معين، فإذا عُدم عُرف انتفاؤه. وهذا مما يكون لازمًا ملزومًا؛ فتكون الملازمة من الطرفين؛ فيكون كلٌّ منهما دليلاً.

وإذا قُدِّر انتفاؤه كان دليلاً على انتفاء الآخر كالأدلة على الأحكام

الشرعية؛ فما من حكمٍ إلا جعل الله عليه دليلاً. وإذا قُدِّر انتفاء جميع الأدلة الشرعية على حكمٍ، عُلِم أنه ليس حكمًا شرعيًا، وكذلك ما تتوفر الهمم والدواعي على نقله؛ فإنه إذا نُقل دلَّ التواتر على وجوده، وإذا لم يُنقل مع توفر الهمم والدواعي على نقله لو كان موجودًا، عُلِم أنه لم يوجد؛ كالأمور الظاهرة التي يشترك فيها الناس؛ مثل موت ملك، وتبدل ملك، وتبدل ملك بملك، وبناء مدينة ظاهرة، وحدوث حادث عظيم في المسجد أو البلد؛ فمثل هذه الأمور لا بُد أن ينقلها الناس إذا وقعت، فإذا لم تنقل نقلاً عامًا، بل نقلها واحدٌ، عُلِم أنه قد كذب؛ وهذا مبسوط في غير هذا الموضع.

الفرق بين الآية والقياس

وقد بسط في غير هذا الموضع: الفرق بين الآية التي هي علامة تدلُّ على نفس المعلوم، وبين القياس الشمولي الذي لا يدل إلا على قدرٍ كليٍّ مشترك، لا يدل على شيء معين؛ إذ كان لا بُدَّ فيه من قضية كلية، وأن ذلك القياس لا يفيد العلم بأعيان الأمور الموجودة، ولا يفيد معرفة شيء؛ لا الخالق، ولا نبي من أنبيائه، ولا نحو ذلك، بل إذا قيل: كل محدَث فلا بد له من محدِث، دلّ على محدِثٍ مطلقٍ، لا يدل على عينه، بخلاف آيات الله؛ فإنها تدلُّ على عينه.

وبيَّنا أن القرآن ذكر الاستدلال بآيات الله، وقد يستدل بالقياس الشمولي، والتمثيلي، لكن دلالة الآيات أكمل وأتم.

وتبين غلط من عظم دلالة القياس الشمولي، المنطقي، وأنهم من أبعد الناس عن العلم والبيان.

وذكرنا أيضًا غلط من فضَّل الشمولي على التمثيلي، وأنها من جنسٍ واحد، والتمثيلي أنفع، وإنما الآيات تكون أحسن.

معنى الآية الوجه الأول

❑ وقد ذكَر أبو الفرج ابن الجوزي ـ ما ذكره أبو بكر ابن الأنباري، وغيره ـ في الآيات آيات القرآن؛ مثل قوله : ﴿ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِصُونَ . مُسْتَكْبِرِينَ﴾ [المؤمنون: ٦٦، ٦٧]: ثلاثة أقوال؛ قال[1]: (في معنى الآية ثلاثة أقوال:

● **أحدها**: أنها العلامة؛ فمعنى آية: علامة؛ لانقطاع الكلام الذي قبلها وبعدها؛ قال الشاعر :

ألاَ أبْلغ لديْكَ بَني تَميـــم ... بآيةِ مَا يُحبونَ الطعَامَـــا

وقال النابغة [2]:

تَوَهَمْتُ آياتٍ لَهَا، فعرفْتُها ... لستةِ أعوامٍ، وذا العام سابع

قال : وهذا اختيارُ أبي عبيد).

○ **قلتُ**: أما أن الآية هي العلامة في اللغة؛ فهذا صحيح، وما استشهد به من الشعر يشهد لذلك.

وأما تسمية الآية من القرآن آية؛ لأنها علامة: صحيح، لكن قول القائل: إنها علامة؛ لانقطاع الكلام الذي قبلها وبعدها، ليس بطائل؛ فإن هذا المعنى الحد والفصل؛ فالآية مفصولة عما قبلها، وعما بعدها.

وليس معنى كونها آية هو هذا ، وكيف؟ وآخر الآيات آية؛ مثل آخر سورة الناس، وكذلك آخر آية من السورة ، وليس بعدها شيء، وأول الآيات آية ، وليس قبلها شيء؛ مثل أول آية من القرآن، ومن السورة، وإذا قُرئت الآية وحدها، كانت آية، وليس معها غيرها.

---

(١) يعني: ابن الجوزي في («زاد المسير) ١/ ٥٨ و ٥٩) (البقرة: ٣٩).

(٢) كما في ديوانه (ص: ٥٢) ط: الكتب العلمية. البيت الثالث. والنابغة هو الذبياني زياد بن معاوية أبو أمامة ويكنى أيضًا بأبي ثمامة وهما ابنتاه. توفي سنة ٦٠٤م.

ترديدُ القارئ للآية الواحدة

○ وقد قام النبيُّ ﷺ (١) بآية يُرددها حتى أصبح : ﴿إن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ

(١) **إسناده ضعيف**؛ أخرجه النسائي في («السنن» ٢/ ١٧٧) وفي («الكبرى» ١/ ٣٤٦) (١٠٨٣) وابن ماجه في («السنن» ١١٥٠) وأحمد (٥/ ١٤٩، ١٥٦، ١٧٠) وبرقم (٢١٣٢٨، ٢١٣٨٨، ٢١٤٩٥ ط شعيب وحسنه) وابن أبي شيبة في («المصنف» ٢/ ٤٧٧) و (١١/ ٤٩٧، ٤٩٨) والحاكم في («المستدرك» ١/ ٢٤١) ومسدد في («المسند» كما في «إتحاف الخيرة» للبوصيري ١٠٨٥) والبغوي في («شرح السنة» ٤/ ٢٦) (٩١٥) والبيهقي في («السنن» ٣/ ١٣) (١) و («الشعب» ٧٥٧) و (٢٠٣٧) و (٢٠٣٨) والطحاوي في («شرح المعاني» ١/ ٣٤٧) والبزار في («المسند» البحر الزخار ٩/ ٤٤٩) (٤٠٦١، ٤٠٦٢) و(«الكشف» للهيثمي ١/ ٣٥٠) (٧٣٠) والمزي في «التهذيب» (٢٣/ ٥٤٨ ترجمة قدامة) وابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (رقم ٤٨) من طرق (محمد بن فضيل ومحمد بن عبيد ويحيى بن سعيد القطان ووكيع)؛ أربعتهم عن قدامة بن عبد الله (٢) العامري عن جسرة بنت دجاجة عن أبي ذر مرفوعًا به.

●**قلت**: وفي إسناده قدامة وجسرة ؛ أما قدامة ؛ فلم يوثقه معتبر ؛ إنما قال الذهبي في «الكاشف» (٤٦٢٥) : «وثق» يعني به توثيق ابن حبان . ولم يذكر فيه أبو حاتم جرحًا ولا تعديلاً (٧/ ١٢٨ الجرح والتعديل) ؛ وقال الحافظ في («التقريب»): «مقبول» . وقال أحمد: «لا أرى به بأسًا»، وأما جسرة بنت دجاجة . فقال في («الميزان» ١/ ٣٩٩) : «قال البيهقي : فيها نظر، وقال ابن حبان فيما نقله أبو العباس البناني: عندها عجائب ؛ وقال البخاري في «تاريخه» : عندها عجائب. وأما أحمد فقال في صاحبها : فليت العامري: لا أرى به بأسًا . وقال أحمد العجلي: جسرة تابعية ثقة؛ فقوله : عندها عجائب: ليس بصريح في الجرح» انتهى. وقال الحافظ في «التقريب» : «مقبولة». =

(١) في سنده تصحيفات.

(٢) في بعض الروايات: «فليت» وهو نفسه «قدامة» كما قال ابن ماكولا في «تهذيب المزي» (٢٣/ ٥٤٨) وقبله الدارقطني.

● ملاحظة: لقد احتج بالحديث كالمصنف؛ تلميذُه ابن القيم في («الزاد» ١/ ٣٣١، ٣٣٧)، واحتج به ابن خزيمة في «الصحيح». (باب إباحة ترديد الآية الواحدة).

﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]؛ فهي آية في نفسها، لا لكونها منقطعة مما قبلها وما بعدها.

وأيضًا: فكونُه علامة على هذا الانقطاع: قدرٌ مشتركٌ بين جميع الأشياء التي يتميز بعضها عن بعض، ولا تسمى آيات، والسورة متميزة عما قبلها وما بعدها، وهي آيات كثيرة. وأيضًا: فالكلام الذي قبلها منقطع، وما قبلها آية؛ فليست دلالة الثانية على الانقطاع بأولى من دلالة الأولى عليه.

وأيضًا: فكيف يكون كونها آية علامة للتمييز بينها وبين غيرها، والله سماها آياته؛ فقال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ﴾ [البقرة: ٢٥٢].

والصوابُ: أنها آية من آيات الله؛ أي: علامة من علاماته، ودلالة من أدلة الله، وبيان من بيانه؛ فإن كلَّ آيةٍ قد بين فيها من أمره وخبره، ما هي دليل عليه، وعلامة عليه، فهي آية من آياته؛ وهي أيضًا: دالةٌ على كلام الله المباين لكلام المخلوقين؛ فهي دلالةٌ على الله سبحانه، وعلى ما أرسل

= قلت: ولحال جسرة؛ فإني لا أرى الحديث من هذا الوجه يرقي للحسن؛ والله أعلم. وقال العلامة الوادعي في «تحقيق المستدرك» (رقم: ٨٨٢): «لم يوثقها معتبر: فهي مجهولة الحال لا يصح حديثها ولا يُحسن، ولكن يصح في الشواهد والمتابعات».

● هذا وقد صحح الحديث جماعةٌ وحسنُهُ آخرون، فقال الحاكم: «هذا حديث صحيح ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، وصححه البوصيري في («الزوائد على ابن ماجه») فقال: «إسناده صحيح ورجاله ثقات» وصححه العلامة أحمد شاكر في («تحقيق الترمذي» ٢/ ٣١١) والألباني في («صفة الصلاة» ص١٢١) وغيره؛ وفي («تحقيق المسند» و «شرح السنة» للأرناؤوط) حُكْمان مرةً بالتصحيح ومرةً بالتحسين.

○ **وللحديث شاهد**؛ من حديث عائشة؛ أخرجه الترمذي في «السنن» (٤٤٨) ومن طريقه البغوي (٩١٤) بلفظ: «**قام النبي ﷺ بآية من القرآن ليلة**» ولم يعين الآية؛ وسنده صحيح. وشاهدٌ عند أحمد (١٨/ ١٣٧) (١١٥٩٣) والبيهقي في «الشعب» (٢٠٣٩) عن أبي سعيد مرفوعًا وسنده ضعيف؛ كما في («المجمع» ٢/ ٢٧٣).

بها رسوله.

ولما كانت كلُّ آيةٍ مفصولة بمقاطع الآي التي يختم بها كل آية، صارت كل جملة مفصولة بمقاطع الآي: آية.

○**ولهذا كان النبيُّ ﷺ يقف على رؤوس الآي** (١)؛ كما نُعتت قراءته:

---

(١) **رجالُ إسناده ثقات؛**

أخرجه أبو داود في («السنن» ٤٠٠١) والترمذي (٢٩٢٧) وأحمد في («المسند» ٢٦٥٨٣، ٢٦٧٤٢) وأبو عبيد في («فضائل القرآن» ص ٧٤) ومن طريقه الطبراني في («الكبير» ٢٣/ ٢٧٨) (٦٠٣) والحاكم في («المستدرك» ٢/ ٢٣١، ٢٣٢) والبيهقي في («الكبرى» ٢/ ٤٤) وفي («الشعب» ٢٣٤٩ ط الرشد) وابن أبي شيبة في («المصنف» ٢/ ٥٢٠، ٥٢١) والدارقطني في («السنن» ١/ ٣٠٧، ١٣٢، ٣١٣) وابن خزيمة في («الصحيح» ١/ ٢٤٨) (٤٩٣) والطحاوي في («المعاني» ١/ ١٦٩).

من طرق (يحيى بن سعيد الأُموي وهمام بن يحيى وحفص بن غياث وعمر بن هارون) أربعتهم عن ابن جريج عن عبد الله بن أبي مليكة، عن أم سلمة أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يقطع قراءته آية آية: ﴿**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾.

○ **قلتُ**: وهذا إسنادٌ نظيفٌ لولا ما يشوبه من عنعنة ابن جريج؛ فقال الحافظ في «التقريب»: «ثقةٌ فقيهٌ فاضل وكان يدلس ويرسل» انتهى. وهنا لم يصرح بالتحديث؛ ولذلك قال الترمذي: «هذا حديثٌ غريبٌ... وإسنادُه ليس بمتصل لأن الليث بن سعد. روي هذا الحديث عن ابن أبي مليكة عن يعلى ابن مملك عن أم سلمة وحديث الليث أصح». انتهى؛ فأعلها بالانقطاع استدلالاً برواية الليث **قلت:** «حديثُ الليث؛ أخرجه أحمد في («المسند» ٢٦٥٢٦، ط شعيب)؛ وقد رواه عن الليث هنا كلٌّ من:

- يحيى بن إسحاق؛ في «المسند» كما مرّ؛ وبرقم (٢٦٥٦٤).
- وابن المبارك؛ كما عند أبي عبيد في («فضائل القرآن» ٧٤).

وقد خالفهما: أبو صالح ـ وهو عبد الله بن صالح؛ فرواه عن الليث عن ابن لهيعة عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم سلمة به؛ كما عند الطبراني في («الكبير» ٦٤٦) والأولى أرجح من هذه لحال أبي صالح. =

كان النبيُّ ﷺ يقرأ القرآن فيقف عند رؤوس الآي

الحمد لله رب العالمين، وتقف ، الرحمن الرحيم، وتقف، مالك يوم الدين، وتقف، ويسمى أصحاب الوقف: وقف السنة؛ لأنَّ كلَّ آية لها فصلٌ ومقطع تتميز عن الأخرى (١) .

= ● أما عن ترجيح الإمام الترمذي لحديث الليث ـ بإثبات يعلى بن مملك ؛ وهو مقبول؛ كما في «التقريب» ـ على رواية ابن جريج ؛ فلَهُ وجهٌ؛ غير أن ابن جريج توبع على روايته من : نافع بن عمر الجمحي وهو ثقة ثبت روي له الجماعة، كما قال الحافظ، وقد أخرجه من هذا الوجه أحمد في «المسند» (٢٦٤٥١) لكنه قال : «أن بعض أزواج النبي ﷺ» ولا أعلمها إلا حفصة» . قال الشيخ الألباني ـ بعد أن أورد متابعة نافع من هذا الوجه ـ: «وهو متابعٌ قوي لابن جريج في أصل الحديث ولا يضره أنه لم يسم زوج النبي ﷺ ولا أنه سماها حفصة لأنه ظن منه فلا يعارض به من جزم بأنها أم سلمة» («الإرواء» ٢/ ٦١) . **وقد صحح الحديث جمعٌ**؛ كالدارقطني فقال : «إسناده صحيح وكلهم ثقات» والحاكم فقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي، والنووي في «المجموع» (٣/ ٣٣٣) فقال: «حديث أم سلمة ﵂ صحيح، رواه ابن خزيمة في «صحيحه» بمعناه » وصححه في «التبيان» أيضًا (ص ٦٤) وقال الهيثمي في «المجمع» (٢/١٠٨): «رواه أحمد رجاله رجال الصحيح» .

(١) ● **قال البيهقي في («الشعب»** ٢/ ٥٢١) :
«ومتابعة السنة أولى مما ذهب إليه بعض أهل العلم بالقرآن ممن يتبع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها» .

●● **وقال ابن القيم «الزاد»** (١/ ٣٣٧) : «واتباع هدي النبي ﷺ وسنته أولى ، وممن ذكر ذلك البيهقي في «شعب الإيمان» وغيره ، ورجح الوقوف على رؤوس الآي وإن تعلقت بما بعدها» .

●●● **وقال ابن قدامة الحنبلي في «المغني»** (٢/ ١٥٤) :
«والمستحب أن يأتي بها «القراءة» مرتلة معربة، يقف فيها عند كل آية ، ويمكن حروف المد واللين ما لم يخرجه ذلك إلى التمطيط لقول الله تعالى: ﴿**وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً**﴾ [المزمل: ٤] وساق حديث أم سلمة .

● وقد ورد في صحيح البخاري (٥٠٤٦) عن أنس ﵁ وقد سئل: كيف كانت قراءة=

● ● قال: (والوجه الثاني: أنها سميت آية؛ لأنها جماعةُ حروفٍ من القرآن، وطائفة منه؛ قال أبو عمرو الشيباني: يقال خرج القوم بآيتهم؛ أي: بجماعتهم، وأنشدوا:

٢ - الوجهُ الثاني في معنى الآية

خَرَجْنَا من النقبين لاَ حَي مثْلَنَا   بآيَاتنَا ترجَى اللقاح المطَافلا (١)) (٢)

○قلتُ: هذا فيه نظرٌ؛ فإن قولهم: خرج القوم بآيتهم: قد يُراد به بالعلامة التي تجمعهم؛ مثل الراية، واللواء؛ فإن العادة أن كلَّ قومٍ لهم أمير، يكون له آية يُعرفون بها، فإذا أخرج الأمير آيتهم، اجتمعوا إليه؛ ولهذا سمي ذلك عَلَمًا، والعلم هي العلامة والآية، ويسمى راية؛ لأنه يُرى. فخروجهم بآيتهم: أي بالعلم والآية التي تجمعهم؛ فيستدل به على خروجهم جميعهم، فإن الأمير المطاع إذا خرج، لم يتخلف أحدٌ، بخلاف ما إذا خرج بعض أمرائه؛ وإلا فلفظُ الآية: هي العلامة، وهذا معلومٌ بالاضطرار من اللغة، والاشتراك في اللفظ، لا يثبُتُ بأمرٍ محتمل.

● ● ● قال: (والثالث: أنها سُمِّيت آية؛ لأنها عَجَبٌ؛ وذلك: أن قارئها يستدل إذا قرأها على مباينتها لكلام المخلوقين؛ وهذا كما تقول: فلانٌ آيةٌ من الآيات: أي: عجبٌ من العجائب، ذكره ابن الأنباري).

الثالث

○قلتُ: هذا القولُ هو داخلٌ في معنى كونها آية من آيات الله؛ فإن آيات الله كلها عجيبة؛ فإنها خارجةٌ عن قدرة البشر، وعما قد يُشبَّه بها من

القرآن كلّه عجب

= النبي ﷺ؟ فقال: «كانت مدًا» وفي رواية: «يمدُّ مدآ» وابن أبي شيبة (٢/ ٥٢٠).

(١) القائل هو بُرْج بن مُسْهر الطائي؛ ذكره القرطبي في («التفسير» ١/ ٦٦) (باب ذكر معنى السورة والآية).

○ قلت: في «القرطبي»: «نزجى» وكذا في («الزاد» ١/ ٥٩). والمطافل؛ قال ابن الأثير في («النهاية» ٣/ ١٣٠): «والمُطفل: الناقة القريبة العهد بالنتاج معها طفلُها. وفي حديث الحديبية: «جاؤا بالعوذ المطافيل» أي الإبل مع أولادها. يريد أنهم جاءوا بأجمعهم كبارهم وصغارهم».

(٢) («الزاد» ١/ ٥٩) دار الفكر.

مقدور البشر.

والقرآن كلُّه عجَبٌ؛ تعجَّبتْ به الجن؛ كما حكى عنهم تعالى أنهم قالوا: ﴿**إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا . يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا**﴾ [الجن: ١، ٢]؛ فإنه كلام خارجٌ عن المعهود من الكلام، وهو كما في الحديث: «**لا تَنْقضي عَجائبهُ، ولا يشبعُ منه العلماء، ولا يخْلَق**[١] **عَنْ كثرة الرَّد**»[٢].

---

(١) أي: ولا يبلى.

(٢) جزءٌ من حديث رُوي عن عليٍّ وابن مسعود ومعاذ؛ **وأسانيدهم ضعيفة . ومع ضعفه؛** فمعناهُ رائقٌ جيدٌ؛ جميل رقراق؛ **إلا أنه لا يُحكى عن النبيِّ ﷺ** .

○ وقد أخرجه الترمذي في («السنن» ٢٩٠٦) والدارمي في («السنن» ٢/ ٤٣٥ - فضائل القرآن) والرازي في («فضائل القرآن» رقم: ٣٥) والبغوي في شرح السنة (٤/ ٤٣٧، ٤٣٨) والبزار في («البحر الزخار» ٨٣٤ - ٨٣٦) عن علي مرفوعًا. قال الترمذي: «هذا حديث غريب؛ لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال» انتهى. قلت: وقد اتهم بالكذب.

● **وله شاهدٌ**؛ عن ابن مسعود مرفوعًا؛ أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في («فضائل القرآن» رقم: ٨) وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٠/ ٤٨٢، ٤٨٣) والحاكم في «المستدرك» (٢٠٩٢ ط الشيخ مقبل) مرفوعًا؛ ورواه الدارمي (٢/ ٤٣١) موقوفًا. وفي الإسناد أبو إسحاق الهجري - إبراهيم بن مسلم - وهو ضعيف؛ وفي «التقريب»: «لين الحديث رفع موقوفات».

● ●**وله شاهدٌ** عن معاذ مرفوعًا؛ أخرجه الطبراني في («الكبير» ٢٠/ ٨٤) (١٦٠) وفي سنده عمرو بن واقد؛ قال الهيثمي (٧/ ١٦٤): «متروك».

● **قلت**: وقد عزاه الزيلعي في «تخريج الكشاف» (١/ ٢١٢) لابن أبي شيبة وإسحاق ابن راهويه والبزار في «مسانيدهم» عن الحارث عن علي بلفظ الترمذي. قلت: قال البزار: «وهذا الحديث لا نعلمه يُروى إلا عن علي ولا نعلم رواه عن علي إلا الحارث».

● **قلت**: وهو في «مصنف ابن أبي شيبة» (١٠/ ٤٨٢) (١٠٠٥٦) وعزاه الهندي في =

وكلٌّ آية لله خرجت عن المعتاد، فهو عجَبٌ؛ كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩] . فالآيات: العلامات والدلالة، ومنها :مألوفٌ معتادٌ، ومنها: خارج عن المألوف المعتاد.

وآيات القرآن من هذا الباب؛ فالقرآن عَجَبٌ، لا لأن مُسمَّى الآية هو العجب، بل مُسمَّى الآية أعم؛ ولهذا قال: ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾ [الكهف: ٩].

لفظُ الآية في العرف

ولكن لفظُ الآية قد يُخص في العرف بما يحدثه الله ، وأنها غير المعتاد دائمًا؛ كما قال النبيُّ ﷺ : «إنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيتَان منْ آيات الله، وإنهما لا تُخسفَان لموت أَحَد ولا لحيَاته، ولَكنهُمَا آيتَانِ منْ آيَات الله، يُخوِّفُ بهمَا عبَادَهُ» (١) .

وقد قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَن نُّرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء: ٥٩] .

تسمية صلاة الكسوف: صلاة الآيات

○ وفي الحديث الصحيح (٢): لما دخلت أسماء على عائشة وهي في

= «الكنز» (٢/ ٢٨٨) للعسكري. والحديث أورده الدارقطني في («العلل» ٣/ ١٣٧ - ١٤٢) (رقم: ٣٢٢) وقد عرض فيه الخلاف في حديث علي . وقد استفدت هذا المصدر من الشيخ محفوظ الرحمن من تعليقه على البحر الزخار ؛ فأسأل الله أن يرحمه.

(١) جزءٌ في حديث صحيح :
أخرجه البخاري في («الصحيح» ١٠٤٤) ومسلم في («الصحيح» ٩٠١) عن عائشة ﵂. وقد ورد عن أبي بكرة وابن عمر والمغيرة بن شعبة ؛ انظر «الصحيح» لأبي عبد الله البخاري (١٠٤٠ - ١٠٤٢ - ١٠٤٣) وجابر عند مسلم (٩٠٤) وأبي مسعود عند البخاري (١٠٤١) ومسلم (٩١١) وانظر رقم (٩٤٤، ٩٤٥ من صحيح مسلم) .

(٢) أخرجه البخاري في («الصحيح» ١٠٥٣) ومسلم في («الصحيح» ٩٠٥) عن أسماء =

الصلاة، فسألتها، فقالت: سبحان الله؛ فقالت: آية؟ فأشارتْ أي: نعم».

وتُسمَّى صلاةُ الكسوف: صلاة الآيات [(١)]، وهي مشروعةٌ في أحد

= بنت أبي بكر قالت: «أتيت عائشة زوج النبي ﷺ حين خسفت الشمس فإذا الناس قيام يصلون؛ وإذا هي قائمة تصلي؛ فقلت: ما للناس؛ فأشارت بيدها إلى السماء. وقالت: سبحان الله. فقلت: آية؟ فأشارت: أي: نعم».

● آية: علامة.

(١) وقد عقد أبو حاتم ابن حبان فصلاً في «الصحيح» (٧/ ٧١) قال فيه: «ذكر وصف صلاة الآيات» ثم ساق حديث عائشة مرفوعًا: «صلاة الآيات ست ركعات وأربع سجدات».

● أخرجه (برقم: ٢٨٣٠) من طريق: زيد بن أخزم عن **معاذ بن هشام عن أبيه عن** قتادة عن عطاء بن عبيد بن عمير عن عائشة مرفوعًا.

○ **قلت**: وهذا إسنادٌ حسن؛ وقد اختلف على هشام فيه.

فأخرج مسلمٌ في («الصحيح» ٩٠١) (٧) والنسائي في («المجتبى» ٣/ ١٣٠) وفي («الكبري» ١/ ١٨٥) (٥٠٣) وابن خزيمة في («الصحيح» ١٣٨٢) وأحمد في («المسند» ٤١/ ١٩، ٢٠ ط الرسالة) وإسحاق بن راهويه في («المسند» ٣/ ٦٠٨) (٦٣٦) ومن طريقه ابن حزم في («المحلي» ٥/ ١٠٠) وأبو عوانة (١/ ٣٧١) من طريقي (معاذ بن هشام وابن أبي عدي).

عن هشام الدستوائي عن قتادة عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة مرفوعًا، ولفظه **«أن النبي ﷺ صلى ست ركعات وأربع سجدات»** هذا لفظ مسلم دون قوله: «صلاة الآيات» وأخرجه ابن أبي شيبة في («المصنف» ٢/ ٤٧٠) والنسائي في «الكبري» (١/ ١٨٥) (٥٠٤، ٥٠٥) و (١٨٥٦) وإسحاق بن راهويه في («المسند» ٣/ ٦٠٨) (٦٣٧) والطحاوي في «المعاني» (١/ ٣٢٨) وابن عبد البر في («التمهيد» ٣/ ٣٠٨) من طرق (وكيع ويحيى بن سعيد وأبي داود ومسلم بن إبراهيم) كلهم عن هشام الدستوائي عن قتادة عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة موقوفًا ولفظه: «صلاة الآيات؛ ست ركعاتٍ وأربع سجدات».

● **قلت**: وقد خولف قتادة من: عبد الملك ـ وهو ابن سليمان ـ؛ فرواه عن عطاء عن جابر مرفوعًا بذكر ست؛ أخرجه مسلم في («الصحيح» ٤/ ٩٠٤/ ١٠) ورواه: =

القولين في مذهب أحمد، في جميع الآيات ، التي يحصل بها التخويف؛ كانتثار الكواكب، والظلمة الشديدة ، وتُصلى للزلزلة ، نصَّ عليه [١]، كما

= ـ ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير قال : حدثني من أصدق «حسبته يريد عائشة» ؛ والقائل: «حسبته» : عطاء . وقد أخرجه من هذا الوجه مسلم (٩٠١ / ٦) وأبو داود (عون ٤/ ٤٠، ٤١) (١١٦٥) وفيه: «أخبرني من أصدق» وظننت أنه يريد عائشة.

* قلت: وهذا كما ذكرت خلافٌ بيِّن في طريق عطاء؛ وقد ورد وجهٌ آخر عن عائشة لا خلاف فيه؛

كما في الصحيحين (خ ١٠٤٤ وم ٩٠١/ ١) من طريق : هشام عن عروة عن عائشة مرفوعًا وفيه «أربع ركعات وأربع سجدات» . وقد حكم غير واحد بخطأ رواية مسلم التي فيها ـ «ست ركعات وأربع سجدات» ـ؛ منهم البخاري ـ رحمه الله ـ ؛ وقد بحث ذلك الحافظ ابن القيم في «الزاد» (١/ ٤٥٣، ٤٥٥) وانظر «السنن الصغير» للبيهقي (١/ ٢٦٧) ط قلعجي . وحكم بشذوذها العلامة الألباني في «ضعيف النسائي» (١٤٧٠، ١٤٧١).

● **قال ابن القيم :**

«وهو اختيار شيخنا أبي العباس ابن تيمية ؛ وكان يضعف كلّ ما خالفه من الأحاديث ويقول : هي غلط. وإنما صلى النبي ﷺ الكسوف مرة واحدة يوم مات ابنه إبراهيم والله أعلم ».

(١) ● **قال ابن قدامة في («المغني» ٣/ ٣٣٢، ٣٣٣)** : «فصل : قال أصحابنا: يُصلي للزلزلة كصلاة الكسوف . نصّ عليه. وهو مذهب إسحاق وأبي ثور . قال القاضي: ولا يصليّ للرجفة، والريح الشديدة ، والظلمة ونحوها . وقال الآمدي : يصلي لذلك ، ولرمي الكواكب والصواعق وكثرة المطر، وحكاه عن ابن أبي موسى. وقال أصحاب الرأي : الصلاة لسائر الآيات حسنة؛ لأن النبي ﷺ علّل الكسوف بأنه آية من آيات الله تعالى يخوّف بها عباده، وصلّى ابن عباس للزلزلة بالبصرة، رواه سعيد. وقال مالك والشافعي لا يصلي لشيء من الآيات سوى الكسوف؛ لأن النبي ﷺ لم يصل لغيره، وقد كان في عصره بعضُ هذه الآيات، وكذلك خلفاؤه . ووجْه الصلاة للزلـزلة فـعْلُ ابن عباس، وغيرها لا يُصلي له ؛ لأن النبي ﷺ لـم يُصـلِّ لهـا ولا =

جاء الأثر بذلك [١].

فهذه الآيات أخص من مطلق الآيات، وقد قال تعالى: ﴿ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلاَّ كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ [الأنعام: ٤]، وقال ﷺ: «ثَلاَثُ آيَاتٍ يَتَعَلَّمهُنَّ من القرآن خَيرٌ لَهُ مِنْ ثَلاَثِ خَلفَاتٍ سِمَانٍ» [٢].

= أحد من أصحابه، والله أعلم». ●● **وقال ابن عبد البر** في («التمهيد» ٣/ ٣١٧): «وكان مالك والشافعي لا يريان الصلاة عند الزلزلة ولا عند الظلمة والريح الشديدة، ورآها جماعة من أهل العلم منهم أحمد وإسحاق وأبو ثور».

(١) أخرجه عبد الرزاق في («المصنف» ٣/ ١٠١، ١٠٢ (٤٦٢٩، ٤٩٣١) وابن أبي شيبة في («المصنف» ٢/ ٤٧٢) والبيهقي في («الكبير» ٣/ ٣٤٣) والطحاوي في («المعاني» ١/ ٣٢٨).

من حديث: عبد الله بن الحارث عن ابن عباس أنه (صلى في الزلزلة بالبصرة. وقال: هكذا صلاة الآيات).

● **قلتُ**: وصححه الحافظ في «الفتح» (٢/ ٥٢١) كتاب الاستسقاء «باب ما قيل في الزلازل والآيات»، وبّوب البيهقي بباب «من استحب الفزع إلى الصلاة فرادي عند الظلمة والزلزلة وغيرها» وصححه البيهقي (٣/ ٣٤٣) بقوله: «ثابت».

● **قلتُ**: وتابع عبد الله بن الحارث؛ أبو أيوب الهجري عند ابن أبي شيبة في («المصنف» ٢/ ٤٧١).

وقد ورد أثر

عن أنس عند أبي داود في («السنن» برقم: ١١٩٦) في باب (الصلاة عند الظلمة) وفيه مستور.

(٢) **حديث صحيح**؛ أخرجه مسلم في («الصحيح» برقم: ٨٠٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: **«أيحب أحدكم إذا رجع إلى أهله أن يجد فيه ثلاث خلفات عظام سمان؟ ...»**.

● خلفات: الإبل الحوامل.

○ فَصْلٌ ○

الدليل ينقسم إلى: ١ ـ ما يدلُّ بنفسه. ٢ ـ ما يدلُّ بدلالة الدالّ به

والدليل الذي هو (الآية والعلامة): ينقسم إلى: ما يدل بنفسه، وإلى: ما يدل بدلالة الدال به؛ فيكون الدليل في الحقيقة هو الدال به الذي قصد أن يدل به ، وقد جعل ذلك علامة وآية ودليلاً.

والذي يدلُّ بنفسه يُعلَم أنه يدل بنفسه، وإن لم يُعلم أن أحدًا جعله دليلاً ، وإن كان في نفس الأمر كل مخلوقٍ قد جعله الله آية ودلالة.

وهو سبحانه عليمٌ مريدٌ، فلا يمكن أن يُقال: لم يرد بالمخلوقات أن تكون أدلة له ، ولا أنها ليست دليلاً يجعلها أدلة، كما قد يطلقه طائفة من النُظّار. ولكن يستدل بها مع عدم النظر في كونها جعلت أدلة؛ كما قد يطلقه؛ إذ كان فيها مقاصد كثيرة غير الدلالة.

والذي جعلها دليلاً؛ وهو الله، جعل ذاتها يستدل بها، مع قطع النظر عن كونها دليلاً؛ فما من مخلوق، إلا ويمكن الاستدلال به على الخالق، والمحدَث نفسه يُعلم بصريح العقل أن له محدِثًا .

وهذه الأدلة التي تدلُّ بنفسها: قد تُسمَّى الأدلة العقلية، ويُسمَّى النوع الآخر(١): الأدلة الوضعية؛ لكونها إنما دلَّت بوضع واضع.

○ **والتحقيق**: أن كلاهما عقلي، إذا نظر فيه العقل علم مدلوله.

لكن هذه تدل بنفسها، وتلك تدل بقصد الدالِّ بها؛ فيعلم بها قصده.

وقصده هو الدال بها؛ كالكلام ، فإنه يدل بقصد المتكلِّم به وإرادته، وهو يدل على مراده، وهو يدلنا بالكلام على ما أراد، ثم يستدل بإرادته

(١) وهو ما يدلُّ بدلالة الدالِّ به؛ كما في أوّل الفصل.

على لوازمها؛ فإن اللازم أبدًا مدلولٌ عليه بملزومه .

الآيات التي تدلُّ بنفسها مجردة؛ نوعان

❑ **والآيات التي تدلُّ بنفسها مجردة نوعان :**

○ **منها**؛ ما هو ملزومٌ مدلولٌ عليه بذاته، لا يمكن وجود ذاته دون وجود لازمه المدلول عليه؛ مثل دلالة المخلوقات على الخالق.

○○ **ومنها**؛ ما هو مستلزمٌ له مدة طويلة، أو قصيرة؛ فتدلُّ عليه تلك المدة؛ مثل نجوم السموات؛ فإنه يستدل بها على الجهات، والأمكنة، وعلى غيرها من النجوم، وعلى الزمان ماضيه وغابره، ما دام العالم على هذه الصورة؛ قال تعالى : ﴿ **وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ** ﴾ [النحل: ١٥، ١٦] .

وقال تعالى: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ** ﴾ [الأنعام: ٩٧] . ثم قال : ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ** ﴾ [الأنعام: ٩٨]، ثم قال: ﴿ **وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا** ﴾ [الأنعام: ٩٩] . إلى قوله : ﴿ **إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ** ﴾ [الأنعام: ٩٩] . وقوله: ﴿ **وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَعَلَامَاتٍ** ﴾ [النحل: ١٥، ١٦] ؛ هي علامات ألقاها في الأرض، وهذا قول الأكثرين[١]؛ قالت طائفة : هي معالمُ الطرق يُستدل بها بالنهار، ويستدل بالنجم بالليل؛ وقالت طائفة : هي الجبال، وهي أيضًا مما يُستدل به؛ ولهذا سماها الله أعلامًا في قوله : ﴿ **وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ**

---

(١) ● انظر: («تفسير الطبري» ٧/ ٥٧١، ٥٧٢) (برقم: ٢١٥٤٤، ٢١٥٤٥، ٢١٥٥١)، وقال الشافعي في «الرسالة» (١/ ٢٤) (رقم ٦٧) :
«كانت العلامات جبالاً وليلاً ونهارًا» .

كَالأَعْلامِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٢٤، ٢٥][أ]؛ أي: كالجبال. والأعلام جمع عَلَم، والعَلَم: ما يُعلم به كالعلامة؛ ومنه: أعلام الطرق المنصوبة، ومنه: يُقال لدلائل النبوة: أعلام النبوة.

ويقال للراية المرفوعة: إنها علم، وأنها جُعلت علامة لصاحبها وأتباعه. والعالَم بالفتح مثل الخاتَم: ما يُعلم به؛ كما أن الخاتم ما يختم به، وهو بمعنى العالَم[١]، ويُسمَّى كل صنف من المخلوقات عالَمًا؛ لأنه علَمٌ وبرهان على الخالق تعالى، بخلاف العالِم بالكسر؛ فإنه الذي يَعْلَم؛ كالخاتِم بالكسر فإنه الذي يختم؛ قال تعالى: ﴿وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]؛ لأنه ختمهم؛ كما يسمى الماحي، والحاشر، والعاقب[٢]. وقد قرىء «وخاتَم» أي: «ختموا به»[٣].

(١) لأنه يعلم به نسبة المختوم إلى صاحبه. «محمد الفقي».

(٢) كما في («الصحيحين» خ ٣٥٣٢ وم ٢٣٥٤) من حديث جبير بن مطعم مرفوعًا.

(٣) «خاتم» بفتح التاء وهي قراءةُ عاصم وحده؛ وقرأ الباقون: «وخاتِم» بكسر التاء؛ كما قال ابن مجاهد («كتاب القراءات السبعة» ٥٢٢)؛ وقال القرطبي («التفسير» الأحزاب: ٤٠): «قرأ عاصم وحده بفتح التاء؛ بمعنى أنهم به ختموا؛ فهو كالخاتم والطابع لهم، وقرأ الجمهور بكسر التاء؛ بمعنى أنه ختمهم؛ أي جاء آخرهم».

● **وقال الطبري في («جامع البيان» ١٠/ ٣٠٥) (الأحزاب: ٤٠)**: «واختلف القراء في قراءة قوله «وخاتم النبين» فقرأ ذلك قرّاء الأمصار سوى الحسن وعاصم بكسر التاء من «خاتم النبيين» بمعنى أنه ختم النبيين، ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله «ولكن نبيًا ختم النبيين» فذلك دليل على صحة قراءة من قرأه بكسر التاء، بمعنى أنه الذي ختم الأنبياء صلى الله عليه وسلم وعليهم، وقرأ ذلك فيما يذكر الحسن وعاصم «خاتم النبيين» بفتح التاء، بمعنى أنه آخر النبيين، كما قرأ «مختوم خاتَمُهُ مسك» بمعنى: آخره مسك، من قرأ ذلك كذلك».

(أ) في جميع النسخ أورد آية الشورى (٣٢): ﴿**ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام**﴾ ملصقة بآية الرحمن؛ وهي ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾، والظاهر أن المقصود: آيتا الرحمن، أو آية الشورى وحدها بدون الفقرة الثانية التي هي من سورة الرحمن.

فالجبال: أعلامٌ ، وهي علاماتٌ لمن في البر والبحر، يُستدل بها على ما يُقاربها من الأمكنة؛ فإنه يلزم من وجودها وجوده، وهي لا تزال دالة ما دامت موجودة، ومدلولها موجودًا، وهي أثبت من غيرها؛ فقد يكون عندها قرية وسكان؛ فيكون علمًا عليهم، ثم قد تخرب القرية، ويذهب السكان؛ فتزول الدلالة لزوال الملزوم.

وهذا كلُّه مما يُبيِّن أنَّ الدليل قد يكون معينًا، بل الآيات كلها معينة ، وأن يكون مطابقًا ملازمًا لمدلوله، ليس أحدهما أعم من الآخر؛ كالثريا مع الدبران (١)، وكالجدي مع بنات نعش (٢)، نحو ذلك.

فتبين غلط من ذكر أنه يحصر الأدلة؛ فيقال: إما أن يُستدل بالعام على الخاص، أو بالخاص على العام، أو بأحد الخاصين على الآخر ، والأول: هو القياس الشمولي، والثاني: هو الاستقراء ، والثالث: هو: التمثيل.

أنواع القياس

وقد بيَّنا ما في هذا الكلام من الغلط؛ في حصره، وفي حكم أقسامه؛ فإن هؤلاء المقسمين للأمور العامة كثيرًا ما يغلطون في هذا وهذا؛ إذ كان المقسم يجب أن يستوفي في جميع الأقسام، ولا يُدخل فيها ما ليس منها؛ كالحاد. وهم يغلطون فيها كثيرًا؛ لعدم إحاطتهم بأقسام المقسوم؛ كما

(١) من أنواع النجوم .

* **قال ابن حبان كما في («الصحيح»** ١٣/ ٥٠١) (٦١٣٠) ذكر التغليظ على من قال بالاختيارات: «المجدح هو الدبران، وهو المنزل الرابع من منازل القمر»، وكذا في سنن («الدارمي» ٢/ ٣١٤) كتاب «الرقاق» .

* * **قال الحافظ في «الفتح»** (٢/ ٥٢٤) (تحت رقم ١٠٣٨):

«وقيل سمي بذلك لاستدباره الثريا وهو بفتح المهملة والموحدة بعدها، وهو نجم أحمر صغير منير»؛ بل وهذا تفسير سفيان بن عيينة ، كما قال يحيى بن معين في («التاريخ» ٤٥٦) (٣/ ١٠٠) رواية الدوري.

(٢) * والجَدْي آخر بنات نعْش الصغرى ؛ كما قال القرطبي في («التفسير» النحل: ١٦) .

يقسمون أقسام الموجودات، أو أقسام مدارك العلم، أو أقسام العلوم، أو غير ذلك ، وليس معهم دليلٌ على الحصر، إلا عدم العلم، وحصر الأقسام في المقسوم هو من الاستقراء.

ثم إذا حكموا على تلك الأقسام بأحكام فقد يغلطون أيضًا؛ كما قد ذُكِر هذا في غير هذا الموضع؛ مثل غلط من حصر الأدلة في هذه الأنواع؛ من أهل المنطق، ومن تبعهم.

وقد بسط هذا في مواضع.

وذلك مثل قولهم؛ الدليل إما أن يستدل بالعام على الخاص، أو بالخاص على العام ، أو بأحد الخاصين على الآخر ، فإن الدليل أولاً لا يكون قط أعم من المدلول عليه؛ إما مساويًا له، وإما أخص منه؛ فإن الدليلَ ملزومٌ للمدلول عليه ، والملزوم حيث تحقق، تحقق اللازم ، وإذا انتفى اللازم انتفى الملزوم؛ فحيث تحقق الدليل، تحقق تحقق المدلول عليه ، فإذا كان مساويًا له، أو أخص، كان حيث تحقق المدلول؛ كما أنه حيث تحقق ما هو ناطق النطق الذي يختص الإنسان، تحقق الإنسان، وتحقق أيضًا ما هو أعم من الإنسان؛ وهو ثبوت حيوان، وجسم حساس نام متحرك بالإرادة؛ بمعنى أنه تحقق مطلق هذا الجنس ، وإلا فلم يوجد شيء أعم من الإنسان بمجرد وجوده ، لكن وجد من صفاته ما يشبه به غيره، ويصح إطلاقه عليه، وعلى غيره؛ وهو مُسمَّى الجسم، والحيوان، ونحو ذلك.

وكذلك إذا وجد آية، أو خبر يدل على الإيجاب، أو التحريم، لزم ثبوت الإيجاب أو التحريم ، وقد ثبت الإيجاب والتحريم بآية أخرى، أو خبر آخر ، فلهذا قيل: الدليل يجب طرده، ولا يجب عكسه.

وإذا كان الدليل لا يكون أعم من المدلول عليه، فقولهم: إما أن يستدل

بالعام على الخاص إنما أرادوا به القياس الشمولي، الذي هو مقدمتان: صغرى، وكبرى؛ كقولنا: النبيذ المتنازع فيه: مسكر، وكلُّ مسكر حرام، أو كلُّ مسكر خمر؛ كما ثبتَ في «صحيح مسلم»[1] عن ابن عمر عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**كُلُّ مُسْكِرٍ خَمْرٌ، وكُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**»؛ بيَّن أن المسكر موصوفٌ بأنه خمر، وبأنه حرام، ولم يقصد القِيَاس الشمولي؛ وهو أن يستدل على أن المسكر حرام؛ فالرسولُ أجلُّ من هذا شرعًا وعقلاً ﷺ؛ فإنه بكلامه يثبت الأحكام. وغيره إذا قال: كلُّ مسكرٍ خمر، أو حرام، احتاج أن يستدل عليه، وأما هو فيستدل بنفس كلامه.

والنظم الشمولي المنطقي لا يوجد في كلامٍ فصيح، بل هو طويل لا يحتاج إليه؛ كما قد بسط في مواضع؛ وبُيِّن أن الدليل قد يكون مقدمة واحدة، وقد يكون مقدمتين، وقد يكون ثلاث مقدمات، وأربع، وأكثر؛ بحسب ما يحتاج إليه المستدل الطالب لدلالة نفسه، أو الطالب ليدل غيره؛ فإنه قد لا يحتاج إلا إلى مقدمة واحدة؛ مثل من عرف أن الخمر حرام، لكن لم يعرف أن كلَّ مسكر هو خمر، فإذا عرف بالنصِّ أن كل مُسْكِرٍ خمر؛ عَرَف أن كلَّ مسكر حرام، وكان علمه موقوفًا على مقدمة واحدة، بخلاف من لم يكن عرف بعْدُ أن الخمر حرام؛ فيحتاج إلى مقدمة ثانية، ثم إن كان عرف أن محمدًا رسولُ الله بنصوصه المتواترة، كفاه ذلك. وإن كان لم يقر بنبوته، احتاج إلى مقدمة ثالثة؛ وهو الإيمان بأنه رسول الله، لا يقول على الله إلا الحق، ويذكر له من دلائل النبوة وأعلامها ما يعرف به ذلك؛ فيهتدي إن كان طالب علم، وتقوم عليه الحجة إن لم يكن.

كذلك فقول هؤلاء في مثل هذا: إنا استدللنا بالعام على الخاص: لبسٌ عظيم؛ فإن المدلول عليه؛ وهو تحريم النبيذ المتنازع فيه مثلاً، وإن كان أخص

---

(١) برقم (٢٠٠٣) عن ابن عمر مرفوعًا.

من تحريم المسكر والخمر.

فالدليل ليس هو القضية العامة ، بل هي الدليل: أن النبيذ المتنازع فيه مسكرٌ، وهو إحدى المقدمتين ، وهذه قضيةٌ خاصة أخصُّ من مسمى المسكر؛ فإن المسكر يتناول المتفق على تحريمه، والمتنازع فيه ؛ وهذا هو الحدُّ الأوسط ، وهو المتكرر في المقدمتين الذي هو محمولٌ في الصغرى، موضوع في الكبرى.

فالاستدلال وقع بإسكاره على أنه خمرٌ، وهو محرم. ومسكرُ النبيذ المتنازع فيه أخصُّ من مسمى المسكر، والخمر .

والمقدمة الثانية: الكبرى؛ وهي قولنا : وكلُّ مسكر خمر ، ليست هي الدليل، بل لا بد من الصغرى معها، وهي خاصة. فالمدلول عليه إن كان تحريم النبيذ المتنازع فيه، فهذا إنما يدلُّ على تحريمه: أنه مسكر، وليس إسكاره أعم منه، بل يلزم من ثبوت إسكاره، ثبوته؛ فإن ثبوت الموصوف بدون الصفة ممتنع؛ فإسكاره دلّ على تحريمه ، وليس تحريمه أعم من إسكاره، بل جنس الإسكار والحرام أعم من هذا المسكر ، وهذا المحرم.

لكن هذا العام ليس هو الدليل بدون الخاص ، بل قوله: **(كل مسكر حرام)**: يدلُّ على تحريم كل مسكرٍ مطلقًا، من غير تعيين؛ فيكون الإسكارَ مستلزمًا للتحريم، والمسكر أخص من الحرام.

وهذا استدلال بالخاص على العام؛ فوجود المسكر أخص من وجود الحرام، حيث كان سكر كان الحرام موجودًا ، وليس إذا كان الحرام موجودًا يجب وجود المسكر؛ لأن المحرمات كثيرة؛ كالدم، والميتة، ولحم الخنزير.

فالحد الأوسط؛ وهو المسكر دل على ثبوت الأعم؛ وهو التحريم، من

الأخص[1] في الأخص؛ وهو النبيذ المتنازع فيه؛ فالمدلولُ عليه التحريم، وهو أعم من المسكر؛ فهو استدلال بالخاص على العام، لكن المعنى العام الكلي لا يوجد في الخارج عامًا كليًا، بل معينًا؛ فهو استدلالٌ على نوعٍ من أنواعه؛ وهو التحريم الثابت في النبيذ المتنازع فيه، وهذا أخصُّ من مطلق التحريم؛ كما أن مسكره أخص من مطلق المسكر.

ومن هنا ظنوا أنهم استدلوا بالعام على الخاص؛ حيث استدلوا بتحريم كل مسكر على تحريم هذا المسكر. وليس الأمر كذلك، بل الذي دل على تحريم هذا المسكر ليس هو مجرد القضية العامة الكلية، بل لا بد معها من قضية أخص منها جزئية؛ مثل قولنا: هذا النبيذ مسكر، وبهذا الخاص يعلم ثبوت ذلك لا بمجرد العام.

والدليل هنا ليس هو أعم من المدلول عليه، ولا يمكن ذلك قط.

وأما قولهم: إن الاستدلال بالخاص على العام، هو الاستقراء؛ فمجردُ الخاص إن لم يستلزم العام، لا يدل عليه. والمستقرئ إن لم يحصر الإفراد، لا يعلم أن ذلك المعنى شامل لها، فما استدل بخاص على عام، بل بعام مثله مطابق له.

وقولهم في قياس التمثيل: إنه استدلالٌ بخاص على خاص، ليس كذلك؛ فإن مجرد ثبوت الحكم في صورة لا يستلزم ثبوته في أخرى إن لم يكن بينهما قدر مشترك، ولا يثبت بذلك حتى يقوم دليل على أن ذلك المشترك مستلزمٌ للحكم.

والمشترك: هو الذي يُسمى في قياس التمثيل: الجامع، والوصف، والعلة، والمناط، ونحو ذلك، فإن لم يقم دليل على أن الحكم متعلق به،

---

(١) أي: وهو المسكر «الفقي».

لازم له لم يصح الاستدلال.

وهذا المشترك في قياس التمثيل هو الحد الأوسط في قياس الشمول بعينه.

فالمعنى في القياسين: واحدٌ، ولكن التأليف والنظم متنوع إذا أراد أن يثبت تحريم النبيذ بقياس الشمول، قال: هذا هو حرام؛ لأنه شراب مسكر؛ فيكون حرامًا، قياسًا على المسكر من العنب. فالدليل هو المسكر، وهو المشترك، وهو الحد الأوسط.

ثم لا يكفي ذلك حتى يُبين أن العلة في الأصل، هي المشترك؛ فيقول: وعصير العنب حَرُم؛ لكونه مسكرًا. وهذا الوصف موجودٌ في الفرع الذي هو صورة النزاع، فيجب اشتراكهما في التحريم.

وقوله: إنه حَرُمَ؛ لكونه مسكرًا، هي المقدمة الكبرى في قياس الشمول؛ وهي قولنا: كلُّ مُسْكِرٍ حرام؛ فثبت أن علَّة التحريم هي السكر؛ إما بالنص؛ وهو قوله: **(كل مسكر حرام)**؛ وإما بدلالة القرآن؛ وهو أنه (يوقع العداوة والبغضاء، ويصد عن ذكر الله، وعن الصلاة)[1]؛ وإما بالمناسبة، وإما بالدوران؛ وإما بالسبر، والتقسيم؛ كما قد عُرِف في موضعه، وهو نظير ما يُستدل به على ثبوت القضية الكبرى.

الدليل قد يكون قطعيًا وقد يكون ظنيًا

ثم الدليل قد يكون قطعيًا، وقد يكون ظنيًا؛ لخصوص المادة، لا تعلق لذلك بصورة القياس، فمن جعل قياس الشمول هو القطعي، دون قياس التمثيل فقد غلط؛ كما أن من جعل مسمى القياس، هو التمثيل دون الشمول، فلم يفهم معناه.

---

(١) كما في سورة المائدة: (٩٠، ٩١).

والذي عليه جمهور العلماء أن كلاً منهما قياس، قد يكون قطعيًا ، وقد يكون ظنيًا.

وطائفة يقولون: اسم القياس لا يستعمل إلا في الشمول ؛ كما يقوله ابن حزم ، ومن يقوله من المنطقيين.

وطائفة يقولون : لا يستعمل حقيقة إلا في التمثيل، ومن هؤلاء من يقول ليس في العقليات قياس؛ وهذا مبسوطٌ في مواضع .

○**والمقصود هنا**؛ التنبيه على جنس الأدلة. وأيضًا: فالدليل قد يكون مطابقًا للمدلول عليه، ملازمًا له ، ليس أعم منه، ولا أخص منه؛ كالكواكب التي في السماء المتلازمة التي يستدل بكل منها على الآخر؛ وكالناطقية، والإنسانية التي يُستدل بثبوت كل منهما على ثبوت الآخر.

وهذا خارج عن تقسيمهم؛ فإن هذا ليس استدلالاً بعام على خاص ، ولا بخاص على عام، ولا بخاص على نظيره بطريق التمثيل، بل هو استدلال بأحد المتلازمين على الآخر، قد يكونان عامَّين وخاصّين؛ فالكواكب خاصة، والعام كالاستدلال بالحيوانية على الحس والحركة، إلا أنه استدلال بعام على عام ملازم له، وكذلك الاستدلال بكونه جسمًا على وجود جنس العرض، والاستدلال بوجود جنس العرض على جنس الجسم: هو استدلال بأحد العامين المتلازمين على الآخر.

○ **والمقصودُ هنا**؛ أن هذه المعينات ؛ كالنجوم، والجبال، والطرق، وأعلام الطرق: كلها آيات، وأعلام، وعلامات، على ما هو لازم لها في العادة.

وكذلك قد يستدل على منزل الشخص بما هو ملازم؛ من دور الجيران ، والباب، وغير ذلك ، وشجرة هناك ، وغير ذلك من العلامات التي يذكرها الناس يستدلون بها، ويدلُّون غيرهم بها.

تسمية الجبال أعلامًا

وسُمِّيت الجبال أعلامًا [(١)]؛ لأنها مرتفعة عالية، والعالي يظهر، ويُعلم، ويُعرف قبل الشيء المنخفض، ولهذا يوصف العالي بالظهور؛ كقوله: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَن يَظْهَرُوهُ﴾ [الكهف: ٩٧]، ويُقال: ظَهَر [(٢)] الخطيبُ على المنبر؛ ومنه قولُ النبيِّ ﷺ في الحديث الصحيح: «وأَنْتَ الظَّاهِرُ، فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» [(٣)]؛ فأدخل معنى العلو في اسمه الظاهر؛ لأن الظاهر يعلو، والعالي يظهر. وكذلك العالي يُعرف قبل غيره. ومنه قيل: عُرف الديك أصلهُ فعل؛ بمعنى مفعول؛ أي: معروف؛ كما يقال: كُره؛ بمعنى مكروه، ومنه الأعراف؛ وهي: أمكنة عالية بين الجنة والنار. وقد قيل في قوله: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ﴾ [النحل: ١٦]: إن العلامات هي النجوم؛ منها: ما يكون علامة لا يهتدي به، ومنها: ما يهتدي به، وقولُ الأكثرين أصح؛ فإن العلامات كلها يهتدي بها، ولأنه قد قال: ﴿وَأَلْقَىٰ فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ . وَعَلَامَاتٍ﴾ [النحل: ١٥، ١٦].

فهذا كله مما ألقاه في الأرض [(٤)]، وهو منصوب بـ «ألقى»، أو بفعلٍ من جنسه؛ كما قال بعضهم: أي: وجعل في الأرض أنهارًا؛ لأن الإلقاء من جنس الجعل. وبسط ما في هذا من إعراب ومعان له مقامٌ آخر.

العلامات والدلائل

○ **والمقصود هنا**؛ ذكرُ العلامات، والعلامات يدخل فيها ما تقدم من الرواسي والسبل؛ فإن كونها رواسي وسبلاً يسلكها الناس، غير كونها علامات، والعطف قد يكون لتغاير الصفات مع اتحاد الذات؛ كقوله:

---

(١) كما قال تعالى: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ [الرحمن: ٢٤].

(٢) أي: علا وصعد.

(٣) جزءٌ من حديث صحيح.
أخرجه مسلم في («الصحيح» ٢٧١٣) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٤) وقد مرّ تفصيل ذلك (ص: ٥٠٢).

﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ . وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى: ٢، ٣]، وأمثاله. فكيف إذا كانت العلامات تتناول هذا وغيره؟ فإن الجبال أعلام، وهي علامات؛ وكذلك الطرق يستدل بها السالك فيها. ولهذا يسمى الطريق إمامًا؛ لأن السالك يأتم به. وكذلك يسمون ما يستدل به المستدل طريقًا ومسلكًا. ويُقال: لأصحاب هذا القول عدة طرق، ومسالك؛ حتى أطلقوا على ما يُصنف من الاحتجاج على مسائل النزاع: طريقة؛ لأنه فيه أدلة المصنف على موارد النزاع، ومن هذا الباب الاستدلال على المرض بعلامات له، والاستدلال بالأصوات؛ فإن كانت كلامًا، كانت الدلالة قصدية إرادية، قصد المتكلّم أن يدل بها، وهي دلالة وضعية عقلية؛ وإن كانت غير كلام، كانت الدلالة عقلية طبعية؛ كما يستدل بالأصوات التي هي بكاء، وانتحاب، وضحك، وقهقهة، ونحنحة، وتنخم، ونحو ذلك، على أحوال المصوت.

من الدلائل: الشعائر

ومن الدلائل: الشعائر؛ مثل شعائر الإسلام الظاهرة، التي تدل على أن الدار دار الإسلام؛ كالأذان، والجُمَع، والأعياد.

○ وفي «الصحيحين»(١) عن أنس ﷺ قال: **«كَانَ رسول الله ﷺ إذا غزا قومًا لم يغز حتى يصبح، فإن سمع أذانًا أمسك، وإن لم يسمع أذانًا أغار**

---

(١) «البخاري» (٦١٠)، (٢٩٤٣)، (٢٩٤٤)، (٢٩٤٥)، (٤١٩٧) ومالك في «الموطأ» (١/ ٣٧٣) [٤٨] عن حميد الطويل عن أنس أن رسول الله ﷺ حين خرج إلي خيبر أتاها ليلاً وكان إذا أتى قومًا بليل لم يُغر(١) حتى يصبح...» وهذا لفظ مالك.

---

(١) قوله: «لم يغر بهم» من الإغارة، وفي رواية: «لم يقربهم» وفي «الصحيح»: «لا يغير عليهم» وفي رواية في «الصحيح» أيضًا: «لم يغز» وانظر كلام الحافظ في «الفتح» (٢/١٠٣)، وسيأتي شيءٌ في ذلك.

بعدما يصبح». هذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم: «كان يغير إذا طلع الفجر، وكان يستمع الأذان؛ فإن سمع أذانًا أمسك، وإلا أغار. فسمع رجلاً يقول: الله أكبر الله أكبر، فقال رسول الله ﷺ: **«على الفطرة»**، ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله، فقال: **«خرجت من النار»**[1].

وعن عصام المزني قال: كان النبيُّ ﷺ إذا بعث السرية يقول: **«إذا رأيتم مسجدًا، أو سمعتم مناديًا، فلا تقتلوا أحدًا»** رواه أبو داود، والترمذي، وابن ماجه[2].

من الدلائل والعلامات: دلائل الجهات ودلائل القبلة

ومن هذا النوع: «دلائل الجهات» ، ومنه: «دلائل القبلة»؛ يستدل عليها بالنجوم؛ والشمس، والقمر، والرياح، والطرق، وغير ذلك من الدلائل؛ كما قد ذكر الناس ما ذكروه من دلائل القبلة.

---

(١) أخرجه مسلم في («الصحيح» ٣٨٢) عن أنس .

● **قال الحافظ في («الفتح» ٢/ ١٠٧):**

«قال الخطابي: فيه أن الأذان شعار الإسلام؛ وأنه لا يجوز تركه، ولو أن أهل بلدٍ اجتمعوا على تركه كان للسلطان قتالهم عليه» ا.هـ.

وهذا أحد أقوال العلماء كما تقدم، وهو أحد الأوجه في المذهب. وأغرب ابن عبد البر فقال «لا أعلم فيه خلافًا» .

(٢) **ضعيف الإسناد:** «وليس عند ابن ماجه كما عزاه المصنف».

رواه أبو داود (٢٦٣٥) والترمذي في «سننه» (١٥٤٩) والبخاري في «التاريخ الكبير» (٧/ ٧٠) وأحمد في «مسنده» (٣/ ٤٤٨، ٤٤٩) والنسائي في «الكبري»(٥/ ٢٥٨، ٢٦٠) (٨٨٣١) وابن أبي شيبة في «مصنفه» (١٢/ ٣٧٦) باب: «من قال: إذا سمعت الأذان فأمسك عن القتال» والحميدي في «مسنده» (حديث ٨٢٠) وسعيد بن منصور في «سننه» (٢٣٨٥) وسعدان بن نصر ت ٢٦٥ في جزئه (رقم ٧٧ ط نزار تحقيق عبد المنعم إبراهيم) والبزار كما في («الإصابة» ٢/ ٤٨١) والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ١٠٧، ١٠٨، ١٨٢) وابن الأثير في «أسد الغابة» (٤/ ٣٥) والطبراني في «الكبير» (١٧/ ١٧٧) (٤٦٧) : وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٤/ ٢١٤٤) =

. . . .

= والمزي في «تهذيب الكمال» (١٨/ ٤٣٠) وعزاه الهيثمي في «المجمع» (٥/ ٣٢٤) للبزار وحسنه كما في (٦/ ٢١٠) وهو في («الأم» ٤/ ٢٤٤) للشافعي عن سفيان بن عيينة[١] عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق سمع ابن عصام المزني يحدث عن أبيه ـ وكانت له صحبة ـ قال: كان النبي ﷺ إذا بعث جيشًا أو سرية يقول لهم: «إذا رأيتم مسجدًا أو سمعتُم مؤذنًا، فلا تقتلوا أحدًا».

ورواه بعضهم بزيادة.

● قال الترمذي:

«حسن غريب»[٢].

وقال ابن المديني:

«إسناد مجهول، وابن عصام لا يعرف، ولا ينسب أبوه»[٣].

قلت:

---

(١) وأخرج ابن المقرئ في «فوائده» كما في («الإصابة» ترجمة مساحق) (٦/ ٦٩، ٧٠ ط الكتب) من طريق ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عبد الملك بن نوفل بن مساحق عن أبيه عن جده به.

قال الحافظ عقبه: وذكره أبو موسى وأشار إلى أن هذه الرواية شاذة.

(*) قال الحافظ في «الفتح» (٢/ ١٠٧):

(تنبيه):

وقع في سياق حديث الباب «لم يكن يغز بنا» واختلف في ضبطه، ففي رواية المستملي «يغر» من الإغارة مجزوم على أنه بدل من قوله يكن، وفي رواية الكشميهني «يغد» بإسكان الغين وبالدال المهملة من الغدو، وفي رواية كريمة: «يغزو» بزاي بعدها واو من الغزو، وفي رواية الأصيلي «يغير» كالأول، لكن بإثبات الياء، وفي رواية بضم أوله، وإسكان الغين من الإغراء، وفي رواية مسلم تشهد الرواية من رواه من الإغارة، والله أعلم. اهـ.

○ قلت:

قال ابن رجب في «فتح الباري» (٣/ ٤٣٩) دار ابن الجوزي:

«والإغارة: تبييت العدو ليلاً».

(٢) كذا في «المصدر السابق»، وفي «السنن المطبوع»: «حديث غريب».

(٣) «فتح الباري» لابن رجب (٣/ ٤٤١) دار ابن الجوزي).

○ فصلٌ ○

النوع الثاني من أقسام الدليل: ما يدل بقصد الدالّ به

والنوع الثاني[1]: ما يدلُّ بقصد الدال به؛ كالكلام، وكالعقد باليد، والإشارة بها، أو بالعين، أو الحاجب، أو غير ذلك من الأعضاء ـ وقد يُسمى ذلك رمزًا، ووحيًا ـ وكذلك الخط خط الكتابة، بخلاف الاستدلال بآثار خطى الإنسان؛ فإن هذا من النوع الأول، وكذلك القيافة؛ وهي من النوع الأول؛ وهو الاستدلال بالشبه على النسب، وكذلك القايف: قد يعرف بالأثر: من هو الواطئ وأين ذهب؟، ومن هذا النوع: الأميال التي جعلت علامات على حدود الحرم، والأميال التي تجعل في الطرقات؛ فإنه قصد بها الدلالة على الطريق؛ أي: قصد الناس بها ذلك.

أنواع الدلالة القصدية

□ وهذا النوع قسمان:

○ منه ما يكون بالاتفاق والمواطأة بين اثنين فصاعدًا؛ كما يتفق الرجل مع وكيله على علامة لمن يرسله إليه؛ مثل: وضع خنصره في خنصره؛ ومثل: وضع يده على ترقوته؛ كما رُوي أن النبيَّ ﷺ جعل ذلك علامة مع بعض

= عبد الملك بن نوفل بن مساحق، قال فيه الحافظ في «التقريب»: «مقبول» اهـ أي: إذا توبع، وإلا فلين.

وأما ابن عصام؛ فقد قال المزي في «تحفة الأشراف» (٧/ ٢٩٦): «لم ينسب».

وقال أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٠٤٥): «لم يسم أحد ابن عصام غير عمر بن حفص الشيباني، فإنه قال: عبد الله بن عصام عن أبيه اهـ. قلت: بل سماه غيره، فقال ابن عبد البر في «الاستيعاب» (٤/ ١٢٤٠) ترجمة عصام المزني: «روي عنه ابنه عبد الرحمن بن عصام». وجمع بينهما الحافظ بقوله:

«قيل اسمه عبد الرحمن، وقيل: عبد الله» اهـ.

وهو كما قال: «لا يعرف حاله».

(١) والنوع الأول وهو ما يدلُّ بنفسه؛ مرَّ ص (٥٠١).

الناس[1]؛ وكما يجعل الملوك وغيرهم لهم علامات عند بعض الناس: من جاء بها، عرفوا أنه مرسل من جهته.

ومن هذا الباب: شعائر الناس في الحرب؛ كل طائفة: يُعرف أصحابها بشعارها؛ ولهذا قال الفقهاء: ويُجعل لكل طائفة شعارًا يتداعون به؛ كما كان للمهاجرين شعار، وللأنصار شعار[2].

---

(١) ونحوه في («صحيح مسلم» رقم ٣١) عن أبي هريرة مرفوعًا.

(٢) كما ورد عند أبي داود (برقم: ٢٥٩٥) ومن طريقه: البيهقي في («الكبير» ٦/ ٣٦١) وابن أبي شيبة في («المصنف» السير / باب الشعار رقم ٣٣٥٦٧ ط الكتب) والطبراني في («الكبير» ٧/ ٢١٧) (٦٩٠٣) من طريق:

يزيد وحفص بن غياث عن حجاج عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: «كان شعار المهاجرين عبد الله وشعار الأنصار عبد الرحمن».

● وأخرجه الروياني في («المسند» ٢/ ٤٨) (٨٠٣) من طريق: حفص بن غياث عن حجاج عن قتادة عن الحسن عن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «شعار المهاجرين....».

●● وأخرجه ابن أبي شيبة في («المصنف» ٦/ ٥٣٤) (٣٣٥٦٣ ط الكتب) من طريق: أبي معاوية عن حجاج عن قتادة عن الحسن عن عبد الله بن عمرو قال: «كان شعار الأنصار عبد الله، وشعار المهاجرين: عبد الرحمن». على عكس الرواية الأولى.

○ قلتُ: وكلٌّ هذه الروايات معلّة بما يلي:

١ - حجاج وهو ابن أرطأة؛ قال الحافظ في «التقريب»: «صدوق كثير الخطأ والتدليس».

٢ - قتادة؛ مدلس وقد عنعن.

٣ - الحسن لم يسمع من سمرة إلا حديث العقيقة اجع «جامع التحصيل» للعلائي (ص ١٦٥).

٤ - سماع الحسن من عبد الله بن عمرو بعيد والله أعلم.

○ وللحديث شاهدٌ؛ أخرجه الحاكم في («المستدرك» ٢٥٦٥) (٢/ ١٢٨) ط الشيخ مقبل؛ من حديث عائشة مرفوعًا؛ بإسنادٍ ضعيفٍ؛ كما قال الذهبي في =

ومن هذا الباب؛ الأعلام والرايات للمقدمين؛ فإن الراية تُرى، فيُعلَم صاحبها، وكذلك العَلَم يعلم، فيُعلم صاحبه، وقد تميز راية عن راية لما يختص به صاحبها، ويُسمى ذلك «رنكًا»، وقد يكون ذلك اسم الشخص، وقد يكون غير ذلك، لكن قد اتفق مع غيره على أن هذا علامة وآية له، فمتى رؤى استدل به على أنه هو المضاف إليه ذلك العلم، ويجعل هذا على الدور، والثياب، والدواب.

ومنه: الوسم [(١)] الذي يعلم به إبل الصدقة، وإبل الجزية؛ فإن الوسم علامة مقصودة للواسم.

وأما السيما: فهي علامة بنفسها، لم يقصدها؛ مثل سيما المؤمنين، وسيما المنافقين؛ قال تعالى في المؤمنين: ﴿**سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ**﴾ [الفتح: ٢٩]، وقال في المنافقين: ﴿**فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ**﴾ [محمد: ٣٠]، وقال: ﴿**عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ**﴾ [القلم: ١٣]؛ قيل له: زنمة من الشر يعرف بها؛ ومنه: سيما المؤمنين يوم القيامة؛ التي بها يعرفهم نبيهم؛ وهو: «**أنهم غرٌّ مُحجَّلون من آثار الوضوء**» [(٢)]؛ فهذه علامة وآية، لكنها من النوع

= («التلخيص» ٢/ ١٠٦ المعرفة).

● **قلت**: والشعار هو العلامة في الحرب؛ وهو ما يُعبر عنه في الوقت الحالي «بالأقارم السرية».

(١) ● نقل في («اللسان» ٤٨٣٨) عن الليث قوله: «الوسم أثر كيّة، تقول موسوم؛ أي: قد وسم بسمة يُعرف بها، إمّا كيةٌ وإما قطعٌ في أذن، أو قرمةٌ تكون علامةً له. وفي التنزيل العزيز: ﴿**سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ**﴾ [القلم: ١٦]».

(٢) ● كما في («صحيح مسلم» ٢٤٦) من حديث نعيم بن عبد الله المجمر قال: رأيت أبا هريرة يتوضأ. فغسل وجهه فأسبغ الوضوء. وفيه قال: قال رسول الله ﷺ: «أنتم الغر المحجلون يوم القيامة من إسباغ الوضوء». فمن استطاع منكم فليطل غرته وتحجيله» وأخرجه البخاري في («الصحيح» برقم: ٣٦) عن نعيم المجمر به أيضًا.

الأول، لم يقصد المسلمون أن يتوضؤوا ليُعرفوا بالوضوء ، لكن من اللوازم لهم: الوضوء للصلاة، وقد جعل الله أثر ذلك نورًا في وجوههم وأيديهم ، وليس هذا لغيرهم؛ فإن هذا الوضوء لم يكن لغيرهم؛ والحديث الذي يُروى: (**هذا وضوئي ووضوء النبيين من قبلي**)[1]: ضعيفٌ، بخلاف الصلاة في المواقيت الخمس؛ فإن الأنبياء كانوا يصلون في هذه المواقيت ؛ كما قال:

---

(١) **ضعيف**: وقد ضعّفه عددٌ من الحفاظ ؛ كما سيأتي :

وضعفه المصنف أيضًا في «مجموع الفتاوى» (٢٣/ ١٦٨) حيث قال : «حديثٌ ضعيفٌ عند أهل العلم بالحديث؛ لا يجوز الاحتجاج بمثله» .

○ ومن هؤلاء الحفاظ الذين ضعّفوه ؛

[١] أبو حاتم ؛ حيث قال كما في («التلخيص» ١/ ٨٢) : «لا يصحُّ هذا الحديث عن النبي ﷺ» وهو في («العلل» ١/ ٤٥) لابن أبي حاتم .

[٢] أبو زرعة؛ حيث قال كما في («العلل» لابن أبي حاتم ١/ ٤٥) : «هو عندي حديث واهٍ» .

[٣] البيهقي؛ في «معرفة السنن والآثار» (١/ ١٧٥) فقال قال : «روي من أوجه كلها ضعيفة» .

[٤] ابن حجر ؛ في («الفتح» (١/ ٢٨١) [1] أول كتاب الوضوء ؛ حيث قال : «وأما حديث أبي بن كعب أن النبي ﷺ دعا بماءٍ فتوضأ مرة مرةً ؛ وقال : (هذا وضوءٌ لا يقبل الله الصلاة إلا به) ففيه . . . لكنه حديثٌ ضعيف؛ أخرجه ابن ماجه ، وله طرق أخرى كلها ضعيفة » انتهى.

● قلت :

وهو كما قالوا؛ فجميع ما وقفتُ عليه من طرقٍ لهذا الحديث لا تخلو من ضعفٍ في أسانيدها. وقد رُوي عن عدّةٍ من الصحابة ؛ منهم :

١ ـ ابن عمر ؛ وله عنه طرقٌ ؛ فرواه عنه :

● نافع ، وعنه زيد العمّي ، واختلف على زيد على النحو الآتي .

رواه أحمد في («المسند» ١٠/ ٢٧ الرسالة) ومن طريقه الدارقطني في («السنن » =

---

(١) كما في «الإرواء» (١/ ١٢٦).

. . . .

= ١/ ٨١) .
من طريق أبي إسرائيل وهو إسماعيل بن خليفة الملائي عن زيد به . قلت : وهذه الرواية مرجوحة ـ مع ما فيها من ضعف ؛ فقد خالف أبا إسرائيل جمعٌ ؛ منهم :
ـ محمد بن الفضل كما عند الدارقطني في («السنن» ١/ ٧٩) .
ـ سلام الطويل كما عند الدارقطني (١/ ٨٠) والبيهقي في («الكبرى» ١/ ١٣٩ الفكر) (١/ ٨٠ ـ المعرفة).
ـ عبد الرحيم بن زيد كما عند ابن ماجه في («السنن» ٤١٩) [وانظر «الخلافيات» ٢٨٣] ثلاثتهم عن زيد العمى عن معاوية بن قرة عن ابن عمر مرفوعًا .
واختلف على عبد الرحيم بن زيد في هذه الرواية ؛ ولكن هذه هي الراجحة [١] .
● قلتُ: ومدارُ هذه الأوجه كلها على زيد العمّى وهو ضعيف ثم في سماع معاوية من ابن عمر إشكال؛ فلا نُطيل بكثرة الروايات .
وقد رواه ابن ماجه في («السنن» ٤٢٠) من طريق ابن عرادة الشيباني عن زيد العمى عن معاوية بن قرة عن عبيد بن عمير عن أبي بن كعب مرفوعًا .
● **قال الحافظ في («التخليص» ١/ ٨٢) :**
«وعبد الله بن عرادة وإن كانت روايته متصلة فهو متروك» . ا.هـ قلت : وزيد العمى أيضًا ضعيف ورواه عن ابن عمر أيضًا :
●● عبد الله بن دينار .
أخرجه الدارقطني في («السنن» ١/ ٨٠) والبيهقي في («الكبرى» ١/ ١٣٨، ١٣٩ الفكر) (١/ ٨٠ ط المعرفة) وفي («الخلافيات» برقم: ٢٨٤) والحسن بن سفيان في («الأربعين» رقم: ١٧) ومن طريقه البيهقي في («معرفة السنن والآثار» ١/ ١٧٥) من طريق : المسيب بن واضح عن حفص بن ميسرة عنه به .
○ **قلتُ:** وسندُهُ ضعيف؛ لأجل المسيب بن واضح؛ ضعفه الدارقطني والبيهقي وغيرهما قال البيهقي: «وهذا الحديث من هذا الوجه ينفرد به المسيب بن واضح وليس بالقوي».
●●● أبو حازم . =

---

(١) وانظر «الخلافيات» للبيهقي (٢٨٣) و («بذل الإحسان» ٢/ ٤١٦).

(هذا وقتك ووقتُ الأنبياء قبلك) (١).

= أخرجه ابن عدي في («الكامل» ٣/ ١٠٩٧) (١) من طريق : محمد بن تمام بن صالح عن المسيب ابن واضح عن سليمان بن عمرو النخعي عنه به .

● **قلت** : وفيه متَّهمٌ بالكذب .

● **هذا** ؛ وثم طرقٌ أخرى للحديث عن أنس وعائشة وأبي هريرة وزيد بن ثابت(٢) وبريدة ؛ كلها ضعيفة منها منكرٌ ومقلوب ؛ راجع «التلخيص» (١/ ٨٢، ٨٣) و«مجمع الزوائد» (١/ ٢٣١) و«الإرواء» (رقم: ٨٥) و («العلل» ١/ ٦٥، ٦٦) (رقم: ١٧٢) (٣) لابن أبي حاتم .

○○ **قُلتُ: فأنت ترى أنه لا يخلو شيء من الطرق إلا وفيه كلامٌ ؛ ولذلك حكم عليه من حكم من الأئمة كما نص إيرادُ أقوالهم ، حكموا عليه بالضّعف؛ وتبعهم على ذلك الشيخ الألباني ـ رحمه الله ـ؛ فلم يُعْجِب هذا الصنيع مؤلف «التعريف» محمود بن سعيد ممدوح (٢/ ١٩٠) فراح يردُّ هذاَ كلَّه ؛ بقوله «تحسين الحديث ليس ببعيد» ! مع أنَّ أحداً ممن سبق ذكرهم لم يقل بهذا . فلم التهجم وطلب تخطئة الأعلام ؛ وليس ثم خطأ ؛ والله المستعان.**

(١) **جزءٌ من حديث حسن.**

أخرجه أبو داود في(«السنن» ٣٩٣) والترمذي في («السنن» ١٤٩) وأحمد في («المسند» ٣٠٨١، ٣٠٨٢، ٣٣٢٢) وابن أبي شيبة في («المصنف» ١/ ٣١٧، ١٤/ ٢٥٧) وعبد الرزاق في («المصنف» ٢٠٢٨) والحاكم في («المستدرك» ١/ ١٩٣) والدارقطني في («السنن» ١/ ٢٥٨) وابن خزيمة في («الصحيح» ٣٢٥) والشافعي في («المسند» ١/ ١٤٣ شفاء العي برقم ١٤٥) ومن طريقه البيهقي في («الكبرى» ١/ ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٧٢، ٣٧٣) وفي («السنن الصغير» ٢٤٠) و («معرفة السنن الآثار» ١/ رقم ٥١٢) وابن الجارود في (« المنتقى » ١٤٩، ١٥٠) وعبد بن حميد في («المنتخب» =

---

(١) كما في («البذل» ٢/ ٤٢٤) للحويني.

(٢) عند الحسن بن محمد الخلاّل في («المجلس العشرة من الأمالي» حديث ٩٥) وضعَّف محققه سنده جداً وقال: «فيه علي بن الحسن الشامي قال ابن حبان: لا يحل كتب حديثه إلا على جهة التعجب».

(٣) كما في («البذل» (٢/ ٤٢٤).

. . . .

= ٧٠٣) والبغوي في («شرح السنة» ٣٤٨) وأبو يعلى في («المسند» ٢٧٥) والطبراني في («الكبير» ١٠٧٥٢، ١٠٧٥٣، ١٠٧٥٤) والمروزي في («تعظيم قدر الصلاة» ٢٩) والطحاوي في («شرح معاني الآثار» ١/ ١٤٦، ١٤٧) وابن المنذر في («الأوسط» رقم ٩٤٤) وأبو بكر بن العربي في («العارضة» ١/ ٢٥٠) [من طريق البخاري في غير الصحيح] ؛ كلهم من طرقٍ: عن عبد الرحمن بن الحارث بن عبد الله بن عياش عن حكيم بن حكيم عن نافع بن جبير عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أمنى جبريل عند البيت مرتين ؛ فصلّى بي الظهر . . . الحديث في المواقيت بطوله» .

○قلت : وإسنادُه فيه عبد الرحمن بن الحارث ؛ مختلفٌ فيه ؛ فقال الزيلعي في («نصب الراية» ١/ ٢٢١) : «وعبد الرحمن بن الحارث هذا ؛ تكلم فيه أحمد ، وقال: متروك الحديث ؛ هكذا حكاه ابن الجوزي في كتاب «الضعفاء» ولينه النسائي وابن معين وأبو حاتم الرازي ،

●وثقه ابن سعد وابن حبان » انتهى . قلت : وقوله (ابن معين) ؛ لعلّه يقصد ابن المديني ؛ كما في («تهذيب» ابن حجر ٦/ ١٤٢) ؛ أما ابن معين ؛ فقد قال فيه: «صالح» كما في («تهذيب» المزي) و («الجرح والتعديل») وفي «التهذيب» : «ليس به بأس» ؛ وقال أبو حاتم : «شيخ» (٥/ ٢٢٤) وقال ابن نمير: «لا أقدم على ترك حديثه». وذهب الحافظ في («التقريب») إلى أنه: «صدوقٌ له أوهام» .

●هذا ؛ وقد توبع ؛ تابعه محمد بن عمرو بن علقمة ؛ أخرجه الدارقطني في («السنن» ١/ ٢٥٨) والمروزي في («تعظيم قدر الصلاة» ٣١).

●قلت : أما حكيم بن حكيم ؛ فوثقه بعضهم ؛ وتكلّم فيه آخرون ؛ وذهب الحافظ في «التقريب» إلى أنه «صدوق» . وقد توبع ؛ تابعه :

[١] عمر بن نافع بن جبير . أخرجه عبد الرزاق في («المصنف» ٢٠٢٩) ؛ لكن في إسناده العمري قال الشيخ ابن دقيق العيد؛ كما في («نصب الراية ١/ ٢٢٢) و «التلخيص» ١/ ١٧٣) : «وهي متابعة حسنة» .

● وتابعه أيضًا :

[٢] عبيد الله بن مقسم ؛ أخرجه الدارقطني في («السنن» ١/ ٢٥٨).

[٣] وزياد بن أبي زياد ؛ في المصدر السابق، وسندهما ضعيف ؛ لكنها على أي حال=

. . . .

= متابعاتٌ في الباب؛ تشد من أزر الحديث وتقويه .

○ولذلك ذهب جـمعٌ من أهل العلم إلى تصـحيحـه ؛ ولم أر أحدًا ضـعفـه ؛ وممن صححه الإمام الترمذي؛ حيث قال في «السنن» : «حديث حسن صحيح» . وصححه ابن عبد البر في التـمهيد ؛ كما في («التلخيص» ١/ ١٧٣) وصـححه ابن خزيمة وابن السكن[1] والحاكم (١/ ١٩٢) وحسنه البغوي .

● **وقال أبو بكر بن العربي في («عارضة الأحوذي» ١/ ٢٥١) :**

ورواةُ حديث ابن عباس هذا كلهـم ثقات مشاهير لا سيمـا وأصلُ الحديثِ صحيحٌ في صلاة جبريل بالنبي ﷺ ، وإنما هذه الرواية تفسير مجمل وإيضاح مشكل» انتهى .

ولذلك أعقبها أبو حاتم ابن حبان في كتابه («الثقات» ١/ ١٠٥) بعد حديث الإسراء .

واحـتج به في («الصـحـيح» عـقب ٦٢٢٣) (١٤/ ١١٥) ؛ وصـحـحـه النووي في «المجموع» (٣/ ٢٣) وبحث الحديث العلامة أحمـد شاكر في التعليق على («الترمذي» ١/ ٢٨٢) وقال بعـده : «والحديث صحـيح بكل حال» وكذلـك جنح إلى تصحيـحه العلامة الألباني في («الإرواء» ٢٤٩) (١/ ٢٦٨).

● **وقد وقفت للحـديث على شاهد** ؛ أخرجه إسحاق ابن راهويه في «المسند» (كما في «نصب الراية» ١/ ٢٢٤) و («الاتحـاف» للبـوصـيري ٧٨١ ط الوطـن) والبيـهـقي في («الكبرى» ١/ ٣٦١، ٣٦٥) من طريق:

سليمان بن بلال عن يحيى بن سعيد عن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم عن أبي مسعـود الأنصاري مرفوعـًا به وفيه : «هذه صلواتُك وصلوات الأنبيـاء قبلك». ولكنه منقطع ؛ كما قـال البيهقي: «أبو بكر بن مـحمد بن عمرو بن حـزم لم يسمع من أبي مسـعود الأنصـاري ، وإنما هو بلاغ بلغه؛ وقـد روي ذلك في حديث آخـر مرسل». انتهى.

●قلت : وقد أخرج هذا المرسل ؛ الحـارث بن أبي أسامة ؛ كما في («بغـية الباحث» ١٠٦ لابن كثـير) (ص ٤٩) و («الاتحاف» ٧٨٢ للبوصـيري). ووصله أيوب بن عتـبة عند البـيهـقي في («المعـرفة» ٥١٨، ٥١٩) قـال البـيهـقي : «وأيوب بن عـتبـة ليس بالقوي»، وقد خالفه سفيان فرواه عن الزهري عن عروة عن بشير بن أبي مسعود عن=

---

(١) كما في «تحفة المحتاج» لابن حجر الهيثمي.

والوسم والسيما: من الوسم؛ متفقان في الاشتقاق الأوسط؛ فإن أصل سيما: سُومًا. فلما سكنت الواو: انكسر ما قبلها، قُلبت ياءً؛ مثل: ميقات، وميعاد، ونحو ذلك.

والاسم أيضًا من هذا الباب، وهو علم على المسمى، ودليلٌ عليه، وآية عليه. وهذا المعنى ظاهرٌ فيه؛ فلذلك **قال الكوفيون**: إنه مشتقٌ من الوسم، والسمة؛ وهي: العلامة، **وقال البصريون**: بل هو مشتق من السمو؛ فإنه يقال في تصغيره: سمي، لا وُسَيْم، وفي جمعه: أسماء، لا أوسام، وفي تصريفه: سميْت، لا وسمت.

وكلا القولين حق، لكن قول البصريين أتم؛ فإنه مشتق منه على قولهم في الاشتقاق الأصغر؛ وهو: اتفاق اللفظين في الحروف وتأليفها، وعلى قول **الكوفيين**: هو مشتق منه من الاشتقاق الأوسط؛ وهو: اتفاق اللفظين في الحروف، لا ترتيبها؛ كما قلنا في الوسم، والسيما. والسمو: هو العلو، والسامي: هو العالي، والعلو مستلزم للظهور كما تقدم؛ فالعالي ظاهرٌ، والظاهر عالٍ؛ فكان الاسم بعلوه يظهر، فيدل على المسمى؛ لأنه يظهر باللسان والخط، ويظهر للسمع المسمى، فيُعرف بالقلب.

وقد تَقدَّم أنهم يُسمون الجبال أعلامًا، لما فيها من الظهور.

ودلالة الاسم على مُسماه دلالة قصدية؛ فإن المسمَّى يُسمى بالاسم، ليُعرف به المسمى، وليُدل عليه؛ تارة يقصد به الدلالة على مجرد نفسه؛ كالأسماء الأعلام للأشخاص، وتارة يقصد به الدلالة على ما في اللفظ من المعنى؛ كالأسماء المشتقة؛ مثل: العالم، والحي، والقادر.

= أبيه مرفوعًا؛ في الصحيحين [1]؛ والله أعلم.

(١) خ (٥٢١) و م (٦١٠).

ومن هذا الباب: تسمية المعبودين آلهة؛ سموها بما لا تستحقه؛ كما يُسمى الجاهل عالمًا، والعاجز قادرًا، والكذاب نبيًّا؛ فلهذا قال تعالى: ﴿إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ﴾ [النجم: ٢٣].

○○ والنوع الثاني[١] من هذه الدلالة القصدية: أن يقصد الدال الدلالة من غير مواطأة مع المستدلين على أنه دليل، لكن هم يعلمون أن قَصَدَ الدلالة؛ لعلمهم بأحواله؛ مثل: ما يرسل الرجل شيئًا من ملابسه المختص به مع شخص، فيعلمون أنه أرسلها علامة على أنه أرسله.

⊲ قال سعيد بن جبير: عن ابن عباس: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾: قال: العلامة: تكون بين الرجل وأهله.

رواه ابن المنذر[٢]: حدثنا موسى بن هرون، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، ثنا وكيع عن سفيان عن سماك، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس. ورواه ابن أبي حاتم[٣]: ثنا أبو سعيد؛ ابن يحيى بن سعيد القطان، ثنا أبو أسامة حدثني سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن

---

(١) تقدَّم النوع الأول (ص: ٥١٥).

(٢) وكما في «الدر» للسيوطي (الحجر: ٧٧) قلتُ: وهو صحيح.

(٣) في («التفسير») كما في «الدر».

● قلتُ: وهو صحيح.

وأخرجه ابن جرير في («التفسير» الحجر: ٧٧)، من طريق أبي أسامة به. وعزاه السيوطي للحاكم؛ وهو في «المستدرك» (التفسير رقم ٣٤٠٨ ط الشيخ مقبل). من طريق أبي نعيم عن سفيان به.

وأخرجه الطبري برقم (٢١٢٦١ دار الكتب) (الحجر: ٧٧) من طريق: أبي أحمد عن سفيان به.

● قال الحاكم:

«هذا حديثٌ صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».

عباس: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً﴾ قال: «علامة، ألم تر إلى الرجل إذا أراد أن يرسل إلى أهله في حاجة، أرسل بخاتمه، أو بثوبه فعرفوا أنه حق»؛ فتارة يرسل خاتمه معه، فيعلمون أنه أرسله؛ ليعلموا أنه أرسله؛ إذ كانوا قد علموا أن الخاتم معه، وأنه ليس في إرساله مع ذلك الشخص الذي لا يعرفونه مقصود له، إلا أن يكون علامة على أنه أرسله إليهم، فيصدقونه فيما أخبر عنه؛ وتارة يرسل معه عمامته، أو نعليه، وقد علموا أنه لا يخلع منه عمامته ويبعثها مع ذلك الشخص، إلا لتكون علامة على صدقه؛ كما فعل النبيُّ ﷺ في غزاة الفتح: لما كانت راية الخزرج مع سعد بن عبادة، وكان فيه حدة، وقال: «لا قريش بعد اليوم، اليوم يوم الملحمة، اليوم يستحل الحرمة»، قيل للنبيِّ ﷺ إنه يُخاف منه أن يضع السيف في أهل مكة، فقال: **«قولوا له يُعطي الرّاية لابنه قَيْس»**. فقال: إنه لا يقبل منه. فقال: **«هذه عمَامَتي، قولوا لهُ: قَدْ أَمرَ رَسولُ الله ﷺ بذلك»** [1]؛ فلما رأي عمامته مع مَن جاء بها، علم أنه ليس له في إعطائه عمامته مقصود إلا أن تكون علامة، ولم يكن قبل ذلك قد واطأه على ذلك.

---

(١) روى أوله البخاري في («الصحيح» ٤٢٨٠) من طريق أبي أسامة عن هشام عن أبيه قال: «لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح؛ فبلغ ذلك قريشًا .... القصة».

● وتابع هشامًا: أبو الأسود؛ كما عند الطبراني في («الكبير» ٨/ ٨) (٧٢٦٣) من طريق: ابن لهيعة عنه؛ وابن لهيعة ضعيف؛ لكنّه يستشهد به.

○ **قلتُ**: وأشار الحافظ في («الفتح» ٨/ ٩) إلى الشاهد الذي أورده المصنف هنا وعزاه للأموي في «المغازي» ولابن عساكر عن جابر ولأبي يعلى عن الزبير وضعف سنده جدًا الحافظ؛ وعزاه للبزار عن أنس في قصة؛ وحكى الحافظ فيمن أخذ الراية أقوالاً ذكرها في («الفتح» ٨/ ٩).

○ وانظر ابن أبي شيبة في («المصنف» باب: حديث فتح مكة) (٣٦٩٠٠) ٧/ ٣٩٩) وعبد الرزاق («المصنف» ٥/ ٢٨٨) (٩٦٤٢).

وكذلك لما أعطى أبا هريرة نعليه ليخرج فيبشر الناس بما ذكره له [(١)] ، فإنهم إذا رأوا معه نعليه، علموا أنه لم يعطه النعلين إلا علامة.

وكذلك قد يكون بين الشخص وبين غيره سر لم يطلع عليه المرسَل ، فيقول له: أعطني علامة. فيقول : قل له: بعلامة ما تكلمتَ أنت وهو في كذا وكذا ، أو ما فعلت أنت وهو كذا وكذا؛ فيعلم المرسَل إليه أنَّ المرسِل هو أعلم هذا الرسول بهذا الأمر؛ إذ كان غيره لم يعلمه ، ويعلم أنه ليس له في إعلامه به مقصود إلا أن يكون علامة له على تصديقه.

(١) **حديث صحيح وإسناده حسن** وهو قطعةٌ من حديثٍ أخرجه :

أخرجه مسلم في «صحيحه» (رقم ٣١) [٥٢] [ص : ٦٠] وابن حبان في (الإحسان) (٤٥٤٣) والبيهقي في الاعتقاد (ص ٢٩ دار الفضيلة) من طريق عكرمة بن عمار عن أبي كثير السحيمي عن أبي هريرة ﵁ قال :

«كنا قعودًا حول رسول الله ﷺ ، معنا أبو بكر وعمر في نفر فقام رسول الله ﷺ من بين أظهرنا فأبطأ علينا، وخشينا أن يُقتطع دوننا وفزعنا فقمنا فكنت من فزع فخرجت أبتغي رسول الله ﷺ حتى أتيت حائطًا للأنصار لبني النجار فدرت به هل أجد له بابًا فلم أجد فإذا ربيع يدخل في جوف حائط من بئرٍ خارجة، والربيع الجدول، فاحتفزت كما يحتفز الثعلب ، فدخلت على رسول الله ﷺ فقال : **يا أبا هريرة** ؟ فقلت: نعم. يا رسول الله . قال : **ما شأنك** ؟ قلت: كنت بين أظهرنا ، فقمت فأبطأت علينا فخشينا أن تقتطع دوننا ، ففزعنا فكنت أول من فزع فأتيت هذا الحائط فاحتفزت كما يحتفز الثعلب ، وهؤلاء الناس ورائي . فقال: **يا أبا هريرة وأعطاني نعليه** . قال : «**اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبه . فبِّشره بالجنة**. . . إلخ الحديث».

وأخرج جزءًا من الحديث البيهقي - رحمه الله - في «شعب الإيمان» (١/ ٣٩) (رقم ٦) من طريق عكرمة به.

ثم أكثر هذه الآيات التي هي علامات للناس يرسلونها مع من يرسلونه ليعرف صدقه: هي قطعية عند المستدل بها المرسَل إليه؛ من الأهل، والأصدقاء، والوكلاء، والنواب، وغيرهم: يأتيهم الرجل بعلامة وهي مستدلة بصاحبهم؛ فيعلمون قطعًا أن هذا جاء من عنده، ويعلمون قطعًا أنه لم يرسله بتلك العلامة إلا ليعلموا صدقه.

لا يخطر لسعد بن عبادة حين رأى عمامة النبيِّ ﷺ معهم أنهم أخذوها بغير قصده؛ بأن تكون سقطت منه[أ]، ونحو ذلك. بل قد عُلِم أنها كانت على رأسه، وهو راكب في الجيش، وقد أرسلها مع هذا.

وكذلك خاتم الشخص الذي يعلمون أنه لا ينزع خاتمه من يده، ويعطيها لغيره، ليعبث بها عنه، وهو لا يختم بها شيئًا إلا لذلك.

وقد يقعُ في مثل ذلك احتمالات، فيستعمل المستدلّون التقسيم؛ فإن الاستدلال مداره على أنه أرسله بالعلامة، وأنه إنما أرسله بها ليبين صدقه؛ فقد يعرض في **المقدمة الأولى** أنه أخذها بغير اختياره، أو أن الخاتم سقط منه، أو إن كان مسافرًا أنه قُتل، أو مات؛ فقد يقع مثل ذلك، وقد يؤخذ خاتم الرجل بغير أمره، ويُخَتَم به كتابه؛ كما حُكِي أن مروان[1] فعل مثل ذلك بعثمان [2].

والمقدمة الثانية؛ أنه قد يرسله بالخاتم ليختم به شيئًا، أو ليصلحه، ونحو

---

(١) هو ابن الحكم بن أبي العاص بن أمية: ابن عم عثمان بن عفان؛ ترجمته في «البداية» للحافظ ابن كثير (٨/ ٢٥٩).

(٢)● راجع «البداية» لابن كثير (٧/ ١٨٨).

(أ) في «خ»: «وقعت منه».

ذلك. فإذا عرض مثل هذا الاحتمال وقوي توقفوا ، وإن عرفوا انتفاء ذلك؛ مثل: أن يكون قد ذهب من عندهم قريبًا ، وليس له ما يختم به، ونحو ذلك ، قطعوا بأنه أرسله علامة ، ثم بعد هذا قد يعلمون أنه أرسله ، لكن قد يَكْذِبُ عليه، ولكن العهدة في هذا على المرسِل؛ فإن إرسال العلامة هو إعلام منه لهم بأني أرسلته إليكم؛ فهذا الفعل هو مثل هذا القول، يجري مجرى إعلامهم وإخبارهم بأنه أرسله ، وتصديقه في قوله: هو أرسلني .

طريقة الإخبار والإعلام إما بالقول أو بالعمل

والإخبار تارة يكون بالقول، وتارة يكون بالعمل؛ كما يُعلِم الرجلُ غيرَه بالإشارة بيده، ورأسِه، وعينِه، وغير ذلك ، وإن لم يتقدم بينهما مواضعة، لكن يعلم قصده ضرورة؛ مثل: أن يسأله عن شيء: هل كان ؟ فيرفع رأسه، أو يخفضه، أو يشير بيده، أو يكون قائمًا؛ فيشير إليه: اجلس ، أو قاعدًا مطلوبًا؛ فيشير إليه: أن اهرب ، فقد جاء عدوك ، أو نحو ذلك من الإشارات التي هي أعمال بالأعضاء؛ وهي تدل دلالة ضرورية، تُعلم من قصد الدال، كما يدل القول ، وقد تكون أقوى من دلالة القول ، لكن دلالة القول أعم وأوسع؛ فإنه يدلُّ على الأمور الغائبة ، وعلى الأمور المعضلة.

وهذه الأدلَّةُ العيانية هي أقوى من وجه ، ولكن ليس فيها من السعة للمعاني الكثيرة ما في الأقوال .

○ فَصْلٌ ○

الدليل مستلزم للمدلول

وخاصة الدليل أن يكون مستلزمًا للمدلول ، فكلُّ ما استلزم شيئًا كان دليلاً عليه، ولا يكون دليلاً إلا إذا كان مستلزمًا له، ثم دلالة الدليل تُعلم، كما يُعلم لزوم اللازم للملزوم، وهذا لا بُدَّ أن يُعلم بالضرورة ، أو بدليلٍ ينتهي إلى الضرورة.

وعلى هذا: فآيات الأنبياء هي أدلة صدقهم، وبراهين صدقهم ، وهي ما يستلزم صدقهم ، ويمتنع وجوده بدون صدقهم؛ فلا يمكن أن يكون ما يدل على النبوة موجودًا بدون النبوة، ثم كونه مستلزمًا للنبوة ، ودليلاً عليها، يُعلم بالضرورة ، أو بما ينتهي إلى الضرورة.

فآياتُ الأنبياء صلوات الله عليهم وسلامه لا تُحَدُّ بحدود يدخل فيها غير آياتهم؛ كحدِّ بعضهم ـ كالمعتزلة وغيرهم ـ بأنها خرقٌ العادة، ولم يعرف مسمى هذه العبارة ، بل ظن أن خوارق السحرة، والكهان، والصالحين خرقٌ للعادة؛ فكذبها؛ وحدَّ بعضهم بأنها الخارق للعادة، إذا لم يُعارضه أحد.

وجعل هذا فصلاً احترز به عن تلك الأمور؛ فقال: المعجزة هي الخارق المقرون بالتحدِّي بالمثل، مع عدم المعارضة. وجوَّز أن يأتي غير الأنبياء بمثل ما أتوا به سواء مع المعارضة ، وجعل ما يأتي به الساحر والكاهن معجزات، مع عدم المعارضة. وحقيقة المعجز هذا ما لم يعارض، ولا حاجة إلى كونه خارقًا للعادة ، بل الأمور المعتادة إذا لم تُعارض كانت آية.

وهذا باطلٌ قطعًا. ثم مسليمة، والأسود العنسي [1]، وغيرهما ، لم

(١) سبق ذكر هذين الرجلين ؛ وادعائهما النبوة في كلام المصنف (ص ١٢٥).

يُعارَضوا.

ثم يُقال: ما يعني بعدم المعارضة في ذلك المكان والزمان؛ فالسحرة والكهان لا يُعارَضون، والعنسي، ومسليمة [١] لم يعارَضا في مكانهم، ووقت إغوائهم.

وإن قال: لا يُعارض البتة. فمن أين يعلم هذا العدم؟ **فإن قيل: فما آيات الأنبياء؟** قيل: هي آيات الأنبياء التي يُعلم أنها مختصة بالأنبياء، وأنها مستلزمة لصدقهم، ولا تكون إلا مع صدقهم، وهي لا بُدَّ أن تكون خارقة للعادة، خارجةً عن قدرة الإنس والجن، ولا يمكن أحدًا أن يعارضها، لكن كونها خارقة للعادة، ولا تمكن معارضتها هو من لوازمها ليس هو حدًّا مطابقًا لها، والعلم بأنها مستلزمة لصدقهم قد يكون ضروريًا؛ كانشقاق القمر، وجَعْل العصا حية، وخروج الناقة.

من صفات المعجزة وليس شرطًا واجبًا فيها أنها خارقة للعادة ولا تعارض

فمجرَّدُ العلمِ بهذه الآيات يُوجب علمًا ضروريًا بأن الله جعلها آية لصدق هذا الذي استدل بها، وذلك يستلزم أنها خارقة للعادة، وأنه لا يمكن معارضتها.

فهذا من جملة صفاتها، لا أن هذا وحده كاف فيها، وهذا إذا قال مَنْ قال: إن فلانًا أرسلني إليكم؛ فإنه يأتي بما يعلم أنه علامة.

والعلامة، والدليل، والآية، حدها أنها تدل على المطلوب.

وآيات الأنبياء تدلُّ على صدقهم، وهذا لا يكون إلا مع كونها مستلزمةً لصدقهم؛ فيمتنع أن تكون معتادة لغيرهم، ويمتنع أن يأتي من يعارضهم بمثلها، ولا يمتنع أن يأتي نبيٌّ آخر بمثلها، ولا أن يأتي من يصدقهم بمثلها؛ فإن تصديقه لهم يتضمن صدقهم، فلم يأت إلا مع صدقهم.

---

(١) سبق ذكر هذين الرجلين؛ وادعائهما النبوة في كلام المصنف (ص ١٢٥).

وقد تكون الآيات تدلُّ على جنس الصدق؛ وهو صدق صاحبها؛ فيلزم صدقه إذا قال : أنا نبي ، ولكن يمتنع أن يكون لكاذب.

فهذا ونحوه مما ينكشف به حقيقة هذا الباب، وهو من أهم الأمور.

وإذا فُسِّر خرق العادة: بأنها خرق لعادات غير الأنبياء؛ أي: لا يكون لغير جنسهم، وجنس من صدَّقهم ، وفسَّر عدم المعارضة: بأنه لا يقدر أن يأتي بها من ليس بنبي، أو متبع لنبيٍّ ، كان المعنى واحدًا، واتَّحدت التفاسير الثلاثة [1].

---

(١) أي: لاتَّحد تعريف المعتزلة والأشاعرة مع تعريف أهل السنة والجماعة. ولكن المعتزلة أنكروا الخوارق التي للأولياء وخوارق السحرة والأشاعرة أثبتوا الخوارق، لكنهم جوّزوها على الأنبياء وغيرهم دون فرقٍ صحيح؛ وقد وضحّ ذلك الدكتور الطويان.

○ فصلٌ ○

أنواع الدلالات

والله سبحانه دلَّ عباده **بالدلالات العيانية** المشهودة ، **والدلالات المسموعة**؛ وهي كلامُهُ. لكن عامتهم تعذَّر عليهم أن يسمعوا كلامه منه، فأرسل إليهم بكلامه رسلاً، وأنزل إليهم كتبًا.

والمخلوق إذا قصد أعلام من يتعذَّر أن يسمع منه، أرسل إليه رسلاً، وكتب إليه كتبًا؛ كما يفعل الناس؛ ولاة الأمور، وغيرهم: **يُرسلون إلى من بعد** عنهم رسولاً، ويكتبون إليه كتبًا.

ثم إنه سبحانه جعل مع الرسل آيات؛ هُنَّ علامات وبراهين؛ **هي أفعال** يفعلها مع الرسل يخُصُّهم بها، لا توجد لغيرهم؛ **فيعلم العباد** - لاختصاصهم[1] بها - أن ذلك إعلام منه للعباد، وإخبار **لهم أن** هؤلاء رسلي؛ **كما يُعلمهم** بكلامه المسموع منه ، ومن رسوله.

ولهذا **قد** يعلم برسالة رسول بإخبار رسول أخبر عنه[2]. وقد يُخبر عن إرساله بكلامه، لمن سمع كلامه منه؛ كما أخبر موسى، وغيره بالوحي الذي يوحيه **إليهم**.

آيات الأنبياء علامات وبراهين

فآياتُ الأنبياء هي علامات وبراهين من الله، تتضمن إعلام الله لعباده وإخباره، فالدليل؛ وهو: الآية ، والعلامة: **لا تدلُّ إلا إذا** كان مختصًا بالمدلول عليه مستلزمًا له ، إما مساوٍ له ، وإما أخصّ منه ، لا يكون أعمّ منه غير مستلزم له ، فلا يتصور أن يوجد الدليل بدون المدلول عليه.

(١) الضمير عائد للمرسل (الفقي).

● تنبيهٌ: ينقل محققوا كتابنا «النبوات» (طبعة الرسالة) ؛ كلام الفقي بلا عزوٍ له ؛ ومنه هذا المقام ؛ وهذا ليس فيه بركة، والله المستعان.

(٢) كإخبار عيسى عليه السلام برسالةِ نبينا محمد ﷺ.

فالآيات التي أعلم الله بها رسالة رسله وصدقهم، لا بُد أن تكون مختصة بهم، مستلزمة لصدقهم؛ فإن الإعلام والإخبار بأنَّ هذا رسول، وتصديقه في قوله: إن الله أرسلني، لا يُتصوَّر أن يوجد لغير رسول.

والآيات التي جعلها الله علامات: هي إعلامٌ بالفعل الذي قد يكون أقوى من القول، فلا يُتصوَّر أن تكون آيات الرسل إلا دالّة على صدقهم، ومدلولها أنهم صادقون، لا يجوز أن توجد بدون صدق الرسل البتة.

وكون الرب أراد بها إعلام عباده بصدقهم، وصدَّقهم بها في إخبارهم أنه أرسلهم، وكونها آية وعلامة على صدقهم: أمرٌ يُعلم؛ كما تعلم دلالة سائر الأدلة؛ كما يَعْلَمُ مِنَ الرَّجُل أصدقاؤُه ووكلاؤه أنه أرسل هذا بهذه العلامات؛ فتارة يعلم ذلك بالضرورة بعد تصور الأمر، وتارة يحتاج إلى النظر[أ]: هل هذه العلامة منه أو من غيره؟ وهل هو أرسله بها أو غيره؟ وهل قصد بها الإعلام، والتصديق، أم لا؟ وهل يعلم من حال الذاكر أنه أرسله أنه صادق؟، فقد يُرسل من يعلمون هم صدقه، وأنه لا يكذب، فيعلمون صدقه بمجرَّد قوله: هو أرسلني من غير آية ولا علامة.

ليس من شرط النبوة وجود الآيات والمعجزات

ولهذا إذا قال مَنْ صدَّقه: إنه رأى رؤيا صدَّقه، وجزم بصدقه من قد خَبَر صدقه، **والرؤيا جزءٌ من ستة وأربعين جزءًا من النبوة**[١].

وكذلك لو أخبر بغير ذلك؛ كما أخبر **عمران بن حصين أن الملائكة تُسلِّم عليه**[٢]، فلم يشك الذين أخبرهم في صدقه، من غير آية. فمن كان

---

(١) ● كما في («الصحيحين» خ ٦٩٨٣ و م ٢٢٦٤) عن أنس مرفوعًا. ورواه البخاري عن أبي سعيد وهو في الصحيحين عن أبي هريرة.

(٢) ● كما في («صحيح مسلم» برقم ١٢٢٦) عن مطرف عن عمران.

(أ) كذا في «خ» وفي المطبوع «نظر».

يعلم صدق موسى والمسيح ومحمد وغيرهم ، وأنهم لا يكْذبون في أخف الأمور ، فكيف بالكذب على الله؟ إذا أخبرهم أحدهم بما جاءه من الوحي والرسالة، وما غاب من الملائكة؛ فإنه قد يجزم بصدقه من غير آية، لا سيما إن كان ما يقوله لهم مما يؤيد صدقه.

ولهذا لم يكن من شرط الإيمان بالأنبياء: وجود الآيات ، بل قد يعلم صدقهم بدون ذلك ، كما قد بُيِّن في موضع آخر .

وتارة يحتاجون إلى العلامة ، وتارة يعلمون كذبه بأن يذكر عن صاحبهم ما يعلمون هم خلافه، ويصفه بما علموا نقيضه ، وقد يظهر لهم من قصده أنه كذاب، ملبِّس، طالب أغراض له؛ إما مال يعطونه ، أو ولاية يولونه، أو امرأة يزوجونه بها، أو غير ذلك من أغراض النفوس؛ فيسألونه عن مقصوده ، فإذا عرفوا مقصوده، فقد يعلمون كذبه أو صدقه.

ومثل هذا كثيرٌ في عادات الناس؛ فكثيرًا ما يجيء الرجلُ بما يزعم أنه علامة ، وتكون مشتركة. فيقال له : ما تريد ؟ فيذكر مراده، فيعلمون كذبه.

معرفة الصادق من الكاذب والنبي من المتنبي بصفات هذا وهذا

فدلائل الصدق والكذب لا تنحصر؛ كدلائل الحبِّ والبغض، هي كثيرة جدًا، وهذا يعرفه من جرَّب عادات الناس.

○ فَصْلٌ ○

معجزات الأنبياء برهان ودليل

فالآيات التي تكون آيات للأنبياء: هي دليلٌ وبُرهان ، والله تعالى سماها برهانًا في قوله لموسى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِن رَّبِّكَ﴾ [القصص: ٣٢]؛ وهي العصا، واليد .

وسماها برهانًا وآيات في مواضع كثيرة من القرآن.

فحدها حد الدليل والبرهان؛ وهي أن تكون مستلزمة لصدق النبيِّ، فلا يتصور أن توجد مع انتفاء صدق من أخبر أن الله أرسله.

فليس له إلا حالان: إما أن يكون الله أرسله فيكون صادقًا . أو لا يكون أرسله، فلا يكون صادقًا.

فآيات الصدق لا توجد إلا مع أحد النقيضين؛ وهو الصدق، لا توجد قط مع الآخر ؛ وهو انتفاء الصدق؛ كسائر الأدلة؛ التي هي: البراهين، والآيات، والعلامة؛ فإنها لا توجد إلا مع تحقق المدلول عليه ، لا توجد مع عدمه قط؛ إذ كانت مستلزمة له؛ يلزم من وجود الدليل، وجود المدلول عليه؛ فلا يوجد الدليل مع عدم المدلول عليه؛ فلا توجد آياتهم مع عدم صدقهم.

فيجب أن يُتصوَّر هذا الموضع؛ فإنه حقٌّ، معلومٌ بعد تصوره لكل العقلاء بالضرورة ، فلا يمكن أحدًا كذَّب النبيّ أن يأتي بمثلها ، فإنه لو أتى بمثلها، مع تكذيب النبي، لكانت قد وجدت مع قوله: إني صادق، ومع قول هذا المكذب: إنه كاذب؛ فلم تختص بصدقه، ولم تستلزمه؛ فلا يلزم إذا قال: إني صادق، أن يكون صادقًا ، وهذا قد أتى بمثل ما أتى به ، وقال: إنه كاذب.

ولا يكون إعلامًا من الله لعباده، وإخبارًا لهم: بأني أرسلته، ولا تصديقًا له؛ كما لو قال رجلٌ: إن فلانًا أرسلني ، وجاء بعلامة ذكر أنه خصَّه بها؛ مثل أن يقول : العلامة أنه أعطاني خاتمه، فيقول المكذِّب : وأنا أيضًا أعطاني خاتمه الأخرى لأصلحها له ، أو لأختم بها كذا، وأنت إنما أعطاك خاتمه لتصلحها ، أو تختم بها. فإذا أتى المكذِّب له بمثل ما أتى به، امتنع كونها آية.

ولكن لو كان قد جاءهم بالخاتم غيره لأمرٍ آخرَ أرسله له، لم يمتنع ذلك، بل قد جرت عادته معهم: بأنه من أرسله، يُرسل معه خاتمه؛ فقد صار إرسال الخاتم عادة له، يدل على صدق من أرسله؛ فهو يُميِّز رسله بالخاتم، لا يخص بها واحدًا منهم ، وهي عادة منه لرسله، ليست لغيرهم؛ لا عادة، ولا غير عادة.

فهذا شأن الآيات والعلامات التي يقصد الدال بها أن يدل بها.

○ فَصْلٌ ○

تسمية المعجزات آيات

والله تعالى سماها آيات وبراهين ، وهو اسمٌ مطابق لمسماه، مطرد لا ينتقض، فلا تكون قط إلا آيات لهم وبراهين.

تسمية المعجزات خوارق ومذاهب الناس في هذه التسمية

❑ وأما تسميتها بخرق العادة: **فللناس في ذلك ثلاثة أقوال** :

● **أحدها**[1]؛ أن ذلك حدٌّ لها مطرد منعكس؛ فكلُّ خرق هو معجزة للنبيِّ، فهو خرق عادة.

● ● **والثاني**[2]؛ أن خرق العادة ، شرطٌ فيها، وليس بحدٍّ لها، فيجب أن تكون خارقة لعادة، ولكن ليس كل خارق للعادة يكون آية لنبي؛ كأشراط الساعة ، بل أن يقع على وجه مخصوص؛ مثل دعوى النبوة، والاستدلال بها، والتحدِّي بمثلها، مع عجز الناس عن معارضته .

● ● ●**والقول الثالث**[3]؛ أن كونها خارقة للعادة ليس بحدٍّ، ولا شرط.

○ **قال القاضي أبو بكر في مناظرته في «الكرامات»**: ويقال لهم أيضًا : إن من الناس من لا يشترط في الآية المعجزة أن تكون خارقة للعادة ، ويقول: إنما تكون آية إذا كانت من فعل الله، مع التحدِّي بمثلها ، ودعوى النُّبوة. فدلالتها على وجه لا يمكن أن يشترك في ادعائه الصادق والكاذب ، فإذا ظهرت على هذا الوجه، كانت آية لمن فُعِلت على يده. قال المجيبون بهذا ، ولهذا لم تكن أشراط الساعة آيةً لأحد، وإن خرقت العادة؛ إذ لم يكن معها دعوى نبوة ، ولأن موت زيد عند قول الرسول: آيتي أن يميت الله زيدًا ،

(١) للمعتزلة.
(٢) أيَّده المصنف ـ رحمه الله ـ .
(٣) للأشاعرة. (الطويان).

عند دعائي موتُه ، فإذا مات عند دعوته، صار ذلك آية له ، وإن كان فعل الموت في الإنسان وغيره من الحيوان معتادًا.

قال : أو إن قالوا: لو كان كذلك، لكان من قال: آيتي أن تطلع الشمس وتغرب ، ويأتي الليل والنهار والضياء والظلام ، وفَعَل ذلك مع دعواه الرسالة، كان آية له ، وإن لم يكن المفعول من ذلك خارقًا للعادة. فلما لم يكن كذلك ، وإن كان واقعًا من فعل الله مع دعوى النبوة؛ لكونه غير خارق للعادة ، بطل ما قلتموه ؟ يقال لهم : قد أجبنا عن هذا حين قلنا: ويكون الواقع من فعل الله مع دعوى النبوة، مما لا يشترك فيه الصادق والكاذب ، ويستوي مع ظهوره دعوى المحق والمبطل ، وطلوع الشمس وغروبها.

ولو قال النبيُّ: آيتي أن يظلنا السحاب الساعة ، وتزلزل الأرض، وتحدث الأمطار، بدعوى، فحدث ذلك، لكان آيةً له ، وإن كان مثل ذلك قد يحدث في العصر ويُشاهد، فإذا قال المتنبي : إنني مُعَارِضه، وآيتي في كوني نبيًا ظهور مثل ذلك، مُنع منه ولم يحدث.

● **قلتُ:** هذا الذي ذكروه، هو أيضًا خرق للعادة؛ فإن ظهور مثل ذلك على هذا الوجه مما لم تَجر به العادة ، وهو نفسه القاضي أبو بكر في هذا الكتاب؛ كتاب: «البيان عن الفرق بين المعجزات والكرامات والحيل والكهانة والسحر والنيرنجيات» ، قد قال : (قيل: هذا باب القول في معنى العادة وانخراقها ، والعادة التي إذا انخرقت دلَّت على صدق الرسل، والاعتياد للأمر، وتفصيل ذلك وتنزيله: «اعلموا رحمكم الله : أن الكلَّ من سائر الأمم قد شرطوا في صفة المعجز: أن يكون خارقًا للعادة. وإذا كان ذلك واجبًا، وجب معرفة هذه العادة، ومعرفة انخراقها»؛ فقد حكي هنا الإجماع، وهناك صرح بالاختلاف، وقوَّى ذلك القول.

وسبب ذلك: اضطرابُهم في معنى العادة وانخراقها؛ فإن كلَّ قومٍ يفهمون غير ما يفهمه الآخرون، والله تعالى إنما سمَّاها آيات.

وهذا القول الذي ذكره وقواه، وهو: لا يشترط فيها أن تكون خارقة للعادة: هو حقيقة قول القاضي، وأمثاله؛ من المتكلِّمين الأشعرية، ومن وافقهم؛ كالقاضي أبي يعلى، وأمثاله؛ فإن المعجزات عندهم لا تختص بجنسٍ من الأجناس المقدورات، بل خاصتها أن النبيَّ يحتجُّ بها، ويتحدَّى بمثلها، فلا يمكن معارضته؛ فاشترطوا لها وصفين: أن تكون مقترنة بدعوى النبوة، وجعلوا المدلول جزءًا من الدليل، وأنها لا تعارض.

وبالأول: فرقوا بينها وبين الكرامات. وبه [1] وبالثاني: فرقوا بينها وبين السحر والكهانة.

تعريف المعجزة عند الأشاعرة

وصرَّحوا بأن جميع خوارق السحرة والكهان يجوز أن تكون معجزة لنبيٍّ، لكن إذا كانت معجزة لم تمكن معارضتها، فلو ادَّعى ساحرٌ أو كاهنٌ النبوة، لكان الله يعجزه عن تلك الخوارق، قد علم أن غيره من السحرة والكهان يفعل مثلها، وليس بنبي.

وما يأتي به الأنبياء من المعجزات جوَّزوا أن يأتي بمثله الساحر والكاهن، إلا ما منع منه السمع، للإجماع، على أن الساحر لا يقلب العصا حية.

وهذا الفرق ليس لما يختص به أحد النوعين، ولا ضابط له.

وصرَّحوا بأنه لا يستثنى من الخوارق، إلا ما انعقد عليه الإجماع.

وصرَّحوا بأن العجائب الطبيعية [أ]؛ مثل جذب حجر المغناطيس الحديد: يجوز أن يكون معجزة، لكن بشرط أن لا يعارض.

---

(١) يعني: بالأوّل.

(أ) في «خ»: «الطبيعة».

وكذلك الطلاسم، وكذلك الأمور المعتادة: يجوز أن تكون معجزة بشرط أن يمنع غيره منها، فتكون المعجزة منع المعتاد.

فالخاصة عندهم فيها: أنها لا تعارض، وأنها تقترن بدعوى النبوة.

وقد يشترطون أن تكون خارقة للعادة، لكن يكتفون بمنع المعارض؛ فهو وحدهُ خرقٌ للعادة؛ فلا يشترطون هذا وهذا.

وقد اشترط القاضي أبو بكر أن يكون مما يختصُّ الربُّ بالقدرة عليه.

ولا حقيقة له؛ فإن جميع الحوادث كذلك عندهم ، وكل ما خرج عن محلِّ قدرة العبد، فالربُّ عندهم مختصٌّ بفعله؛ كخوارق السحرة والكهان.

وحقيقةُ الأمر: أنه لا فرق عندهم بين المعجزات والكرامات، والسحر والكهانة ، لكن هذه إذا لم تقترن بدعوى النبوة لم تكن آية، وإذا اقترنت بها كانت آية، بشرط أن لا تعارض.

تجويز الأشاعرة وقوع الأنبياء في الكبائر

ثم إنه لما أثبت النبوة، قال: إنه يجوز على النبيِّ فعلُ كلِّ شيء من الكبائر، إلا أن يمنع من ذلك سمع ، كما قال: كل ما كان معجزة للأنبياء، يجوز أن يأتي به الساحر، إلا أن يمنع منه سمع؛ إذ كان في نفس الأمر لا فرق بين فعل وفعل ، بل يجوز من الرب كل شيء؛ فيجوز أن يبعث كلَّ أحد ، ولا يقيم على نبوته دليلاً.

هذا حقيقةُ قولهم: إنه يجوز أن يبعث كل أحد، وأنه إذا بعثه لا يُقيم دليلاً على نبوته ، بل يُلزم العباد بتصديقه، بلا دليلٍ يدلُّهم على صدقه.

فإن غاية هذا: تكليف ما لا يطاق ، وهم يُجوزونه .

وهاءُ ما قاله الأشاعرة في المعجزة

○ وهذا الذي قالوه: باطلٌ من وجوهٍ متعددة ـ قد بُسطت في غير هذا الموضع ـ:

منها : **أنهم** جعلوا المدلول عليه؛ وهو إخبار النبي بنبوته، وشهودها، وثبوتها: جزءًا من الدليل؛ قالوا : لأنها لو كانت معجزة لجنسها، لم تقع إلا معجزة . والخوارق التي تكون أمام الساعة، ليست معجزة لأحد ، فعُلِم أن الدليل هو مجموع دعوى النبوة ، والخارق.

❑ **والجوابُ عن هذا من وجهين :**

● **أحدهما:** أن تلك من آيات الله تعالى؛ فالخوارقُ التي لا يقدر عليها العباد: كلها آيات لله تعالى، وهي دالّةٌ على ما يظهر دلالتها عليه؛ تارة تكون تخويفًا؛ كما قال النبيُّ ﷺ : «**إن الشمسَ والقمرَ آيتان منْ آيات الله وإنّهُما لا يَنْكَسِفَانِ لموْتِ أَحد، ولا لِحياته، ولكنّهُمَا آيتانِ مِن آياتِ الله يُخوِّفُ الله بهما عِبادَه**»[1] .

والتخويفُ يتضمن: الأمر بطاعته، والنهي عن معصيته.

وأشراط الساعة آيات على قربها، وعلى جزاء الأعمال ، وهو يتضمن الأمر بالطاعة، والنهي عن المعصية.

● **والثاني**: أن يُقال: هي آيات على صدق الأنبياء؛ فإنهم أخبروا بها، وهي آيةٌ على ما أخبروا به ، وعلى صدقهم.

عامة معجزات الرسول ﷺ لم يكن يقرنها بالتحدي

وأيضًا: فإن عامة معجزات الرسول لم يكن يَتحدَّى بها، ويقول: ائتوا بمثلها. والقرآن إنما تحدَّاهم لما قالوا: إنه افتراه، ولم يتحدَّاهم به ابتداءً،

---

(١) **حديث صحيح :**
أخرجه البخاري في («الصحيح» ١٠٤١) ومسلم في («الصحيح» ٩١١) عن أبي مسعود الأنصاري مرفوعًا.
و (خ ١٠٤٦) و (م ٩٠١) عن عائشة مرفوعًا .
وورد عن آخرين من الصحابة في الصحيحين كذلك ؛ وقد تقدم (ص ٤٩٧).

وسائر المعجزات لم يَتحدَّ بها ، وليس فيما نقل تحدٍّ إلا بالقرآن ، لكن قد عُلم أنهم لا يأتون بمثل آيات الأنبياء ، فهذا لازمٌ لها ، لكن ليس من شرط ذلك أن يقارن خبره.

آيات الأنبياء منها ما يكون قبل ولادتهم ومنها ما يكون بعد موتهم

وأيضًا: فمن آيات الأنبياء ما كان قبل ولادتهم ، وقبل إنبائهم، وما يكون بعد موتهم؛ فإن الآية هي دليلٌ على صدق الخبر بأنه رسول الله ، وهذا الدليلُ لا يختص؛ لا بمكان ولا زمان ، ولا يكون هذا الدليل إلا من جنسٍ لا يقدر عليه الإنس كلهم ، ولا الجن ، فلا بُدَّ أن يكون جنْسُهُ معجزًا أعجز الإنس والجن .

○ **وأما قولهم:** خاصَّة المعجز عدم المعارضة: فهذا باطلٌ، وإن كان عدم المعارضة لازمًا له ، فإن هذا العدم لا يعلم، إذ يمكن أن يعارضه من ليس هناك إذا كان مما يعلم أنه معتاد؛ مثل خوارق السحرة ، والكُهَّان؛ فإنه وإن لم يمكن أن يُعارض في هذا الموضع، ففي السحرة والكهان من يفعل مثلها، مع أنه ليس بنبي.

الاشاعرة لم يقيموا في الحقيقة دليلاً على ثبوت نبوة الأنبياء ووجود الرب سبحانه

ودليل النبوة يمتنع ثبوته بدون النبوة ، وإذا قالوا : الدليل هو: مجموع الدعوى ، والدليل : تبيَّنَ خطؤهم، وأن القوم لم يعرفوا دلائل النبوة ، ولا أقاموا دليلاً على نبوة الأنبياء ، كما لم يقيموا دليلاً على وجود الرب؛ فليس في كتبهم ما يدلُّ على الرب تعالى، ولا على رسوله ، مع أن هذا هو المقصود من أصول الدين.

وأيضًا: فمسليمة والعنسي: لم يكن عندهما من يعارضهما.

وأيضًا: فالمعارض إن اعتبروه في المدعوين، وهذا مقتضى في خرق العادة ، وأن العادات تختلف ، فلكلٍّ قومٍ عادة. قالوا: فالمعتبر خرق عادة من أُرسِل إليهم .

الأشاعرة جوَّزوا أن يكون السحرُ معجزةً إذا لم يُعارض

وعلى هذا: فإذا أُرسل إلى بني إسرائيل، ففعل ما لم يقدروا عليه، كان آية، وإن كان ذلك مما يقدر عليه العرب، ويقدر عليه السحرة والكهان، وصرَّحوا بأن السحر الذي قال الله فيه: ﴿**وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ**﴾ [البقرة: ١٠٢]: يجوز أن يكون من معجزات الأنبياء إذا لم يعارض، وقد قال الرازي: إن السمعيات لا يُحتج بها؛ لأن دلالتها مشروطةٌ بعدم المعارض العقلي، وذلك غير معلوم.

وكذلك يُقال في معجزات هؤلاء أن خاصتها عدم المعارضة، فإن اعتبروا أن أحدًا من الخلق لا يُعارض، فهذا لا يُعلم، وإن اكتفوا بأن لا يعارض في ذلك المكان والزمان، فكثيرٌ من الصناعات، والعجائب، والعلوم من هذا الباب. وهم لا ينكرون هذا، بل يقولون: المعجز هو هذا، مع دعوى النبوة.

وقد تبيَّن أن الشيء في نفسه إذا لم يكن دليلاً، لم يَصِرْ دليلاً باستدلال المستدل به، بل هو في نفسه دليل، وإن لم يستدل به؛ إذ كان الدليل هو المستلزم للمدلول؛ فدليلُ صدق النبي هو يدل على أنه نبي، وأن الخبر بنبوته صدق، وإن كان هو لا يستدل بذلك، ولا يتحدّى بمثلها، وقد لا يخبره بنبوة نفسه، ويكون له دلائل تدل على نبوته؛ كما كانت قبل أن يولد، وفي الأمكنة البعيدة.

أصلٌ عند الأشاعرة وهو أن الله يجوز عليه فعلُ كلِّ شيء ولو كان قبيحًا

فتبين أن قول هولاء، هو: أنه لا يُعلم ما يستدل به على نبوة الأنبياء.

وهذا إذا انضم إلى أصلهم؛ وهو: أن الرب يجوز عليه فعلُ كلِّ شيء، صارا شاهدين: بأنه على أصلهم لا دليل على النبوة، إذ كان عندهم لا فرق بين فعل من الرب وفعل. وعندهم: لا فرق بين جنس وجنس في اختصاصه بالأنبياء به، فليس في أجناس المعقولات ما يكون آية تختص

بالأنبياء، فيستلزم نبوتهم. بل ما كان لهم قد يكون عند غيرهم، حتى للسحرة والكهان، وهم أعداؤهم. وفرقوا بعدم المعارضة، وهذا فرق غير معلوم، وهو مجرَّدُ دعوى.

قالوا: لو ادَّعى الساحر والكاهن النبوة، لكان الله يُنسيه الكهانة والسحر، ولكان له من يعارضه؛ لأن السحر والكهانة هي معجزة عندهم.

وفي هذه الأقوال من الفساد عقلاً وشرعًا، ومن المناقضة لدين الإسلام، وللحق ما يطول وصفه.

ولا ريب أن قول من أنكر وجود هذه الخوارق[1] أقل فسادًا من هذا.

عجز الأشاعرة عن إيجاد فرق بين النبي والساحر

ولهذا يُشنع عليهم ابن حزم وغيره بالشناعات العظيمة.

ولهذا يُقيم أكابر فضلائهم مدةً يطلبون الفرق بين المعجزات والسحر، فلا يجدون فرقًا؛ إذ لا فرق عندهم في نفس الأمر.

○ **والتحقيق**: أن آيات الأنبياء مستلزمة للنبوة، ولصدق الخبر بالنبوة، فلا يوجد إلا مع الشهادة للرسول بأنه رسول، لا يوجد مع التكذيب بذلك، ولا مع عدم ذلك البتة، وليست من جنس ما يقدر عليه؛ لا الإنس، ولا الجن؛ فإن ما يقدر عليه الإنس والجن يفعلونه، فلا يكون مختصًا بالأنبياء.

ومعنى كونها خارقة للعادة: أنها لا توجد إلا للنبوة؛ لا مرة، ولا أقل، ولا أكثر. فالعادة هنا تثبتُ بمرة. والقاضي أبو بكر يقول: إن ما فعل مرات يسيرة لا يكون معتادًا.

وفي كلامه في هذا الباب من الاضطراب ما يطول وصفه. وهو رأس هؤلاء الذين اتبعوه؛ كالقاضي أبي يعلى، وأبي المعالي، والرازي،

(١) وهم المعتزلة ومن وافقهم كابن حزم ـ رحمه الله ـ.

والآمدي، وغيرهم .

وما يأتي به السحرة والكهان، يمتنع أن يكون آيةً لنبيٍّ بل هو آية على الكفر ، فكيف يكون آيةً للنبوة ، وهو مقدور للشياطين؟ .

وآيات الأنبياء لا يقدر عليها جنٌّ ولا إنس، وآيات الأنبياء آيات لجنسها، فحيث كانت آيةً لله، تدل على مثل ما أخبرت به الأنبياء ، وإنْ شئتَ قلتَ : هي آيات الله، يُدل بها على صدق الأنبياء تارة ، وعلى غير ذلك تارة.

وما يكون للسحرة والكهان، لا يكون من آيات الأنبياء ، بل آيات الأنبياء مختصة بهم .

كرامات الأولياء من آيات الأنبياء

○ **وأما كراماتُ الأولياء؛ فهي أيضًا من آيات الأنبياء؛ فإنها إنما تكون لمن يشهد لهم بالرسالة، فهي دليلٌ على صدق الشاهد لهم بالنبوة.**

آيات الأنبياء صغار وكبار

وأيضًا: فإن كرامات الأولياء معتادةٌ من الصالحين، ومعجزات الأنبياء فوق ذلك؛ فانشقاق القمر، والإتيان بالقرآن، وانقلاب العصا حية، وخروج الدابة من صخرة، لم يكن مثله للأولياء؛ وكذلك خلق الطير من الطين ، ولكن آياتهم صغارٌ، وكبارٌ؛ كما قال الله تعالى : ﴿ **فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ** ﴾ [النازعات: ٢٠]؛ فلله تعالى آية كبيرة وصغيرة ، وقال عن نبيه مُحمَّد : ﴿ **لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ** ﴾ [النجم: ١٨]، فالآيات الكبرى مختصة بهم. وأما الآيات الصغرى: فقد تكون للصالحين؛ مثل تكثير الطعام ، فهذا قد وُجد لغير واحدٍ من الصالحين، لكن لم يوجد كما وُجد للنبيِّ ﷺ أنه أطعم الجيش من شيءٍ يسير[1]؛ فقد يوجد لغيرهم من جنس ما وُجد لهم ، لكن لا يماثلون في قدره؛ فهم مُختصون إما بجنس الآيات فلا يكون لمثلهم؛

اختصاصُ الأنبياء بالآيات الكبرى بخلاف الصغرى فقد تكون للصالحين

(١) سبق (ص ١٠٠).

نار أبي مسلم الخولاني ليست في قدرها وكيفيتها وعظمتها كنار الخليل إبراهيم ﷺ

كالإتيان بالقرآن، وانشقاق القمر، وقلْب العصا حية، وانفلاق البحر، وأن يخلق من الطين كهيئة الطير؛ وإما بقدرها، وكيفيتها؛ كنار الخليل؛ فإن أبا مسلم الخولاني، وغيره صارت النار عليهم بردًا وسلامًا (١)، لكن لم تكن مثل نار إبراهيم في عظمتها كما وصفوها، فهو مشاركٌ للخليل في جنس الآية؛ كما هو مشاركٌ في جنس الإيمان ـ محبة الله وتوحيده ـ. ومعلومٌ أن الذي امتاز به الخليلُ من هذا، لا يماثله فيه أبو مسلم، وأمثاله.

وكذلك الطيران في الهواء؛ فإن الجنَّ لا تزال تحمل ناسًا، وتطير بهم من مكان إلى مكان؛ كالعفريت الذي قال لسليمان: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩]، لكن قول الذي عندَهُ علمٌ من الكتاب: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٤٠]: لا يقدرُ عليه العفريت.

ومسرى النبيِّ ﷺ إلى بيت المقدس ليريه الله من آياته الكبرى: أمرٌ اختص به، بخلاف من يُحمل من مكانٍ إلى مكان، لا ليريه الله من آياته الكبرى، أمرٌ اختص به، ولا يعرج إلى السماء.

فهؤلاء كثيرون، وهذا مبسوطٌ في غير هذا الموضع.

○ **والمقصودُ هنا**؛ أن هؤلاء حقيقة قولهم: إنه ليس للنبوة آيةٌ تختصُّ بها؛ كما أن حقيقة قولهم: إن الله لا يقدر أن يأتي بآية تختص بها، وإنه لو كان قادرًا على ذلك، لم يلزم أن يفعله، بل لم يفعله. فهذان أمران متعلقان بالرب؛ إذ هو عندهم لا يقدر أن يفعل شيئًا لشيءٍ.

والآية إنما تكون آية: إذا فعلها ليدل، ولو قُدِّر أنه قادر، فهم يُجوزون عليه فعل كل شيء؛ فيمكن أنه لم يجعل على صدق النبيِّ دليلاً.

وأما الذي ذكرناه عنهم هنا، فإنه يقتضي أنه لا دليل عندهم على نبوة

(١) تقدّم في أول الكتاب (ص: ٩٨).

النبيِّ ، بل كل ما قُدر دليلاً، فإنه يمكن وقوعه مع عدم النبوة ، فلا يكون دليلاً .

فهم هناك: حقيقةُ قولهم : إنا لا نعلم على النبوة دليلاً ، وهنا: حقيقةُ قولهم: إنه لا دليل على النبوة.

ولهذا كان كلامهم في هذال الباب منتهاه التعطيل.

ولهذا عدَلَ الغزاليُّ وغيره عن طريقهم في الاستدلال بالمعجزات؛ لكون المعجزات على أصلهم لا تدلُّ على نبوة نبيٍّ، وليس عندهم في نفس الأمر معجزات ، وإنما يقولون: المعجزاتُ عِلمُ الصدق؛ لأنها في نفس الأمر كذلك.

وهم صادقون في هذا، لكن على أصلهم: ليست دليلاً على الصدق. ولا دليل على الصدق.

فآيات الأنبياء تدلُّ على صدقهم دلالة معلومة بالضرورة تارةً، وبالنظر أخرى.

وهم قد يقولون: إنه يحصل العلم الضروري بأن الله صدقه بها؛ وهي الطريقة التي سلكها أبو المعالي، والرازي، وغيرهما؛ وهي طريقةٌ صحيحةٌ في نفسها ، لكن تناقض بعض أصولهم.

فالقدحُ ليس في آيات الأنبياء ، لكن في الأقوال الفاسدة التي تناقض ما هو معلومٌ بالضرورة عقلاً ، وما هو أصلُ الإيمان شرعًا ، ومن عرف تناقضهم في الاستدلال يعرف أن الآفة في فساد قولهم؛ لا في جهة صحة الدلالة؛ فقد يظهرُ بلسانه ما ليس في قلبه ؛ كالمنافقين الذين يقولون : **﴿نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾**

[المنافقون: ١]

قولُ أحمد: علماء الكلام زنادقة

○ ولقد صدَقَ الإمامُ أحمد في قوله : «علماءُ الكلام زنادقة»[١].

وطريقةُ القرآن فيها الهدى، والنور، والشفاء؛ سمَّاها آيات وبراهين.

فآيات الأنبياء مستلزمة لصدقهم ، وصدق من صدقهم ، وشهد لهم بالنبوة.

والآياتُ التي يبعث الله بها أنبياء، قد يكون مثلها لأنبياء أُخَر؛ مثل : إحياء الموتى؛ فقد كان لغير واحدٍ من الأنبياء [٢].

وقد يكون إحياء الموتى على يد أتباع الأنبياء؛ كما قد وقع لطائفة من هذه الأمة، ومن أتباع عيسى؛ فإن هؤلاء يقولون : نحن إنما أحيا الله الموتى على أيدينا؛ لاتباع محمدٍ، أو المسيح ، فبإيماننا بهم، وتصديقنا لهم أحيا الله الموتى على أيدينا ، فكان إحياء الموتى مستلزمًا لصدق عيسى، ومحمدٍ، لم يكن قط مع تكذيبهما ، فصار آية لنبوتهم، وهو أيضًا آية لنبوة موسىٰ، وغيره من أنبياء بني إسرائيل الذين أحيا الله الموتى على أيديهم.

وليسَ مدلول الآيات هو مُجرَّد دعواه أن الله أرسلني، وإخباره عن نفسه بذلك؛ لأن ذلك معلومٌ بالحس لمن سمعه ، وبالتواتر لمن لم يسمعه، بل صدقه في هذا الخبر؛ وهو ثبوت نبوته.

الآيات مستلزمة لصدق النبي وثبوت نبوته

فالآية مستلزمة لصدقه، وثبوت نبوته ، ومن أخبر غيره عن إرسال الله له، وأتى هذا المخبر بآية، كانت أيضًا آية على صدق هذا المخبر، وثبوت نبوة النبي؛ فإن من أخبر عن نبوة نبيٍّ من الأنبياء، وأتى بآيةٍ على صدقه في خبره، كانت تلك آية ودليلاً على نبوة النبيّ ، وأن إخبار المخبر بنبوته

---

(١) أورده عنه ابن الجوزي في «التلبيس» (من تعليقي على «الفرق» لابن الجوزي ص:١٤٣).

(٢) كما وقع لموسى في قصة البقرة . وإحياءُ عيسى للموتى ـ بإذن الله ـ معلوم .

صدق. بل كون غيره هو المخبر، الآتي بالعلامة أبلغ. ولهذا كانت من أعظم آيات النبيّ: إخبار غيره من الأنبياء بنبوته.

فإن قال آخر: إنه كذب، وأتى بمثل تلك الآية، بطلت الدلالة المعينة، ولا يلزم من بطلان دليل معين، بطلان سائر الأدلة؛ فإنَّ الدليل يجب طرده، ولا يجب عكسه.

ولو جاء من قال: إن فلانًا أرسلني، ومعه شخص، فصدقه، وقال: إنه أمرني أن أخبركم بأنه رسوله بعلامة كيت وكيت، لكانت ذلك أبلغ. وكل من عَلِم صِدْق النبي، فقد صدقه أنه [1].... أن يعلم الناس أن الله يشهد له بالنبوة، ويحكم بينه وبين منازعيه بتصديقه وتكذيبهم، وذلك بآياته وعلاماته يُبين بها أنه مصدق للرسول.

وقد يُصدقه بكلامه الذي قد بَيَّن أنه كلامه؛ فكونه في نفسه آية وعلامة؛ إذ كان لا يُمكن الجن والإنس أن يأتوا بمثله، فهو من أعظم الآيات.

وبغير ذلك؛ فالآيات كلُّها شهادة بالنبوة؛ وإخبارٌ بها، وتصديق للمخبر؛ فهي تستلزمُ ثبوت النبوة في نفسها، وأن صاحب الآيات قد نبأه الله، وأوحى إليه؛ كما أوحى إلى غيره من الأنبياء، وتستلزم أيضًا: صدق الإخبار بأنه نبي؛ فهو إذا قال: إني نبيٌّ، كان صادقًا، وكذلك كلٌّ من أخبر بنبوته، فإنه يكون صادقًا.

وثبوت الشيء، وصدق من أخبر به: متلازمان؛ فكلُّ حقٍّ ثابت، إذا أخبر به مخبرٌ، فهو صادق، وكل خبرٍ صادق، فقد تحقق مخبره.

فالخبر الصادق هو ومخبره متلازمان؛ يلزمُ من صدق الخبر، تحقق مخبره.

(١) بياض مقدار سطرين «الفقي».

ومن تحقق الشيء، صدق المخبر به؛ بخلاف الكذب، فإنه ومخبره ليسا متلازمين، بل الخبر الكذب يوجد مع انتفاء مخبره، والمخبر به يتحقق على صفة خلاف ما في الخبر الكاذب.

فلهذا كانت الآيات، والعلامات، والدلائل، ونحو هذا كما تدلُّ على المدلول، وأنه حقٌّ ثابت، فهي أيضًا تدل على صدق من أخبر به كائنًا من كان.

فمن قال: إني ابن فلان، وقامت بينة بنسبه، فهي تثبت صدقه، وصدق كل من قال: هو ابن فلان.

وكذلك البينة التي تشهد برؤية الهلال، هي[1] تشهدُ بصدق كلِّ من أخبر بطلوعه. وكذلك كلُّ دليلٍ دلَّ على مدلول، فهو دليلٌ على صدق كلِّ من أخبر بذلك المدلول عليه.

وكذلك إذا قال الصادق: إن الله أرسلني، فهذا خبرٌ منه عن إرسال الله؛ فالآية الدالَّة على صدقه، تدلُّ على صدق كل من قال: إن الله أرسله.

فالآيات الدالَّة على صدق مُحمّد، إذا قال ما أمره الله به في قوله: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف: ١٥٨]، هي دالَّة على صدق كل من قال: أشهد أن محمدًا رسول الله.

فجميع آياته، وآيات الأنبياء الذين أخبروا بنبوته؛ كموسى، والمسيح عليهما السلام، وأنبياء بني إسرائيل، وغيرهم: كلها آيات، ومعجزات تُبيِّن صدق كلِّ واحدٍ من المؤمنين به، الذين يقول أحدهم: أشهد أن محمدًا رسول الله؛ سواء قالها مجردة، أو قالها في صلاته، أو عقب طهارته، أو

(١) في «خ»: «وهي».

متى ما قالها.

ليست آيات النبوة دالَّة على أنه وحده هو الصادق في قوله : إني رسول الله إليكم جميعًا ، بل الآيات تصدقه ، وتصدق كل من شهد له بالرسالة.

وهكذا سائر الأدلة الدالة على مدلول؛ فإنهـا تدلُّ على صدق من أخبر بذلك المدلول عليه من جميع الخلق.

وقد عرف أن الدليل لا بد أن يكون مختصًا بالمدلول عليه، مستلزمًا له.

فآياتُ الأنبيـاء، وسائرُ أنواع الآيات والأدلة لا تكون مع نقيض المدلول عليه؛ أي: مع عدمـه؛ فإنها إذا كانت مع وجـوده وعدمه، لم تكن دالَّةً لا على وجوده، ولا على عدمه ، ولم يـكن الاستدلال به على وجوده ، ولا على عدمـه ، ولم يكن الاستـدلال به على وجوده أولى به من الاسـتدلال على عـدمه؛ كـالأمور المعـتادة التي تـوجد مع الصـادق والكاذب؛ كطلوع الشمس، وغروبها؛ فإن هذه لا تدلُّ على صدق أحد، ولا كذبه.

وكذلك خوارق السحرة والكهان، هي معتادة، مع صدق أحدهم، ومع كـذبه؛ فلا تـدلُّ على الصدق، ولا علـى الكذب، والاستـدلال بهـا على صدقه، كالاستدلال بـها على كذبه، وهي على الكذب أدل؛ إذ كان كذبهم أكثـر من صدقـهم؛ كالذين يُخـبرون بكلمـة صدق، وعـشرة كـذب؛ قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣] .

فكيف إذا كان مع الصـدق مائة كذبة؛ كما قـال النبيُّ ﷺ لما سُئِل عن الكُهَّان؛ كما روي البخـاريُّ في «صحيحه» (١) عن عائشة ﵂ قالت: سأل

---

(١) أخـرجـه البـخـاري (حـديـث ٥٧٦٢) ، (٦٢١٣) ومـسلم (حـديث ١٢٢، ١٢٣) (٤/ ١٧٥٠) و (برقم : ٢٢٢٨) وأحمد (٦/ ٨٧) والبيـهقي فـي « دلائل النبوة » =

ناسٌ رســولَ الله ﷺ عن الكُهَّــان، فقــال لهم رســولُ الله ﷺ : «لَيْسُـوا بشَيء»، قالوا : يا رسول الله: فـإنهم يحدثون أحيانًا بالشـيء يكون حقًّا. فقال رسول الله ﷺ : «تلكَ الكلمةُ منَ الحَقِّ يَحْفَظُهَا الجنِّي، فَيقرهَا في أُذُنِ وَلِيِّه قَرَّ الدَّجَاجَة، فَيَخْلطُونَ فيها أكثر مِن مائة كذبة».

. . . [1] فيلزمُ من هذا: أن آيات الأنبيـاء لا يكون مثلها لمن يكذبهم ، وهو الذي يخبر بكذبهم.

والناس فيهم رجلان : إما مـصدق ، وإما مكذِّب. فالمكذب لهم يمتنع أن يأتي بمثل آياتهم. ومـتى كَذَّب مُكَـذِّب لمدَّعي النبوة ، وأتى بمثل آيتـه، سواء دلّ على أن تلك ليست من آيات الأنبياء ، ولا تدلُّ على صدق النبيِّ، لكن لا يلزم أن يدلَّ على كذبه؛ فإنَّ الدليل المعيَّن إذا بطل، لا يستلزم انتفاء

= (٢/ ٢٣٥).

من طرق عن الزهري عن يحيى بن عروة بن الزبير عن عروة بن الزبير عن عائشة ﵂ قـالت: سـأل أناس عن الكهـان ؟ فقـال لهم رسـول الله ﷺ : «ليسـوا بشيء. . . الحديث».

○ قلت :

وقوله فـي الحديث : «تلك الكلمـة من الحق» كـذا في البخـاري بمهملة وقـاف ، أي الكلمة المسموعة التي تقع حقًّا ، ووقع في مسلم «تلك الكلمة من الجن» قال النووي : «كذا في نسخ بلادنا بالجيم والنون ، أي الكلمـة المسموعة من الجن ، أو التي تصح مما نقلته الجن» . قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٢٣٠) :

قلت : «التقدير الثاني يوافق رواية البخاري» .

قال النووي : وقد حكى عياض أنه وقع ـ يعني في مسلم ـ بالحاء والقاف . انتهى من الفتح .

وقوله : «فـيقُرُّها في أذن وليه قـر الدجاجة» : القـر : ترديد الكلام في أذن المخاطب حتى يفهمه ، وقر الدجاجة : صوتها إذا قطعته» انتهى من النهاية (٤/ ٣٩).

(١) هنا بياض في الأصل مقدار كلمتين «الفقي».

المدلول عليه؛ فقد تكونُ له آيات أخر تدل على نبوته.

وصدق الصادق، وكذب الكاذب يُعرف بوجوهٍ كثيرةٍ جدًّا.

وكذلك النبوة: لها آثارٌ مستلزمة لها، بدون إخبار النبي بأنه نبي.

وكذب المتنبي الذي يُزين له الشيطان أن يقول: إنه نبي، له آثارٌ تستلزم انتفاء النبوة، وأنه كاذبٌ؛ إما عمدًا، وإما أن الشيطان قد لبس عليه.

فإن الخبر عند كثيرٍ من الناس ينقسم إلى صدقٍ وكذبٍ؛ فالمطابق هو الصدق، والمخالف هو الكذب.

وأثبت بعضهم واسطة بين الصدق والكذب؛ وهو ما لم يتعمده الإنسان؛ قال: فهذا ليس بصدق؛ لأنه غير مطابق، وليس بكذب؛ لأن صاحبه لم يتعمَّد الكذب، بل أخطأ. وليس كل من أخطأ، يُقال: إنه كاذب؛ كالناسي في الصلاة، إذا قال: صلَّيتُ أربعًا، ولم يُصل إلا ثلاثًا؛ كما قال النبيُّ ﷺ لما قال له ذو اليدين: أقصُرت الصلاة، أم نَسيْت؟ فَقَالَ: «**لَم أنسَ، ولَم تَقْصرُ**». فقال: بلى قد نَسيتَ؛ فقال: «**أكمَا يَقُولُ ذُو اليدين؟**» قَالُوا: نعم [١].

كلُّ من تكلَّم بلا علم فأخطأ فهو كاذب

○ والذي يدلُّ عليه القرآن: أن كل من تكلَّم بلا علمٍ، فأخطأ، فهو كاذب[٢]؛ كالذين حرَّموا، وحلَّلوا، وأوجبوا، وإن كان الشيطان قد زيَّن لهم ذلك، وأوهمهم أنه حق، ولهذا قال: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ**

---

(١) **حديث صحيح**:
أخرجه البخاري في («الصحيح» ٧١٤) ومسلم في («الصحيح» ٥٧٣) من حديث أبي هريرة مرفوعًا وفيه: «أصدق ذو اليدين».

(٢) كقوله: ﴿**وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَالٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ**﴾ [النحل: ١١٦].

الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢]، وهي تتنزَّلُ على من يظن أنه يصدقها؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ . وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾

[الزخرف: ٣٦، ٣٧]

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾ [إبراهيم: ٢٢] .

وكذلك الذي يدلُّ عليه الشرع: أن كلَّ من أخبر بخبر ليس له أن يُخبر به، وهو غير مطابق فإنه يُسمى كاذبًا ، وإن كان لم يتعمد الكذب[1]؛

---

(١)● **قال ناصر الدين الألباني** في مقدمة كتابه («الضعيفة» الجزء الأول ص ٤٧ ـ ٤٩) :
(من المصائب العظمى التي نزلت بالمسلمين منذ العصور الأولى انتشار الأحاديث الضعيفة والموضوعة بينهم لا أستثني أحدًا منهم ولو كانوا علماءهم إلا من شاء الله منهم من أئمة الحديث ونقاده كالبخاري وأحمد وابن معين وأبي حاتم الرازي وغيرهم.
وقد أدّى انتشارها إلى مفاسد كثيرة ، منها ما هو من الأمور الاعتقادية الغيبية ، ومنها ما هو من الأمور التشريعية ، وقد اقتضت حكمة العليم الخبير سبحانه وتعالى أن لا يدع هذه الأحاديث التي اختلَقَها المُغْرِضون لغايات شتى ، تسري بين المسلمين دون أن يُقيّض لها من يكشف القناع عن حقيقتها ، ويبين للناس أمرها ، أولئك هم أئمة الحديث الشريف، وحاملوا أولوية السنة النبوية الذين دعا لهم رسول الله ﷺ بقوله : «نضّر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها وحفظها وبلّغها فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه) فقد قام هؤلاء الأئمة جزاهم الله عن المسلمين خيرًا ببيان حال أكثر الأحاديث من صحة ، أو ضعف، أو وضع ، وأصّلوا أصولاً متينة ، وقعدوا قواعد رصينة، من أتقنها وتضلّع بمعرفتها أمكنه أن يعلم درجة أي حديث، ولو لم ينصّوا عليه ، وذلك هو علم أصول الحديث أو مصطلح الحديث.
وألّفَ المتأخرون منهم كتبًا خاصة للكشف عن الأحاديث وبيان حالها .
ومع أن هؤلاء الأئمة جزاهم الله خيرًا قد سهّلوا السبيل لمن بعدهم من العلماء والطلاب حتى يعرفوا درجة كل حديث بهذه الكتب وأمثالها ، فإننا نراهم ـ مع =

. . . .

= الأسف الشديد ـ قد انصرفوا عن قراءة الكتب المذكورة ، فجهلوا بسبب ذلك حال الأحاديث التي حفظوها عن مشايخهم ، أو يقرؤونها في بعض الكتب التي لا تتحرى الصحيح الثابت ، ولذلك لا نكاد نسمع وعظًا لبعض المرشدين أو محاضرة لأحد الأساتذة ، أمر خطير من خطيب ، إلا ونجد فيها شيئًا من تلك الأحاديث الضعيفة، والموضوعة ، وهذا أمر خطير يخشى عليهم جميعًا أن يدخلوا بسببه تحت وعيد قوله ﷺ : «من كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» [حديث صحيح متواتر].

فإنهم وإن لم يتعمدوا الكذب مباشرة ، فقد ارتكبوه تبعًا لنقلهم الأحاديث التي يقفون عليها جميعًا وهم يعلمون أن منها ما هو ضعيف وما هو مكذوب قطعًا وقد أشارَ إلى هذا المعنى قولُ النبي ﷺ : «كفى بالمرء كذبًا أن يحدّث بكل ما سمع» .

رواه مسلم في (مقدمة صحيحة) [١] (١/ ٨) وغيره من حديث أبي هريرة . ثم روي عن الإمام مالك أنه قال :

(اعلم أنه ليس يسلم رجل حدّث بكل ما سمع ولا يكون إمامًا أبدًا وهو يحدث بكل ما سمع)[٢].

وقال الإمام ابن حبان في (صحيحه صـ ٢٧) :

«فصل: ذكر إيجاب دخول النار لمن نسب الشيء إلى المصطفى ﷺ وهو غير عالم بصحته» .

ثم قال :

فتبين مما أوردناه أنه لا يجوز نشر الأحاديث وروايتها دون التثبت من صحتها ، وإن من فعل ذلك فهو حسبه من الكذب على رسول الله ﷺ ، وقد قال رسول الله ﷺ : «إن كذبًا عليَّ ليس ككذب على أحد ، فمن كذب عليّ متعمدًا فليتبوأ مقعده من النار» رواه مسلم وغيره. وقال محدث الديار الشامية في عصره العلامة الشيخ بدر الدين الحسني رحمه الله[٣]: لا يجوز إسناد حديثٍ لرسول الله ﷺ إلا إذا نصّ على صحة =

---

(١) باب النهي عن الحديث بكل ما سمع ص ١٠ .

(٢) ص ١١ مقدمة مسلم .

(٣) فيما نقله عنه الشيخ محمود ياسين في («مجلة الهداية الإسلامية» ٨/ ٢٦٤) وقد نقلتها من مقدمة محققي (زاد المعاد ١/ ١٠، ١١) ط الرسالة.

كقول النبيِّ ﷺ لما قيل له : إن أبا السنابل قال : ما أنت بناكحة، حتى تمر عليك أربعةُ أشهر وعشر ، فقال : «كَذَبَ أبو السَنَابِلِ»[1] .

= هذا الحديث حافظ من الحفاظ المعروفين ، فمن قال : قال رسول الله ﷺ وهو لا يعلم صحة ذلك من طريق أحد الحفاظ يوشك أن يصدق عليه حديث «من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار» متفق عليه .

●وفي الجامع الصحيح مما ليس في الصحيحين (المجلد الأول كتاب العلم باب ١٥ تحريم الكذب على رسول الله ﷺ) (ص ٣٤) يقول فضيلة الشيخ مقبل بن هادي الوادعي رحمه الله تعالى عقب الحديث:

«والذي ترتب عليه هذا الوعيد هو التعمد وأما غير المتعمد فإذا لم يتحر يكون آثمًا والله أعلم» ا.هـ.

(١) لفظة: «كذب أبو السنابل» سيأتي تحريرها ؛ والحديث: أخرجه البخاري (٣٩٩١) (٥٣١٩) ومسلم (١٤٨٤) عن سبيعة الأسلمية أخبرت... فذكرته . (دون قوله : كذب أبو السنابل) .

وأخرجه البخاري أيضًا (٤٩٠٩) ، (٥٣١٨) ومسلم (١٤٨٥) عن أم سلمة فذكرته . دون قوله (كذب أبو السنابل) . إنما الوارد من قوله ﷺ في ذلك : (انكحي) (قد حللت فانكحي من شئت) ونحو ذلك.

○ قلت : وقد أخطأ من نسب هذه اللفظة وهي (كذب أبو السنابل) إلى الصحيحين ؛ وقد فات محققا «زاد المعاد» (٥/ ٥٩٨) أن يُنبها على ذلك ؛ إنما أطلقا العزو إلى الشيخين على نحو ما قاله مصنف «الزاد» وهو ابن القيِّم - رحمه الله ورضي عنه - .

❑ **أما عن هذه اللفظة وهي (كذب أبو السنابل) .**

فقد أخرجها الشافعي في («المسند» ٢/ ٩٨) (حديث ١٦٦ شفاء العي) ومن طريقه البغوي في «السنة» (٢٣٨٨)[1] والبيهقي في («السنن الكبرى» ٩/ ٤) وفي («معرفة السنن والآثار» ٦/ ٤٧) وسعيد بن منصور في («السنن» ١٥٠٦) .

عن سفيان عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن أبيه (عبد الله ابن عتبة) أن سبيعة الأسلمية به وقد توبع عبيد الله بن عبد الله بن عتبة من : =

(١) عنده بالشك (كذب أبو السنابل أو ليس كما قال أبو السنابل قد حللت فتزوجي).

. . . .

=● خلاس (ابن عمرو) عند أحمد في («المسند» ٧/ ٣٠٦) (حديث ٤٢٧٤ ط شعيب)
قلت: وخالفهما أبو حسان كما في «المسند» (٧/ ٣٠٥) (٤٢٧٣ شعيب) ؛ فرواه أحمد عن مُحمّد بن جعفر (غندر) عن سعيد عن قتادة عن أبي حسان عن عبد الله بن عتبة عن ابن مسعود مرفوعًا. (وفيه كذب أبو السنابل). لكنَّ الإمام أحمد أعلّ هذا الطريق كما في («العلل» ٤٧٩٥)[1] فقال : «أخطأ فيه غندر فقال عن عبد الله (يعني ابن مسعود) وخالفوه : ليس هو عن عبد الله (يعني مرسلاً)».
● قلتُ: والسند الأول صحيحٌ؛ إن كان عبد الله بن عتبة سمع سبيعة الأسلمية ﷺ؛ وقد جاء له رواية عنها في «صحيح البخاري» (رقم ٤٩١٠) في نفس حديثنا هذا ـ تعليقًا بصيغة الجزم ـ. وقد رواه البخاري (٣٩٩١ تعليقًا) و (برقم : ٥٣١٩ موصولاً ـ مختصرًا) ومسلم (١٤٨٤) عن يونس بن يزيد عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن عتبة عن عبد الله بن عتبة عن عمر بن عبد الله بن الأرقم عن سبيعة الأسلمية (ولكن ليس فيه : كذب أبو السنابل) .
○ وقد تابع عبيد الله بن عبد الله على ذلك :
● محمد بن سيرين . عند البخاري (٤٩١٠ تعليقًا بصيغة الجزم) عن عبد الله بن عتبة عن سبيعة به. ورواه سعيد بن منصور في («السنن» ١٥٠٨) عن ابن سيرين أن سبيعة وضعت. . فذكره وفيه : «كذب أبو السنابل » لكنها رواية مرسلة ، والرواية الأولى مقدمة على هذه ، لأن الأولى من رواية أيوب عنه ؛ وهو في مقدمة الأثبات عن ابن سيرين ؛ كما في («شرح علل الترمذي» ص : ٢٧٨). وأخرجه عبد الرزاق في («المصنف» ٦/ ٤٧٤) (١١٧٢٣) عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أم سلمة عن سبيعة الأسلمية وفيه (إذا وضعت حملك فقد حلَّ أجلك قال : وحسبت أن النبي ﷺ قال لها : كذب أبو السنابل).
قلتُ: هكذا بالشك .
وقد اختلف فيه على معمر؛ فأخرجه عبد الرّزاق في («المصنف» ٦/ ٤٧٣) وعنه أحمد في («المسند» ٤٥/ ٤٢٢ط شعيب) من طريق :
معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال : أرسل مروان عبد الله بن =

---

(١) كما في («تحقيق «المسند» لشعيب ٧/ ٣٠٦).

○ ولما قيل له : إن عامر بن الأكوع حَبِط عمله؛ لأنه قتل نفسه ، فقال : **«كذب من قالها، إنَّ لَهُ لأجرينِ، إنهُ جَاهد مُجَاهدٌ»** (١).

= عتبة إلى سبيعة الأسلمية فذكرته . (دون : كذب أبو السنابل) .

قلتُ : وهذه الرواية أصحُّ وأقوى من التي قبلها . التي هي بالشك.

○ وهنا لفتةٌ قد لا يُنتبهُ إليها ؛ وهي أن معمرًا هنا يكونُ متابعًا ليونس بن يزيد[1] تلك الرواية التي في الصحيحين كما تقدَّم وليس فيها لفظ (كذب أبو السنابل).

وإذا كان يونس متابعًا لمعمر على رواية الحديث عن الزهري دون لفظ (كذب أبو السنابل) فقد رواها سفيان وهو ابن عيينة عن الزهري أيضًا . لكن بقوله (كذب أبو السنابل).

فأيٌّ الروايتين أرجح :

رواية يونس بن يزيد ومعمر أم رواية سفيان وثلاثتهم يروون عن الزهري ومن أصحابه؛ فأيٌّ هؤلاء أثبت في الزهري؛ في ذلك خلافٌ واسع في ترجيح واحدٍ من هؤلاء الثلاثة كما في («شرح علل الترمذي» لابن رجب ص ٣٦٣ ـ ٢٦٨ ط عالم الكتب) لكنَّ الأميل إلى قلبي أن رواية يونس ومعمر مقدمةٌ على رواية سفيان خاصة يونس في الزهري ؛ فقد قدّمه يحيى بن معين على سفيان على وجه الخصوص ؛ بل وقدَّم معمرًا على سفيان في الزهري . وقد أثنى الإمام أحمد علي يونس بأنه يؤدي اللفظ وأن ابن عيينة أخطأ في أكثر من عشرين حديثًا عن الزهري ؛ انظر ذلك في «شرح الترمذي» كما تقدَّم .

○ **وعلى ذلك ؛ فلفظةُ (كذب أبو السنابل) لعلها وردت بالمعنى من أحد الرواة؛ يؤيد ذلك أن الشيخين قد تنكبا عن إخراجها في صحيحيهما مع شهرتها ؛ والله تعالى أعلم.**

(١) **حديث صحيح**؛ وهو ضمن قصة طويلة لعامر بن الأكوع [2]:

أخرجه البخاري في «صحيحه» (٤١٦٦) ، (٦١٤٨)، (٦٨٩١) ومسلم (١٨٠٢) وأحمد في «مسنده» (٤/ ٤٧، ٤٨) . =

(١) وتابعهما أيضًا ابن إسحاق كما في («المسند» ٤٥ / ٤٢٥ ط شعيب) بدونها.

(٢) قال الحافظ في «الفتح» (٧/ ٥٣١) : «وهو عم سلمة بن الأكوع».

○ ولما قال سعد بن عبادة في يوم الفتح : اليوم يَوم الملحمة، اليوم تستحل الحرمة. وحكاه أبو سفيان لرسول الله ﷺ قال : «**كَذَبَ سَعْدٌ، ولكنْ هَذَا يَوْمٌ يُعَظِّمُ الله فيهِ الكَعْبَةَ، ويَوْمٌ تُكْسَى فيهِ الكَعْبَةُ**» (١).

○ وكذلك قال عبادة بن الصامت لما قيل له: إن أبا محمد يقول: الوتر واجب ، فقال: «كذب أبو محمد» (٢) .

= من طريق :
يزيد بن أبي عبيد عن سلمة بن الأكوع ﷺ به.
وأخرجه من طريق :
عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن سلمة بن الأكوع به : مسلم في «صحيحه» (ص١٤٢٩ محمد فؤاد) وأحمد (٤/ ٤٦، ٤٧) .
وأخرجه من طريق : إياس بن سلمة عن أبيه سلمة به : مسلم (١٨٠٧) باب «غزوة ذي قرد وغيرها»، وأحمد (٤/ ٥١، ٥٢) .

(١) جزءٌ من حديث ؛ أخرجه البخاري في («الصحيح» ٤٢٨٠) من طريق : هشام بن عروة عن أبيه قال: لما سار رسول الله ﷺ ... فذكره مرسلاً . **قال الحافظ في** («**الفتح**» ٨/ ٦) : «ولم أره في شيء من الطرق عن عروة موصولاً» .
ثم قال (٨/ ١٠) : «يحتمل أن يكون عروة تلقاه عن أبيه أو عن العباس فإنه أدركه وهو صغير، أو جمعه من نقلِ جماعة له بأسانيد مختلفة وهو الراجح» .
قلت : وقد أخرج البخاري جزءً منه مستقلاً موصولاً في («الصحيح» ٢٩٧٦) من طريق : هشام عن عروة عن نافع بن جبير سمعت العباس يقول للزبير فذكره مختصرًا.
○ وقوله : (كذب سعد) ؛ **قال الحافظ** :
«فيه إطلاق الكذب على الإخبار بغير ما سيقع ولو كان قائله بناه على غلبة ظنه وقوة القرنية» .
● قلت : وقد مر الحديث (ص : ٦).

(٢) جزءٌ من **حديث صحيح** .
أخرجه أبو داود في («السنن» ٤٢٥) ومن طريقه البغوي في («شرح السنة» ٤/ ١٠٥) (٩٧٨) وأحمد في (« المسند » (٣٧/ ٣٦٦، ٣٧٧، ٣٩٣ ط شعيب) والبيهقي في =

○ وكذلك ابن عباس لما قيل له: إن نوفًا يقول: إن موسى عليه السلام بني إسرائيل، ليس هو موسى الخضر؛ فقال: «كذب نوف» (١).

وأيضًا: مَنْ أخبر الناس خبرًا، طلب أن يصدقوه فيه، وقد نُهوا عن تصديقه إلا ببينة، فإنه أيضًا كاذب، كما قال تعالى في القرآن: ﴿لَوْلَا جَاءُوا

= («الكبرى» ٢/ ٢١٥) وغيرهم.

من طريق:

محمد بن مطرف عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن عبد الله الصنابحي قال: زعم أبو محمد أن الوتر واجبٌ؛ فقال عبادة بن الصامت، كذب أبو محمد، أشهد أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خمس صلواتٍ افترضهن الله عز وجل؛ من أحسن وضوءهن وصلاهن لوقتهن** .. الحديث».

● **قلت**: وسنده صحيح؛ عبد الله الصنابحي؛ صوّب الحافظ في («النكت الظراف» ٤/ ٢٥٥)(١) أنه (أبو عبد الله الصنابحي) ا.هـ قلت: وهو عبد الرحمن بن عُسيْلة قال في («التقريب» ١٤١٦): «ثقة من كبار التابعين؛ قدم المدينة بعد موتِ النبي ﷺ بخمسة أيام».

وله طرقٌ عن عبادة؛ راجع فيها مسند أحمد (٣٧/ ٣٦٦ ـ ٣٦٨ بتحقيق شعيب ومساعديه).

(١) **صحيح**.

أخرجه البخاري في («الصحيح» ١٢٢، ٣٤٠١، ٤٧٢٥، ٤٧٢٦، ٤٧٢٧) ومسلم في («الصحيح» ٢٣٨٠) (٤/ ١٨٤٧) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما. ولكن فيه (كذب عدو الله) يعني: نوفًا البكالي. وقد وردت (كذب نوف) كذا عند النسائي في («الكبرى» ٦/ ٣٨٧) (١١٣٠٧) من طريق رقبة. وأحمد في («المسند» ٣٥/ ٥٠) (٢١١١٨ ط شعيب) من طريق إسرائيل كلاهما عن أبي إسحاق عن سعيد بن جبير قال: قيل لابن عباس به. وأحمد (٣٥/ ٤٣) (٢١١١٤) من طريق سفيان بن عيينة عن عمرو - يعني ابن دينار - عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس وفيه (كذب نوفٌ عدو الله).

---

(١) كما في (تحقيق «مسند أحمد» ٣٧/ ٣٧٨).

عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴾ [النور: ١٣].

وقال في القاذفين: ﴿ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ . إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٤، ٥].

وكذلك: إنَّ القاذف، وإن كان قد رأى الفاحشة بعينه، لكنه إذا أخبر بها الناس، فهو يطلب منهم أن يصدِّقوه بمجرد خبره، وليس لهم ذلك بل ليس لهم أن يصدِّقوه حتى يأتي بأربعة شهداء، وهو لا يخبر الناس ليكذِّبوه، بل يخبرهم ليعتقدوا ثبوت ما أخبرهم به، ويعتقدوا أن المقذوف قد فعل الفاحشة، وهم ليس لهم أن يقولوا ذلك إلا بأربعة شهداء، فإذا لم يأت بأربعة شهداء، فهو عند الله كاذبٌ؛ لأنه أخبر الناس بأن هذا فعل الفاحشة، وقال خبرًا طلب به تصديقهم، وإن يظهر أن هذا فعلها.

فحقيقة خبره أن هذا فعل فاحشةً ظاهرة يرتب عليها هذا. بل إن كان فعل شيئًا، فقد فعله سرًّا لم يعلم به الناس.

الذنب إذا كتم لم يضر إلا صاحبه

وقد علم أن الذنب إذا كُتم لم يضر إلا صاحبه، ولكن إذا أُعلن، فلم يُنكَر، ضرَّ الناس. وهذا لم يُعلنه.

وأكثر المسلمين إذا فعل أحدهم فاحشةً باطنةً، تاب منها ومن إعلانها، يتشبه الناس بعضهم ببعض في ذلك.

إظهار الذنب الخفي فيه مفاسد شتى

فلهذا نهي الله عن فعلها، وعن التكلُّم بها؛ صدقًا، وغير صدق؛ فإنها إذا فُعلت، وكُتِمَتْ، خفَّ أمرُها، وإذا أُظهرت: كان فيها مفاسد كثيرة؛ قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ ابتُلي[1] مِنْ هَذِهِ القَاذُورَاتِ بِشَيءٍ فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ الله فَإِنَّ

(١) ورد بلفظ (من أصاب) وفي بعض الروايات قدّم (أيها الناس قد آن لكن أن تنتهوا عن محارم الله فمن أصاب منكم من هذه القاذورات...) ويعني بالقاذورات: الزنا والشرب والقذف وكل فاحش=

مِنْ يُبْدِ لنا صَفْحَتَهُ (ب) نُقِمْ عَلَيْهِ كِتَابَ اللهِ»(١) .

(١) **حديث حسن لغيره** ؛ أخرجه مالك في («الموطأ» ٢/ ٢٢) (رواية أبي مصعب) وعنه الشافعي في («الأم» ٦/ ٢١٥) ومن طريقه البيهقي في («الكبرى» ٦/ ٣٢٦، ٣٣٠) وفي («معرفة السنن والآثار» ٢/ ٢٩٤) (٣٧١٤) وفي «الشعب» (٧/ ١١١) (٩٦٧٤) عن زيد بن أسلم مرسلاً **قال الشافعي**:

«هذا حديثٌ منقطع ليس مما يثبت به ، هو نفسه حجة ؛ وقد رأيت من أهل العلم عندنا من يعرفه، ويقول به، فنحن نقول به».

وقال ابن عبد البر في («الاستذكار» ٢٤/ ٨٥) :

«لم يختلف عن مالك في إرسال هذا الحديث ولا أعلمه يستند بهذا اللفظ من وجهٍ من الوجوه»(١). وقال في («التمهيد» ٥/ ٣٢١، ٣٢٢) : «هكذا روي هذا الحديث مرسلاً جماعةٌ الرواة للموطأ، ولا أعلمه يُستند بهذا اللفظ من وجه من الوجوه ، وقد روي عن معمر عن يحيى بن أبي كثير عن النبي ﷺ مثله سواء» ا.هـ.

قلتُ: وهو في («مصنف عبد الرزاق» ٧/ ٣٦٩) ومن طريقه ابن حزم في («المحلي» ١١/ ١٧١) وفيه: (أيها الناس إن الله تعالى حرّم عليكم الفواحش ما ظهر منها وما بطن فمن أصاب منها شيئًا فليستتر بستر الله؛ فإنه من يرفع إلينا من ذلك شيئًا نقمْهُ).

وعزاه الزيلعي في («نصب الراية» ٣/٣٢٣) لابن أبي شيبة في («المصنف») عن أبي خالد الأحمر عن محمد بن عجلان عن زيد بن أسلم مرسلاً (بالقصة دون الشاهد) .

○ **قلت**: وقد أسند من وجهٍ آخر عن ابن عمر مرفوعًا ـ كما قال البيهقي ـ وقد أخرجه في (الكبرى ٨/ ٣٣٠) وفي (معرفة السنن والآثار ٢/ ٢٩٦) (٣٧٢٥) والحافظ في «التلخيص» (٤/ ٥٧) من طريق: عبد الوهاب الثقفي عن يحيى بن سعيد القطان عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر مرفوعًا. ورواهُ أيضًا من طريق :

أبي ضمرة عن يحيى بن سعيد عن عبد الله بن دينار به وزاد (ليتب إلى الله فإنه من =

= يُقام فيه حدٌّ.

(ب) أي جانبه وكل ما يظهره ويستحق الستر.

(١) لكنه ورد عن ابن عمر كما سيأتي.

قال الحافظ في «التلخيص» (٤/ ٥٧) عقب قول ابن عبد البر : «ومراده بذلك من حديث مالك ؛ وإلا فقد روى الحاكم. . .» .

متى يجوز الإعلام بارتكاب الفاحشة

● وقال : «**كُلُّ أمتي مُعَافَى إلا المجَاهرينَ وإنَّ منَ المجَاهَرَة أنْ يَبيتَ الرَّجُلُ عَلَى الذَنْب قد سَتَرَهُ الله، فَيُصْبحُ يقَول : يا فلَان فَعَلْتُ البَارحةَ كذا ، وكذا**»(١). فقد نهى الله تعالى صاحبها أن يظهرها ويعلنها، فكيف القاذف؟؛ بخلاف ما إذا أقر بها عند وليّ أمر، ليقيم عليه الحد (٢)، أو

= يُبْد لنا صفحته نُقم كتاب الله عليه). ورواه العقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٤٨) وأيضًا من طريق : عبد الرحيم بن سليمان عن يحيى بن سعيد به .

وأشار إليه الحافظ في («الفتح» ١٠/ ٢، ٥٠٢، ٥٠٣) وعزاه إلى الحاكم . قلت وهو في («المستدرك» ٤٥/ ٢٤٤) من طريق أسد بن موسى عن أبي ضمرة ـ أنس بن عياض ـ به بلفظ : «اجتنبوا هذه القاذورة التي نهى الله عنها فمن ألمّ فليستتر بستر الله. . . الحديث». **قلتُ: وسنده صحيح** ؛ وقد صححه الحاكم على شرط الشيخين ؛ ووافقه الذهبي .

لكن أعلّه الدارقطني : **فقال ابن حجر في «التلخيص»** (٤/ ٥٧) :

«وصححه ابن السكن ؛ وذكره الدارقطني في العلل ؛ وقال: روي عن عبد الله بن دينار مسندًا ومرسلاً؛ والمرسل أشبه » . ثم قال ابن حجر : «تنبيه : لما ذكر إمام الحرمين : هذا الحديث في النهاية قال: إنه صحيح متفق على صحته ؛ وتعقبه ابن الصلاح: فقال : هذا مما يتعجب منه العارف بالحديث». وأخرجه أيضًا من طريق أسد: الطحاوي في («شرح المشكل» رقم : ٩١) وأخرجه برقم (٩٢) من طريق يونس عن أنس بن عياض عن يحيى(١) عن عبد الله بن دينار مرسلاً. والعقيلي في «الضعفاء» (٢/٢٤٨) من طريق ابن جريج عن يحيى بن سعيد به .

وللحديث شاهد عند الطبراني (٩/ ٢٠٦) ، (٨٩٠٦) (وكما في المجمع ٦/ ٢٤٧) عن ابن مسعود بإسنادٍ ضعيف . وانظر مصنف عبد الرزاق (٧/ ٣٦٩) .

(١) **حديثٌ صحيح** .

أخرجه البخاري في («الصحيح» ٦٠٦٩) ومسلم في («الصحيح» ٢٩٩٠) من حديث: أبي هريرة ﷺ مرفوعًا.

(٢) كما في قصة ماعز بن مالك الأسلمي والغامدية؛ كما في («صحيح مسلم» ١٦٩٥) كتاب الحدود (باب من اعترف على نفسه بالزنى).

---

(١) تابعه ابن عيينة عند عبد الرزاق (٧/ ٣٢٣) والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ٢٤٩) .

يشهد بها نصاب تام لإقامة الحد، فذاك فيه منفعة وصلاح.

وقد يُخبر بها بعض الناس سرًّا؛ لمن يعلمه، كيف يتوب؟ ويستفتيه، ويستشيره فيما يفعل، فعلى ذلك المفتي والمشير أن يكتم عليه ذلك، ولا يشيع الفاحشة، وبسط هذا له موضعٌ آخر.

○ **والمقصودُ هنا**؛ أن الناس في من قال: إني رسولٌ: قسمان:

إما مصدَّق، وإما غير مصدق؛ فمن ليس بمصدق: لا يمكنه أن يأتي بمثل آيات الأنبياء؛ سواء قال: إنه كاذب، أو توقَّف في التصديق والتكذيب.

وكذلك المؤمنون؛ أتباع الأنبياء: إذا أتوا بآية، كانت دليلاً على نبوة النبيِّ الذي اتبعوه، فلا يمكن من لا يصدق النبيَّ أن يعارضهم، ومتى عارضهم، لم يكن من آيات الأنبياء.

ولهذا كان أبو مسلم لما قال له الأسود العنسي: أتشهد أني رسول الله؟ قال: ما أسمع. قال: أتشهد أن محمدًا رسول؟ قال: نعم، فألقاه في النار، فصارتْ عليه بردًا وسلامًا (١).

كرامات الصالحين من جملة آيات الأنبياء

○ **فكراماتُ الصالحين**؛ هي مستلزمة لصدقهم في قولهم: إن محمدًا رسولٌ، ولثبوت نبوته، فهي من جملة آيات الأنبياء.

وآياتهم، وما خصَّهم الله به، لا يكون لغير الأنبياء.

وإذا قال القائل: معجزاتُ الأنبياء، وآياتهم، وما خصَّهم الله به؛ فهذا كلامٌ مجملٌ؛ فإنه لا ريب أن الله خصَّ الأنبياء بخصائص، لا توجد لغيرهم.

---

(١) تقدّم ص (٩٨) وسندُه حسن.

هناك ما به يختص كلُّ نبيٍّ بمعجزة لم يأت غيره من الأنبياء بها

ولا ريب أن من آياتهم، ما لا يقدر أن يأتي به غير الأنبياء.

بل النبيُّ الواحد له آيات، لم يأت بها غيره من الأنبياء؛ كالعصا، واليد لموسى عليه السلام، وفرق البحر؛ فإن هذا لم يكن لغير موسى؛ وكانشقاق القمر، والقرآن، وتفجير الماء من بين الأصابع، وغير ذلك من الآيات التي لم تكن لغير محمد عليه السلام من الأنبياء؛ وكالناقة التي لصالح عليه السلام؛ فإن تلك الآية لم تكن مثلها لغيره؛ وهو خروج ناقة من الأرض؛ بخلاف إحياء الموتى؛ فإنه اشترك فيه كثيرٌ من الأنبياء، بل ومن الصالحين.

آيات اشترك فيها الأنبياء

وملكُ سليمان عليه السلام لم يكن لغيره؛ كما قال: ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي ﴾ [ص: ٣٥]؛ فطاعةُ الجنِّ والطير، وتسخيرُ الريح تحمله من مكان إلى مكان؛ له، ولمن معه، لم يكن مثل هذه الآية لغير سليمان.

○ وفي «الصحيحين»(١) عن النبي ﷺ أنه قال: «**مَا من نَبيٍّ منَ الأنْبِيَاء، إلاَّ وَقَد أوتيَ منَ الآيَات مَا آمنَ عَلَى مثله البَشَرُ، وَإنَّمَا كَانَ الَّذي أوتيتُهُ وَحْيًا أوحَاهُ الله إليَّ، فَأرجُو أنْ أكُونَ أكثرهُمْ تَابعًا يَومَ القيَامَة**».

وهو من حين أتى بالقرآن، وهو بمكة يقرأ على الناس: ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨].

آيات الأنبياء منها ما يختص به كلُّ نبي دون الآخر ومنها ما يأتي به عدد من الأنبياء

فقد ظهر أن من آيات الأنبياء ما يختص به النبيُّ، ومنها ما يأتي به عددٌ من الأنبياء، ومنها ما يشترك فيه الأنبياء ويختصون به؛ وهو الإخبار عن الله بغيبه الذي لا يعلمه إلا الله؛ قال: ﴿ عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلَّا

(١) أخرجه البخاري (برقم: ٤٩٨١) ومسلم (حديث ١٥٢) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

كرامات الأولياء هل هي من آيات الأنبياء أم لا؟ فيه قولان

مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨] .

لكنْ ما يَظهرُ على المؤمنين بهم من الآيات؛ بسبب الإيمانِ بهم؛ فيه قولان :

⊳ **قال طائفة** : ليس ذلك من آياتهم؛ وهذا قولُ مَنْ يقولُ: مِنْ شرْط المعجزة أن يُقارن دعوى النبوة، لا يتقدم عليها ولا يتأخر عنها؛ كما قاله هؤلاء الذي يجعلون خاصة المعجزة: التحدِّي بالمثل، وعدم المعارضة ، ولا يكون إلا مع الدعوى، كما تقدم ، وهو قولٌ قد عُرف فسادُه مِن وجوه.

الصحيح أن الكرامات من جملة آيات الأنبياء

⊳⊳ **والقول الثاني؛ وهو القولُ الصحيح** : أن آياتِ الأولياء؛ هي: من جملة آيات الأنبياء؛ فإنها مستلزمة لنبوتهم؛ ولصدق الخبر بنبوتهم ، فإنه لولا ذلك، لما كان هؤلاء أولياء، ولم يكن لهم كرامات.

لكن يحتاج أن يُفرق بين كرامات الأولياء ، وبين خوارق السحرة والكهان ، وما يكون للكفار، والفساق، وأهل الضلال والغي بإعانة الشياطين لهم؛ كما يُفرق بين ذلك، وبين آيات الأنبياء.

والفروق بين ذلك كثيرةٌ، كما قد بُسط في غير هذا الموضع.

○ فصلٌ ○

فقد تبين أن من آيات الأنبياء ما يظهر مثلُه على أتباعهم ، ويكون ما يظهر على أتباعهم: من آياتهم؛ فإن ذلك مختصٌّ بمن يشهد بنبوتهم؛ فهو مستلزمٌ له؛ لا تكون تلك الآيات إلا لمن أخبر بنبوتهم ، وإذا لم يخبر بنبوتهم، لم تكن له تلك الآيات. وهذا حدُّ الدليل؛ وهو: أن يكون مستلزمًا للمدلول عليه؛ فإذا وُجد الدليلُ: وُجد المدلول عليه، وإذا عُدم المدلولُ عليه: عُدم الدليل.

ولهذا من السلف من يأتي بالآيات دلالةً على صحَّة الإسلام ، وصدق الرسول ؛ كما ذُكر **أن خالد بن الوليد شرب السمَّ لَمَا طُلب منه آية، ولم يضرُّه** [1] .

كرامةُ خالد ابن الوليد في شرب السم

(١) صحيح ؛ وقد تقدَّم (ص: ٩٩).

○ فصلٌ ○

معنى: خرق العادة

في معنى خرق العادة ، وأن الاعتبار أن تكون خارقةً لعادة غير الأنبياء مطلقًا؛ بحيث تختصُّ بالأنبياء ، فلا توجد إلا مع الإخبار بنبوتهم.

وأما إخبار الكهان ببعض الأمور الغائبة؛ لإخبار الشياطين لهم بذلك[١]، وسحر السحرة؛ بحيث يموت الإنسان من السحر ، أو يمرض، ويُمنع من النكاح ، ونحو ذلك مما هو بإعانة الشياطين: فهذا أمرٌ موجودٌ في العالم، كثيرٌ، معتادٌ، يعرفه الناس، ليس هذا من خرق العادة ، بل هو من العجائب الغريبة التي يختص بها بعض الناس؛ كما يختص قوم بخفة اليد [٢]، والشعبذة[٣] ؛ وقومٌ بالسباحة الغريبة ، حتى يضطجع أحدهم على الماء؛ وكما يختصُّ قومٌ بالقيافة [٤]، حتى يُباينوا بها غيرهم؛ وكما يختص قوم بالعيافة [٥]، ونحو ذلك مما هو موجود.

ولهذا كان مكذبوا الرسل يجعلون آياتهم من جنس السحر ، وهذا مستقرٌّ في نفوسهم: أن الساحرَ ليس برسول، ولا نبيٍّ؛ كما في قصة موسى لما قالوا : ﴿ **إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ . يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ** ﴾ [الأعراف: ١٠٩ و١١٠]. قال تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن**

(١) كما سبق في حديث عائشة ﷺ (ص: ٥٥٢) .

(٢) وهو ما يُعرف عند المصريين بـ (الحاوي).

(٣) وفي نسخة «الشعوذة» وهما بمعنى.

(٤) ● **قال الشيخ الفقي في تعليقه** : «القيافة؛ معناها : تتبع الآثار، والأشباه، والاستدلال بها، كما في الأنساب ، ينظر القائف في الولد المختلف في نسبه ، فينظر في شبهه وسحنته؛ فيلحقه بمن يدّعيه أو ينفيه عنه».

(٥) ● **قال الشيخ الفقي في التعليق**: «العيافة معناها زجر الطير، وإزعاجها عن أماكنها؛ ليتفاءلوا بمطارها يمينًا أو شمالاً، ونحو ذلك».

رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]؛ وهذا لحيرتهم، وضلالتهم؛ تارة يُنسبون إلى الجنون، وعدم العقل؛ وتارة إلى الحذق، والخبرة التي يُنال بها السحر؛ فإن السحر لا يقدر عليه، ولا يُحسنه كلُّ أحد، لكن العجائب، والخوارق المقدورة للناس؛ منها ما سببه من الناس بحذقهم في ذلك الفن؛ كما يحذقُ الرجلُ في صناعة من الصناعات؛ وكما يحذقُ الشاعرُ، والخطيبُ في شعرِه، وخطابتِه وعلمِه؛ وكما يحذقُ بعضُ الناس في رمي النشاب، وعمل الرمح، وركوب الخيل.

فهذه كلُّها قد يأتي الشخص منها بما لا يقدر عليه أهلُ البلد، بل أهلُ الإقليم، لكنها مع ذلك مقدورة، مكتسبة، معتادة بدون النبوة، قد فعل مثلها ناسٌ آخرون قبلهم، أو في مكانٍ آخر؛ فليست هي خارقة لعادة غير الأنبياء مطلقًا، بل توجد معتادة لطائفةٍ من الناس، وهم لا يقولون: إنهم أنبياء، ولا يخبر أحدٌ عنهم بأنهم أنبياء.

سبب الغلط في آيات الأنبياء

○ **ومن هنا دخلَ الغلطُ** على كثيرٍ من الناس؛ فإنهم لما رأوا آيات الأنبياء خارقة للعادة، لم يعتد الناس مثلها، أخذوا مسمَّى خرق العادة، ولم يميزوا بين ما يختص به الأنبياء، ومن أخبر بنبوتهم، وبين ما يوجد معتادًا لغيرهم.

آيات الأنبياء لم تسم معجزات في القرآن وإنما آيات وبراهين

واضطربوا في مُسمَّى هذا الاسم؛ كما اضطربوا في مُسمَّى المعجزات، ولهذا لم يسمها الله في كتابه، إلا آيات، وبراهين، فإن ذلك اسمٌ يدلُّ على مقصودها، ويختصُّ بها، لا يقع على غيرها؛ لم يُسمها معجزة، ولا خرق عادة، وإن كان ذلك في بعض صفاتها؛ فهي لا تكون آيةً وبرهانًا حتى تكون قد خرقت العادة، وعجز الناس عن الإتيان بمثلها، لكن هذا بعض صفاتها، وشرطٌ فيها، وهو من لوازمها.

لكن شرطُ الشيء، ولازمُه قد يكون أعم منه.

وهؤلاء جعلوا مُسمَّى المعجزة وخرق العادة، هو: الحد المطابق لها طردًا وعكسًا؛ كما أن بعض الناس يجعل اسمها أنها عجائب.

وآيات الأنبياء إذا وصفت بذلك، فينبغي أن يُقيد بما يختص بها؛ فيقال: العجائب التي أتت بها الأنبياء، وخوارق العادات، والمعجزات التي ظهرت على أيديهم، أو التي لا يقدر عليها البشر، أو لا يقدر عليها الإنس والجن، أو لا يقدر عليها إلا الله؛ بمعنى: أنه لا يقدر عليها أحد بحيلة واكتساب؛ كما يقدرون على السحر والكهانة، فبذلك تتميز آياتهم عما ليس من آياتهم.

لفظ العجائب والتعجب

وإلا فلفظُ العجائب قد يُدخل فيه بعض الناس الشعبذة ونحوها.

والتعجب في اللغة يكون من أمرٍ خرج عن نظائره.

وما خرج عن نظائره، فقد خرق تلك العادة المعينة في نظائره، فهو أيضًا خارق للعادة.

شرطٌ في آيات الأنبياء أن لا يكون لها نظير

وهذا شرطٌ في آيات الأنبياء؛ أن لا يكون لها نظيرٌ لغير الأنبياء، ومَنْ يُصدِّقُهم. فإذا وُجد نظيرها من كلّ وجهٍ لغير الأنبياء، ومن شهد لهم بالنبوة، لم تكن تلك من آياتهم، بل كانت مشتركة بين من يخبر بنبوتهم، ومن لا يخبر بنبوتهم، كما يشترك هؤلاء وهؤلاء في الطب والصناعات.

السحر والكهانة من إعانة الشياطين لبني آدم

○ **وأما السِّحرُ والكهانة**؛ فهو من إعانة الشياطين لبني آدم، فإن الكاهن تُخبره الجن، وكذلك الساحر إنما يقتل، ويُمرِض، ويَصْعد في الهواء، ونحو ذلك، بإعانة الشياطين له؛ فأمورُهم خارجةٌ عما اعتاده الإنس بإعانة الشياطين لهم، قال تعالى: ﴿**وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ**﴾ [الأنعام: ١٢٨]؛ فالجنُّ والإنس

قد استمتع بعضهم ببعض ، فاستخدم هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء في أمورٍ كثيرة، كلٌّ منهم فَعَل للآخر ما هو غرضه، ليعينه على غرضه ، والسحر والكهانة من هذا الباب .

وكذلك ما يُوجد لعُبَّاد الكُفَّار من المشركين وأهل الكتاب ، ولعباد المنافقين والملحدين من المظهرين للإسلام والمبتدعين منهم، كلها بإعانة الجن والشياطين.

لكن الشياطين تظهر عند كل قوم بما لا ينكرونه؛ فإذا كان القوم كفارًا لا ينكرون السحر والكهانة، كما كانت العرب؛ وكالهند، والترك، والمشركين، ظهروا بهذا الوصف؛ لأن هذا معظمٌ عند تلك الأمة ، وإن كان هذا مذمومًا عند أولئك، كما قد ظهر ذم هؤلاء عند أهل الملل؛ من المسلمين، واليهود، والنصارى، أظهرته الشياطين فيمن يُظهر العبادة، ولا يكون مخلصًا لله في عبادته متبعًا للأنبياء، بل يكون فيه شركٌ، ونفاقٌ، وبدعةٌ، فتظهر له هذه الأمور التي ظهرت للكهان والسحرة، حتى يظن أولئك أن هذه من كرامات الصالحين ، وأن ما هو عليه هذا الشخص من العبادة[أ] هو طريق أولياء الله، وإن كان مخالفًا لطريق الأنبياء، حتى يعتقد من يعتقد أن لله طريقًا يسلكها إليه أولياؤه، غير الإيمان بالأنبياء وتصديقهم.

وقد يعتقد بعضُ هؤلاء أن في هؤلاء من هو أفضل من الأنبياء.

أصحاب الأحوال الشيطانية عارضوا الأنبياء

○ **وحقيقة الأمر**: أن هؤلاء عارضوا الأنبياء ، كما كانت تعارضهم السحرة والكهان؛ كما عارضت السحرة لموسى ، وكما كان كثيرٌ من المنافقين يتحاكمون إلى بعضِ الكهان ، دون النبي ﷺ، ويجعلونه نظير النبيٍّ.

الكهانة عند العرب

وكان في العرب عدةٌ من هؤلاء ، **وكان بالمدينة منهم أبو برزة**

(أ) في «خ»: «العادة».

الأسلمي(١) **قبل أن يسلم كان كاهنًا** (٢).

وقد قيل : إنه الذي أنزل الله تعالى فيه : ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا** ﴾ [النساء: ٦٠] .

وقد ذكر قصَّته غيرُ واحدٍ من المفسرين(٢).

ولما كان الذين يعارضون آيات الأنبياء من السحرة والكهان لا يأتون بمثل آياتهم ، بل يكون بينهما شَبَهٌ كَشَبَه الشعر بالقرآن؛ ولهذا قالوا في النبيِّ ﷺ: إنه ساحرٌ، وكاهنٌ، وشاعرٌ مجنون، قال تعالى : ﴿ **انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ**

---

(١) ● **قالَ ابنُ عبد البر في («الاستيعاب» ٤/ ١٦١٠) :**

«اختلف في اسمه واسم أبيه ، وأصح ما في ذلك قول من قال : اسمه نضلة بن عبيد، وهو قولُ أحمد بن حنبل ويحيى بن معين».

(٢) أخرج ابن أبي حاتم في («التفسير» ٥٥٤٧) والطبراني كما في (ابن كثير / تفسير آية ٦٠ النساء) و(«الدرالمنثور» للسيوطي تفسير النساء : ٦٠) والواحدي في («أسباب النزول» كما في الصحيح المسند للوادعي ص : ٦٩) من طرق (إبراهيم بن سعيد الجوهري وأحمد بن يزيد الحوطي ومحمد بن عوف الحمصي) ثلاثتهم عن أبي اليمان عن صفوان بن عمرو عن عكرمة عن ابن عباس قال: كان أبو برزة الأسلمي كاهنًا يقضي بين اليهود ؛ فتنافر إليه أناس من أسلم من اليهود ـ وفي لفظ : فتنافر إليه ناسُ من المسلمين ـ فأنزل الله تعالى ﴿ **أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ...** ﴾ .

● **قلت:** وسندُه صحيح ؛ وصححه السيوطي في («الدرالمنثور») وقال الهيثمي في («مجمع الزوائد» ٧/ ٦): «رواه الطبراني ؛ ورجاله رجال الصحيح» .

ثم وقفتُ على قول الحافظ في («الإصابة» ترجمة أبي بُرْدة الأسلمي!) حيث عزاه للطبراني وقال: «بسند جيد» ا.هـ . هكذا ذكره الحافظ في ترجمة (أبي بردة) ! وقد ترجم لأبي برزة الأسلمي نضلة بن عبيد: وهو موضعُ القصة ! لكنه لم يوردها عند تلك الترجمة . وسوف يأتي ذكره أيضًا (ص: ٥٢٤/ حاشية ٢).

الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً ﴾ [الفرقان: ٩]، فجعلوا له مثلاً لا يُماثله، بل بينهما شَبَهٌ، مع وجود الفارق المبين.

وهذا هو القياس الفاسد ، فلما كان الشعر كلامًا له فواصل ومقاطع ، والقرآن آيات له فواصل ومقاطع، قالوا : شاعر. ولكن شتان.

وكذلك الكاهنُ؛ يخبر ببعض المغيبات ، ولكن يكذب كثيرًا ، وهو يخبر بذلك عن الشياطين ، وعليه من آثارهم ما يدلُّ على أنه أفاك أثيم؛ كما قال تعالى: ﴿ **هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ** ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣] . ثم قال : ﴿ **وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ . أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ** ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٦] .

فذكر سبحانه الفرقَ بين النبي ، وبين الكاهن والشاعر.

وكذلك الساحر؛ لما كان يتصرف في العقول والنفوس بما يُغيرها ، وكان من سمع القرآن وكلام الرسول خضع له عقله ولبه، وانقادت له نفسه وقلبه، صاروا يقولون: ساحرٌ ، وشتان . وكذلك مجنون؛ لما كان المجنون يُخالف عادات الكفار وغيرهم ، لكن بما فيه فسادٌ لا صلاح ـ والأنبياء جاؤوا بما يخالف عادات الكفار ، لكن بما فيه صلاح لا فساد ـ قالوا: مجنون، قال تعالى: ﴿ **كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣].

فتارة يصفونه بغاية الحذق، والخبرة، والمعرفة؛ فيقولون: ساحر، وتارةً بغاية الجهل، والغباوة، والحمق؛ فيقولون: مجنون.

وقد ضلُّوا في هذا، وهذا؛ كما قال تعالى: ﴿ **انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلاً** ﴾ [الفرقان: ٩] .

فهم بمنزلة السائر في الطريق، وقد ضلَّ عنها، يأخذ يمينًا وشمالاً، ولا يهتدي إلى السبيل التي تُسلك.

والسبيل التي يجب سلوكها: قولُ الصدق، والعملُ بالعدل. والكهانة والسحر يناقض النبوة؛ فإن هؤلاء تُعينهم الشياطين؛ تخبرهم، وتعاونهم بتصرفات خارقة؛ ومقصودهم: الكفر، والفسوق، والعصيان.

الأنبياء تعينهم الملائكة أما السحرة فتعينهم الشياطين

والأنبياء تُعينهم الملائكة؛ هم الذين يأتونهم، فيخبرونهم بالغيب، ويعاونوهم بتصرفات خارقة؛ كما كانت الملائكة تعين النبي ﷺ في مغازيه مثل يوم بدر أمده الله بألف من الملائكة[1]، ويوم حنين قال: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ . ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥، ٢٧].

وقال تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠] وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢].

وقد بيَّن سبحانه أن الذي جاء بالقرآن مَلَكٌ كريمٌ، ليس بشيطان؛ فقال: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ . فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٦]

---

(١) قال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال: ٩].

ولما كانت الأنبياء مؤيدة بالملائكة ، والسحرة والكهان تقترن بهم الشياطين، كان من الفروق التي بينهم: الفروق التي بين الملائكة والشياطين.

النبوة عند المتفلسفة

والمتفلسفة الذين لم يعرفوا الملائكة والجن؛ كابن سينا وأمثاله ، ظنوا أن هذه الخوارق من قوى النفس، قالوا : والفرق بين النبي والساحر: أن النبيَّ يأمر بالخير؛ والساحر يأمر بالشر . وجعلوا ما يحصل للممرور من هذا الجنس؛ إذ لم يعرفوا صرع الجن للإنسان ، وأن الجنيَّ يتكلَّم على لسان الإنسان[1]، كما قد عرف ذلك الخاصة والعامة ، وعرفه علماء الأمة وأئمتها؛ كما قد بُسط في غير هذا الموضع.

أصول الجهمية

والجهمية المجبرة الذين قالوا : إن الله قد يفعل كلَّ ممكن مقدور ؛ لا ينزهونه عن فعل شيء، ويقولون: إنه يفعل بلا سبب، ولا حكمة ، وهو الخالق لجميع الحوادث؛ لم يُفرقوا بين ما تأتي به الملائكة ، ولا ما تأتي به الشياطين ، بل الجميع يُضيفونه إلى الله على حدٍّ واحدٍ ، ليس في ذلك حسنٌ ولا قبيح عندهم ، حتى يأتي الرسول. فقبل ثبوت الرسالة لا يميزون بين شيءٍ من الخير والشر ، والحسن والقبيح.

---

(١) قال المصنف في («مجموع الفتاوي» ٢٤/ ٢٧٦ وما بعدها) :
«دخولُ الجني في بدن الإنسان ثابتٌ باتفاق أئمة أهل السنة والجماعة» ثم قال : «وقال عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل : قلت لأبي : إن أقوامًا يقولون : إن الجني لا يدخل في بدن المصروع ؛ فقال: «يا بُني يكذبون؛ هذا يتكلم على لسانه» . وهذا الذي قاله أمرٌ مشهور ؛ فإنه يصرع الرجل فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ، ويضرب على بدنه ضربًا عظيمًا لو ضرب به جملٌ لأثر به أثرًا عظيمًا، والمصروع مع هذا لا يحس بالضرب ، ولا بالكلام الذي يقوله . وقد يجر المصروع ، وغير المصروع ، ويجر البساط الذي يجلس عليه ، ويحول آلات، وينقل من مكان إلى مكان؛ ويجري غير ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علمًا ضروريًا بأن الناطق على لسان الإنس ، والمحرك لهذه الأجسام جنسٌ آخر غير الإنسان».

فلهذا لم يُفرقوا بين آيات الأنبياء، وخوارق السحرة والكهان ، بل قالوا: ما تأتي به السحرة والكهان يجوز أن يكون من آيات الأنبياء ، وما يأتي به الأنبياء يجوز أن يظهر على أيدي السحرة والكهان.

لكن إن دلَّ على انتفاء ذلك نصٌّ أو إجماع، نفوه، مع أنه جائزٌ عندهم أن يفعله الله، لكن بالخبر علموا أنه لم يفعله.

فهؤلاء لما رأوا ما جاءت به الأنبياء ، وعلموا أن آياتهم تدلُّ على صدقهم ، وعلموا ذلك؛ إما بضرورة ، وإما بنظر، واحتاجوا إلى بيان دلائل النبوة على أصلهم ، كان غاية ما قالوا: إنه كلُّ شيءٍ يُمكن أن يكون آية للنبيِّ، بشرط أن يقترن بدعواه ، وبشرط أن يتحدى بالإتيان بالمثل فلا يعارض.

معنى التحدّي

ومعنى التحدِّي بالمثل: أن يقول لمن دعاهم : ائتوا بمثله.

وزعموا أنه إذا كان هناك سحرة وكهان، وكانت معجزته من جنس ما يظهر على أيديهم من السحر والكهانة ، فإن الله لا بُد أن يمنعهم عن مثل ما كانوا يفعلونه ، وأنَّ من ادَّعى منهم النبوة ، فإنه يمنعه من تلك الخوارق، أو يُقيض له من يعارضه بمثلها.

فهذا غايةُ تحقيقهم ، وفيه من الفساد ما يطولُ وصفه.

طاعة الجنّ لسليمان طاعة ملكية

وطاعةُ الجن والشياطين لسليمان صلوات الله عليه، لم تكن من جنس معاونتهم للسحرة ، والكهان، والكفار، وأهل الضلال والغيِّ، ولم تكن الآية، والمعجزة، والكرامة التي أكرمه الله بها، هي ما كانوا يعتادونه مع الإنس؛ فإنَّ ذلك إنما كان يكون في أمورٍ معتادة؛ مثل إخبارهم أحيانًا ببعض الغائبات؛ ومثل إمراضهم، وقتلهم لبعض الإنس ، كما أن الإنسي قد يمرض ويقتل غيره ، ثم هم إنما يعاونون الإنس على الإثم والعدوان، إذا

كانت الإنسُ من أهل الإثم والعدوان، يفعلون ما يهواه الشياطين، فتفعل الشياطين بعض ما يهوونه، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ [يَحْشُرُهُمْ[1]] جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨].

وأما التسخير الذي سخروه لسليمان، فلم يكن لغيره من الأنبياء، فضلاً عن من ليس بنبيٍّ، وقد سأل ربه مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده، فقال: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لاَّ يَنبَغِي لأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾. قال تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ. وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ. وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ. هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [ص: ٣٨ ـ ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ. وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلاً دُونَ ذَلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١ ـ ٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ. يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ. فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلاَّ دَابَّةُ الأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٢ ـ ١٤].

وكذلك ما ذكره من قول العفريت له: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩].

---

(١) في جميع النسخ [نحشرهم] بالنون؛ وهي قراءةُ الجميع، عدا حفص. الطويان.

فهذه الطاعةُ من التسخير: بغير اختيارهم في مثل هذه الأعمال الظاهرة العظيمة، ليس مما فعلته بأحد من الإنس، وكان ذلك بغير أن يفعل شيئًا، مما يهوونه، من العزائم، والأقسام، والطلاسم الشركية؛ كما يزعم الكفار أن سليمان سخرهم بهذا، فنزَّهه الله من ذلك بقوله: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

طاعة الجنّ لنبينا ﷺ طاعة نبوة ورسالة

وأما طاعةُ الجنِّ لنبيِّنا وغيره من الرسل؛ كموسى؛ فهذا نوعٌ آخر؛ فإنَّ هذا: طاعتهم فيما أمرهم الله به من عبادته وطاعته؛ كطاعة الإنس لنبينا؛ حيث أرسل إلى الطائفتين [(١)]، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وطاعته، ونهاهم عن معصيته التي بها يستحقون العذاب في الآخرة، وكذلك الرسل دعوهم إلى ذلك، وسليمان منهم، لكن هذا إنما ينتفع به منهم من آمن طوعًا، ومن لم يؤمن، فإنه يكونُ بحسب شريعة ذلك الرسول. هَلْ يُترك حتى يكون الله هو الذي ينتقم منه، أو يُجَاهَد؟.

وسليمان كان على شريعة التوراة، واستخدامه لمن لم يؤمن منهم، هو مثل استخدام الأسير الكافر.

حالُ نبينا محمد ﷺ مع الجن والإنس أكمل من حال سليمان وغيره

فحالُ نبيِّنا مع الجنِّ والإنس: أكمل من حال سليمان وغيره؛ فإن طاعتهم لسليمان كانت طاعة ملكية فيما يشاء، وأما طاعتهم لمحَمَّد فطاعةُ نبوة، ورسالة فيما يأمرهم به؛ من عبادة الله، وطاعة الله، واجتناب معصية الله؛ فإن سليمان ﷺ كان نبيًّا مَلِكًا، ومحَمَّدٌ كان عبدًا رسولاً [(٢)]، مثل

---

(١) انظر الآيات التي في (سورة الأحقاف ٢٩ ـ ٣٢)؛ وراجع ما في («صحيح مسلم» حديث ٤٥٠).

(٢) ● كما رواه أحمد («المسند» ٧١٦٠ شاكر) وابن حبان في («الصحيح» ٦٣٩٥) وكما في («الموارد» ٢١٣٧) وأبو يعلى في («المسند» ٢/ ٢٨٢) والبزار كما في («الكشف» =

إبراهيم عليهم السلام.

وموسى وسليمان، مثل داود ويوسف عليهم السلام، وغيرهما، مع أن داود وسليمان ويوسف عليهم السلام، هم رسلٌ أيضًا، دعوا إلى توحيد الله وعبادته؛ كما أخبر الله أن يوسف دعا أهل مصر، لكن بغير معاداة لمن لم يؤمن، ولا إظهار مناوأة بالذمِّ والعيب والطعن لما هم عليه؛ كما كان نبيُّنا أول ما أُنزل عليه الوحي، وكانت قريش إذ ذاك تُقره، ولا يُنْكَرُ عليه، إلى أن أظهر عيبَ آلهتهم، ودينهم، وعيبَ ما كان عليه آباؤهم، وسفَّه أحلامهم، فهنالك عادوه وآذوه، وكان ذلك جهادًا باللسان قبل أن يؤمر بجهاد اليد، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَبَعَثْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَّذِيراً . فَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَادًا كَبِيراً ﴾ [الفرقان: ٥١ ـ ٥٢].

جهاد اللسان قبل جهاد اليد

وكذلك موسى مع فرعون: أمره أن يؤمن بالله، وأن يُرسِل معه بني إسرائيل، وإن كره ذلك، وجاهد فرعون بإلزامه بذلك بالآيات التي كان الله يعاقبهم بها، إلى أن أهلكه الله وقومه على يديه.

= ٢٤٦٢) (٣/ ١٥٥ بابٌ في تواضعه) وابن أبي الدنيا في «التواضع» (١٢٥) من طرقٍ عن محمد بن فضيل عن عمارة بن القعقاع عن أبي زرعة [١] عن أبي هريرة قال: «جلس جبريل إلى النبي ﷺ فنظر إلى السماء، فإذا ملك ينزل، فقال جبريل: إن هذا الملك ما نزل منذ يوم خلق قبل الساعة، فلما نزل قال: يا محمد، أرسلني إليك ربك، قال: أفملكًا نبيًّا يجعلك، أو عبدًا رسولاً؟ قال جبريلُ: تواضع لربك يا محمد، قال: **بل عبدًا رسولاً**». هذا لفظ أحمد.

● **قلتُ**: وإسنادُه حسن؛ فمُحمد بن فضيل هو ابن غزوان الضبي، وهُو إن كان من رجال الجماعة إلا أن الحافظ في («التقريب» ٧٠١٢) قال فيه: «صدوق عارف رمي =

(١) قال أبو زرعة في رواية أحمد: (ولا أعلمه إلا عن أبي هريرة)؛ قال العلاّمة أحمد شاكر في («التعليق على المسند» ٧١٦٠): «هذا لا يؤثر في صحة الحديث، لأنه حكى ظنه الراجح القريب إلى اليقين، وغلبة الظن في مثل هذا كافية».

. . . .

= بالتشيع» وقال ابن أبي حاتم في («الجرح والتعديل» ٨/ ٥٧) :
«أخبرنا : حرب بن إسماعيل فيما كتب إليّ قال : قُلتُ لأبي عبد الله أحمد بن حنبل - محمد بن فُضيل؟ قال : كان يتشيع وكان حسن الحديث». ووثقه ابنُ معين وقال أبو زرعة : «صدوق» وقال أبو حاتم : «شيخ».

● وللحديث شاهدٌ عن ابن عباس :
أخرجه النسائي في («الكبرى» ٤/ ١٧١) (٦٧٤٣) والبخاري في («التاريخ الكبير» ١/ ١٢٤ مختصرًا) والطبراني في («الكبير» ١٠/ رقم ١٠٦٨٦) والبيهقي في («الكبرى» ٧/ ٤٩) وفي («الدلائل» ١/ ٣٣٣ - ٣٣٤) والفسوي في («التاريخ» ١/ ٣٦١، ٣٦٢) وأبو الشيخ في («أخلاق النبي» ٦١١) والبغوي في («شرح السنة» ١٣/ ٢٤٨) (٣٦٨٤) والمزي في («تهذيب الكمال» ٢٥/ ٤٩١) من طرق عن بقية عن الزبيدي عن الزهري عن محمد بن عبد الله بن عباس عن ابن عباس مرفوعًا. قلت: وإسنادُه ضعيف؛ فمحمد بن عبد الله بن عباس ؛ مقبول كما في («التقريب» ٦٧٧٢) أي ؛ حيث يُتابع ؛ وإلا فهو ليِّن . وقال الهيثمي في («المجمع» ٩/ ٢٠) : «فيه بقية بن الوليد ؛ وهو مدلس» ولم يُصرّح بالتحديث إلى نهاية الإسناد».

● وله شاهدٌ آخر عن عائشة .
أخرجه ابن سعد في («الطبقات» ١/ ٢٨٨) وأبو يعلى في («المسند» ٤٩٢٠) ومن طريقه البغوي في («شرح السنة» ٣٦٨٣) وفي («التفسير» - معالم التنزيل - سورة الفرقان آية : ١٠) .

○ قلت : وحسن إسنادَهُ الهيثمي في («المجمع» ٩/ ١٩) ؛ لكن فيه أبو معشر وهو نجيح بن عبد الرحمن السندي .ضعيفٌ كما قال الحافظ في «التقريب».

● وله شاهدٌ آخر عن ابن عمر .
أخرجه الطبراني في («الكبير» ١٣٣٠٩) (١٢/ ٣٤٨) قال الهيثمي في («المجمع» ٩/١٩) : «وفيه يحيى بن عبد الله البابلتي وهو ضعيف».
وشواهد أخرى ؛ انظر («الطبقات» لابن سعد ١/ ٢٨٨) و («شرح السنة» للبغوي ٣٦٨٢) و(«الزهد» لابن المبارك ٢٢٠ دار ابن خلدون) .

○ وفي الجملة؛ فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح ؛ والطريق الأولى إسنادها حسنٌ باستقلالها ، والله أعلم.

○ فصل ○

الذين سموا آيات الأنبياء خوارق لا بد أن يخصوا ذلك بالأنبياء دون غيرهم

فالذين سموا هذه الآيات: خوارق للعادات ، وعجائب ومعجزات، إذا جعلوا ذلك شرطًا فيها، وصفة لازمة لها، بحيث لا تكون الآيات إلا كذلك ، فهذا صحيح، وإن كانت هذه الأمور قد تجعل أمرًا عامًا؛ فتكون متناولة لآيات الأنبياء، وغيرها؛ كالحيوان الذي ينقسم إلى إنسان، وغير إنسان.

وأما إذا جعلوا ذلك حدًا لها، وضابطًا، فلا بُد أن يُقيدوا كلامهم؛ مثل أن يقولوا: خوارق العادات التي تختص الأنبياء، أو يقولوا: خوارق عادات الناس كلهم غير الأنبياء؛ فإن آياتهم لا بُد أن تخرق عادة كل أمة من الأمم، وكل طائفة من الطوائف، لا تختص آياتهم بخرق عادة بلد معين ، ولا من أرسلوا إليه ، بل تخرق عادة جميع الخلق إلا الأنبياء؛ فإنها إذا كانت معتادة للأنبياء؛ مثل الخبر الصادق بغيب الله تعالى الذي لا يُعرف إلا من جهتهم.

فما كان معتادًا للأنبياء دون غيرهم فهو من أعظم آياتهم وبراهينهم ، وإن كان معتادًا لهم، فإن الدليل هو: ما يستلزم المدلول عليه.

فإذا لم يكن ذلك معتادًا إلا لنبي، كان مستلزمًا للنبوة، وكان من أتى به لا يكون إلا نبيًا، وهو المطلوب.

بل لو كان مستلزمًا للصدق، ولا يأتي به إلا صادق، لكان المخبر عن نبوة نبي؛ إما نبوة نفسه أو نبوة غيرها.

وإذا كان كاذبًا، لم يحصل له مثل ذلك الدليل الذي هو مستلزمٌ للصدق.

ولا يحصل أيضًا لمن كذب بنبوة نبي صادق؛ إذ هو أيضًا كاذب، وإنما

يحصل لمن أخبر بنبوة نبي صادق.

وحينئذٍ فيكون ذلك الدليل مستلزمًا للخبر الصادق بنبوة النبيِّ، وهذا هو المطلوب؛ فإن مدلول الآيات سواء سميت معجزات، أو غيرها، هو الخبر الصادق بنبوة النبيّ، ومدلولها: إخبار الله، وشهادته بأنه نبي، وأن الله أرسله؛ فقول الله: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ﴾(١)، وقوله: ﴿إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾(٢)، وقول كل مؤمن: إنه رسول الله، كل ذلك خبر عن رسالته، وهذا هو مدلول الآيات، وقد يكون مدلول الآيات نفس النبوة، التي هي مخبر هذا الخبر، ويكون الدليل مثل خبر من الأخبار، وهذا من جنس الأول.

فما دلَّ على نفس النبوة، دلَّ على صدق المخبر بها، وما دلَّ على صدق المخبر بها، دل عليها.

وأما نفس إخبار الرب بالنبوة، وإعلامه بها، وشهادته بها، قولاً[أ] وعملاً، فهو إخبار منه بها وهو الصادق في خبره، فإخباره هو دليلٌ عليها؛ فإنه لا يقول إلا الحق، ولا يخبر إلا بالصدق.

وأيضًا: فهو الذي أنشأ الرسالة، وإرساله بكلامه قد يكون إنشاءً للرسالة، وقد يكون إخبارًا عن إرساله؛ كالذي يرسل رسولاً من البشر، قد يرسله والناس يسمعون، فيقول له: اذهب إلى فلان فقل له: كذا وكذا، وقد يرسله بينه وبينه، ثم يقول للناس: إني قد أرسلته، ويرسله بعلامات وآيات، يعرف بها المرسَل إليه صدقه.

وكذلك: إذا وُصفت بأنها معجزات، فلا بُد أن يعجز كل من ليس

(١) («الفتح»: ٢٩).

(٢) («الأعراف» ١٥٨)، قلت: وفي الأصل: دون لفظ الجلالة؛ وإنما أثبتنا لفظ الآية.

(أ) في «خ»: «قوة» وهي خطأ.

بنبي، ولم يشهد النبي بالنبوة؛ فيعجز جميع المكذبين للرسول، والشاكين في نبوته من الجنِّ والإنس.

وكذلك: إذا قيل: هي عجائب، والعجب: ما خرج عن نظيره، فلم يكن له نظير، فلا بُد أن يكون من العجائب التي لا نظير لها أصلاً عند غير الأنبياء؛ لا من الجن، ولا من الإنس. أما إذا كان ليست لها نظير في شيء آخر، فهذا يؤيد أنها من خصائص الأنبياء، ومن آياتهم.

الفرق بين النبي والمتنبئ

فهذا الموضع من فهمه فهمًا جيدًا، تبيَّن له الفرقان في هذا النوع؛ فإن كثيرًا من الناس يصفها بأنها خوارق، ومعجزات، وعجائب، ونحو ذلك، ولا يحقق الفرق بين من يجب أن يخرق عادته ومعجزه، ومن لا يجب أن تكون في حقه كذلك.

فالواجب أن يخرق عادة كل من لم يُقر بنبوة الأنبياء؛ فلا يكون لمكذِّب بنبوتهم، وليست لشاك.

وقولنا: يخرق عادتهم، هو من باب العادة التي تثبت بمرة، ليس من شرط فسادها أن تقع غير مرة، مع انتفاء الشهادة بالنبوة. بل متى وقعت مرة واحدة مع انتفاء الشهادة بالنبوة، لم تكن مختصة بشهادة النبوة، ولا بالنبوة، فلا يجب أن تكون آية.

وقولنا: ولا يجب أن تخرق عادات الأنبياء، ولم نقل: ولا يجوز أن تخرق عادات الأنبياء، بل قد تكون خارقة أيضًا لعادات الأنبياء.

وقد خُصَّ بها نبيٌّ واحدٌ؛ مثل أكثر آيات الأنبياء؛ فإنَّ كلَّ نبيٍّ خصَّ بآيات، لكن لا يجب في آيات الأنبياء أن تكون مختصةً بنبيٍّ، بل ولا يجب أن يختص ظهورها على يد النبيِّ، بل متى اختصت به، وهي من خصائصه، كانت آية له سواء وُجدت قبل ولادته، أو بعد موته، أو على

يد أحد من الشاهدين له بالنبوة ، فكل هذه من آيات الأنبياء.

○ **والذين قالوا** : من شرط الآيات أن تقارن دعوى النبوة: غلطوا غلطًا عظيمًا، **وسبب غلطهم**: أنهم لم يعرفوا ما يخص بالآيات ، ولم يضبطوا خارق العادة بضابط يميز بينها وبين غيرها ، بل جعلوا ما للسحرة والكهان، هو أيضًا من آيات الأنبياء، إذا اقترن بدعوى النبوة ، ولم يُعارضه معارض.

وجعلوا عدم المعارض هو الفارق بين النبي وغيره ، وجعلوا دعواه النبوة جزءًا من الآية، فقالوا: هذا الخارق إن وُجد مع دعوى النبوة، كان معجزة، وإن وجد بدون دعوى النبوة، لم يكن معجزة ، فاحتاجوا لذلك أن يجعلوه مقارنًا للدعوى.

قالوا: والدليل على ذلك: أن مثل آيات الأنبياء يأتي في آخر الزمان، إذا جاءت أشراط الساعة ، ومع ذلك ليس هو من آياتهم.

أشراط الساعة من آيات الأنبياء من وجوه...

وكذلك قالوا في كرامات الأولياء. وليس الأمر كذلك، **بل أشراط الساعة هي من آيات الأنبياء؛ من وجوه:**

◁ منها : أنهم أخبروا بها قبل وقوعها ، فإذا جاءت كما أخبروا، كان ذلك من آياتهم.

◁◁ ومنها: أنهم أخبروا بالساعة، فهذه الأشراط مصدقة لخبرهم بالساعة، وكل من آمن بالساعة آمن بالأنبياء، وكل من كذَّب الأنبياء كذَّب الساعة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ . وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾ [الأنعام: ١١٢، ١١٣].

وقال تعالى: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ

وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ [الانعام: ٩٢].

فكلٌّ من آمن بالآخرة فقد آمن بالقرآن، فإذا جاءت أشراط الساعة، كانت دليلاً على صدق خبرهم أن الساعة حق، وأن القرآن حق، وكان هذا من الآيات الدالَّة على صدق ما جاء به الرسول؛ من القرآن، وهو المطلوب.

فلا يوجد خرق عادة لجميع الناس، إلا وهو من آيات الأنبياء.

من أعلام النبوة وعجز الرجال من القتل ثانية

وكذلك الذي يقتله الدجال، ثم يحييه، فيقوم، فيقول: أنت الأعور الكذَّاب الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ ،والله ما ازددتُ فيك إلا بصيرة؛ فيريد الدجال أن يقتله، فلا يقدر على ذلك [(١)].

فهذا الرجل بعد أن قتل وقام، يقول للدجال: أنت الأعور الكذاب، الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ ، والله ما ازددت فيك بهذا القتل إلا بصيرة، ثم يريد الدجال أن يقتله فلا يقدر عليه.

فعجْزُه عن قتله ثانيًا، مع تكذيب الرجل له بعد أن قتله، وشهادته للرسول محمد بالرسالة، هو من خوارق العادات، التي لا توجد إلا لمن شهد للأنبياء بالرسالة، وهذا الرجل هو من خيار أهل الأرض المسلمين[(٢)].

فهذا الخارق الذي جرى فيه، هو من خصائص من شهد لمحمدٍ؛ بالنبوة فهو من أعلام النبوة، ودلائلها.

وكونه قُتل أولاً أبلغ في الدلالة؛ فإن ذلك لم يزغه، ولم يؤثر فيه، وعلم أنه لا يسلط عليه مرة ثانية ، فكان هذا اليقين والإيمان مع عجزه عنه،

(١) أخرجه البخاري في («الصحيح» ١٨٨٢، ٧١٣٢) ومسلم في («الصحيح» ٢٩٣٨) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) كما ثبت في الحديث الذي مرّ ؛ وانظر (مسلم ٢٩٣٨/ ١١٣) ففيه أن الرسول ﷺ قال: **(هذا أعظم الناس شهادة عند ربّ العالمين)**.

هو من خوارق الآيات، ومعلومٌ أن قتله ممكنٌ في العادة، فعجزه عن قتله ثانيًا، هو الخارق للعادة.

ودلَّ ذلك على أن إحياء الله له، لم يكن معجزة للدجال، ولا ليبين بها صدقه، لكن أحياه ليكذب الدجال، وليبين أن محمدًا رسول الله، وأن الدجَّال كذاب، وأنه هو الأعور الكذاب، الذي أنذر به النبيُّ ﷺ؛ حيث قال: «**مَا مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الدَّجَالَ، وَسَأَقُولُ لَكُمْ فيه قولاً لَمْ يَقُلْهُ نَبِيٌّ لأُمَّتَهِ: إِنَّهُ أَعْوَرٌ، وإنَّ الله لَيْسَ بَأَعْوَرَ**[1]، **مَكْتُوبٌ بَيْنَ عينيه كَافِرٌ، ك ف ر، يَقْرأُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ قَارِىءٍ، وَغَيْرِ قَارِىءٍ**»[2].

○ وفي بعض الأحاديث الصحيحة[3]: «**وَاعْلَمُوا أن أَحَدًا مِنكُمْ لَنْ يَرَى رَبَّهُ حَتَّى يَمُوتَ**».

فذكر لهم آيات ظاهرة يشترك فيها الناس، تبين لهم كذِّبه، فيما يدَّعيه من الربوبية؛ إذ كان كثيرٌ من الناس يُجوزون ظهورَ الإله في البشر؛ النصارى وغير النصارى.

مَنْ أنكر خوارق الدجال

وما يأتي به الدجال، إنما يحار فيه، ويراه معارضًا لآيات الأنبياء: من لم يحكم الفرقان.

---

(١) أخرجه البخاري في («الصحيح» ٧١٢٧) من حديث سالم عن ابن عمر مرفوعًا. والبخاري (٧١٣١) ومسلم (٢٩٣٣) من حديث أنس مرفوعًا. وورد عن أبي هريرة عند البخاري (٣٣٣٨) ومسلم (٢٩٣٩).

(٢) عند مسلم في («الصحيح» ٢٩٣٤) (١٠٥) عن حذيفة مرفوعًا؛ وهو في («الصحيح» برقم ٣٤٥٠) للبخاري. دون ما أشير إليه عند المصنف هنا.

(٣) كما في («صحيح مسلم» برقم: ٢٩٣٠) وعبد الرزاق في («المصنف» ١١/ رقم: ٢٠٨٢٠) ومن طريقه الترمذي في («السنن» ٢٢٣٥) وابن أبي زمنين في («أصول السنة» رقم ١١١) (ص ١٨٩، ١٩٠) عن بعض أصحاب النبي ﷺ.

موقف ابن حزم من الرجال

فقومٌ يكذبون أن يأتي بعجيب، ويقولون: ما معه إلا التمويه؛ كما قالوا في السحر والكهانة؛ مثل كثيرٍ من المعتزلة، والظاهرية؛ كابن حزم.

وقومٌ يقولون: لما ادَّعى الإلهية، كانت الدعوى معلومة البطلان، فلم يظهر الخارق؛ كما يقول ذلك القاضي أبو بكر، وطائفة. ويدّعون أن النصارى اعتقدت في المسيح الإلهية؛ لكونه أتى بالخوارق، مع إقراره بالعبودية، فيكف بمن يدَّعي الإلهية؟

ولكن هذا الخارق الذي يُظهره الله في هذا الرجل الصالح الذي طلب منه الدَّجال أن يؤمن به، فلم يفعل، بل كذَّبه، وقال: أنت الأعور الدجال الذي أخبرنا به النبيُّ ﷺ فقتله، ثم أحياه الله، فقال له: أنت الأعور الدجال، فكذَّبه قبل أن قُتِل، وبعدما أحياه الله، وأراد الدجال قتله ثانية، فلم يُمكن.

فعجْزُه عن قتله ثانيًا: من أعظم الخوارق، مع تكذيبه. وأما إحياؤه، مع تكذيبه له أولاً، وعجْزُه ثانيًا عن قتله، فليس بخارق.

فهذا إحياءٌ مُعيَّن، معه دلائل معدودة، تُبين أنه من الآيات الدالة على صدْق الرسول، لا على صدق الدجال، وتُبين بذلك أن الآيات جميعها تدلُّ على صدق الأنبياء؛ فإن آيات الله مرة أو مرتين أو ثلاثًا، لا يشترط في ذلك تكرار، بل شرطها: أن لا يكون لها نظيرٌ في العالم لغير الأنبياء، ومن يشهد بالنبوة، ولم يوجد لغيرهم، كان هذا دليلاً على أنها مختصة بالأنبياء.

ومن أطلق خرق العادة، ولم يفسره ويبينه، فلم يعرف خاصتها، بل ظنَّ أن ما وُجد من السحر والكهانة خرقُ عادة، أو ظن أن خرق العادة أن لا يعارضها معارضٌ من المرسل إليهم.

وكثيرٌ من المتنبئين الكذَّابين أتوا بخوارق من جنس خوارق السحرة والكهان، ولم يكن من أولئك القوم من أتى بمثلها، لكن قد عُلم أن في العالم مثلها، في غير ذلك المكان، أو في غير ذلك الزمان، وإنما الخارق؛ كما قال في القرآن: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾ [الإسراء: ٨٨] .

التحدي بالقرآن الكريم...

ولهذا قال في آيات التحدي: ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [هود: ١٣]، وقال في تلك الآية: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَن لاَّ إِلَٰهَ إِلاَّ هُوَ﴾ . [هود: ١٤]

فلم يكتف بعجز المدعوين، بل أمرهم أن يدعوا إلى معاونتهم كل من استطاعوا أن يدعوه من دون الله، وهذا تعجيز لجميع الخلق؛ الإنس، والجن، والملائكة.

وقال في البقرة: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٣] ؛ أي: ادعوا كلَّ من يشهد لكم، فيوافقكم على أن هذا ليس من عند الله؛ ادعوا كل من لم يُقر بأن هذا منزل من الله ، فهذا تعجيزٌ لكلٍّ من لم يؤمن به ، ومن آمن به، وبقي في ريب، بل قد علم أنه من عند الله.

وهذا التحدِّي في البقرة، وهي مدنية بعد يونس وهود، ولهذا قال : ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ﴾، وهناك قال : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ﴾ ؛ فهذا تحدٍّ لكلِّ مرتاب، وذاك تحدٍّ لكلِّ مثل مكذِّب، ولهذا قيل في ذاك: ﴿مَنِ اسْتَطَعْتُمَ﴾ فإنه أبلغ، وقيل في هذا: ﴿شُهَدَاءَكُم﴾.

○ وقد قال بعض المفسرين[1]: (﴿شُهَدَاءَكُم﴾ : آلهتكم) . وقال

(١) كالفرَّاء ومقاتل.

بعضهم[١]: (من يشهد أن الذي جئتم به مثل القرآن). **والصواب**: أن شهداءهم الذين يشهدون لهم؛ كما ذكره ابن إسحق بإسناده المعروف عن ابن عباس قال: (﴿شُهَدَاءَكُم﴾: من استطعتم من أعوانكم على ما أنتم عليه)[٢].

وقال السدي عن أبي مالك: (﴿شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾؛ أي:

---

(١) كمجاهد؛ كما رواه الطبري في («التفسير» ٤٩٧ - ٥٠٠) وابن أبي حاتم في («التفسير» رقم: ٢٤٢) من طرقٍ عن مجاهد قال: «ناسٌ يشهدون به». **قلت**: وسندُه صحيح.

(٢) كما رواه الطبري في («التفسير» ١/ ٣٧٦ شاكر) (٤٩٦) وابن أبي حاتم في («التفسير» ٢٤٠) وعزاه السيوطي في («الدرالمنثور» تفسير البقرة: ٢٣) لابن إسحاق من طريق: سلمة بن الفضل عن محمد بن إسحاق حدثني عن محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس: ﴿وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٣]؛ يعني: «أعوانكم على ما أنتم عليه إن كنتم صادقين».

● قلتُ: وفيه محمد بن أبي محمد؛ قال الذهبي في («الميزان» ٤/ ٢٦): «مدني؛ لايعرف» لكن الشيخ أحمد شاكر في («التعليق على الطبري» ١/ ٢١٩) علّق عليه قائلاً: «وهو معروف؛ ترجمه البخاري في («الكبير» ١/ ١/ ٢٢٥)؛ فلم يذكر فيه جرحًا، وذكره ابن حبان في «الثقات» وكفى بذلك معرفة وتوثيقًا».

● قلتُ: والأمر في التوثيق بالنسبة للراوي المذكور في «التاريخ» والمسكوت عنه؛ لا يعني توثيقه؛ وإن كان هذا الإيراد له قد ينفع أحيانًا؛ والمسألة محلٌّ تفصيل. قلت: وفي إسناد الأثر أيضًا؛ سلمة بن الفضل؛ وهو الرازي الأبرش؛ مختلف فيه؛ فقد تكلّم فيه ابن المديني وتبعه البخاري على ذلك؛ لكن ابن معين وثقه وأثنى عليه في باب المغازي، وقوّاه بعضهم في روايته عن ابن إسحاق خاصة؛ انظر ترجمتهُ في («الميزان» ٢/ ١٩٢) و («الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم ٤/ ١٦٨، ١٦٩) وقد جنح الشيخ شاكر إلى توثيقه في («الطبري» ١/ ٢١٩).

○ قلت: وقد رجح الطبري في («التفسير» ١/ ٣٧١) ما رجحه شيخ الإسلام - رحمه الله -. قال: «فأولى وجهيه بتأويل الآية ما قاله ابن عباس...».

شركاءكم)[١]؛ فإن هؤلاء هم الذين يُتصور منهم المعارضة إذا كانوا في ريب منه. أما من أيقن أنه من عند الله، فإنه يمتنع أن يقصد معارضته؛ لعلمه بأن الخلق عاجزون عن ذلك، والله تعالى شهد لمحمد بما أظهره من الآيات، فادعوا من يشهد لكم، وهؤلاء يشهدون من دون الله، لا يشهدون بما شهد الله به، فتكون شهادتهم مضادة لشهادة الله؛ كما قال: ﴿لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلائِكَةُ يَشْهَدُونَ﴾ [النساء: ١٦٦]. وقال: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيداً بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾ [الرعد: ٤٣].

كما قال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨].

○ وقد قلنا: يجوز أن تكون آياتهم خارقة لعادة جميع الخلق، إلا للنبيِّ، لكن لا يجب هذا فيها.

مسألة دقيقة

□ **فإن قيل:** قد ذكرتم أن آيات الأنبياء هي الخوارق التي تخرق عادة جميع

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في («التفسير» ٢٤١) قال: حدثنا أبو بكر بن أبي موسى ثنا هارون بن حاتم حدثنا عبد الرحمن بن أبي حماد عن أسباط عن السدّي عن أبي مالك فذكره.

● **قلت**: وإسنادُهُ ضعيف جدًا؛ فهارون بن حاتم، ترجمه الذَّهبي في («الميزان» ٤/ ٢٨٢) فقال: «وقَع لنا تاريخه وقد سمع منه أبو زرعة وأبو حاتم وامتنعا من الرواية عنه؛ سئل عنه أبو حاتم؛ فقال: أسأل الله السلامة» وعبد الرحمن بن أبي حماد؛ قال الشيخ شاكر في التعليق على («الطبري» ٣/ ٥٦٨): «ترجمه ابن الجزري في («طبقات القراء» ١/ ٣٦٩، ٣٧٠) وذكر أنه أخذ القراءة عن حمزة الزيات؛ «وهو أحد الذين خلفوه في القيام بالقراءة». وأبو بكر بن أبي موسى؛ ترجمه الذهبي في («الميزان» ٤/ ٤٩٩) وأثنى عليه؛ وأسباط هو ابن نصر الهمداني؛ قال الحافظ في (التقريب): «صدوق كثير الخطأ يغرب» وأما السدى؛ فمختلف فيه؛ وقد قال وأبوحاتم: (يكتب حديثه ولا يحتج به) وأبو مالك هو غزوان الغفاري؛ وثقه الحافظ في «التقريب».

الثقلين، فلا تكون لغير الأنبياء، ولغير من شهد لهم بالنبوة، وهذا كلامٌ صحيحٌ فصلتم به بين آيات الأنبياء، وغيرهم بفصل مطرد منعكس.

بخلاف من قال: هي خرق العادة، ولم يُميز بينها وبين غيرها، وتكلَّم في خرق العادة بكلام متناقض؛ تارة يمنع وجود السحر والكهانة، وتارة يجعل هذا الجنس من الآيات، ولكن الفرق عدم المعارضة، لكن لم يذكروا الفرق في نفس الأمر، ونفس كونها معجزة، وخارقًا، وآية: لماذا كان؟ وما هو الوصف الذي امتازت به، حتى صارت آية ودليلاً دون غيرها؟ فذكرتم الدليل، لكن لم تذكروا الحقيقة التي بها صار الدليل دليلاً.

⊲ **قيل:** لا بد أن تكون مما يعجز عنها الإنس والجن؛ فإن هذين الثقلين بُعث إليهم الرسل؛ كما قال تعالى: ﴿ **يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ** ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

وقال تعالى: ﴿ **وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ** ﴾ [الزمر: ٧١].

والإنس والجن منهم من آمن بالرسل، ومنهم من كذَّبهم، فلا بد أن يكون مما لا يقدر عليها جنس الإنس والجن.

ثم الكرامات يخص بها المؤمنين من الطائفتين، وأما آيات الأنبياء التي بها تثبت نبوتهم، وبها وجب على الناس الإيمان بهم، فهي أمرٌ يخص الأنبياء لا يكون للأولياء، ولا لغيرهم، بل يكون من المعجزات الخارقة للعادات الناقضة لعادات جميع الإنس والجنّ غير الأنبياء.

فما كان الإنس أو الجن يقدرون عليه، فلا يكون وحده آية للنبيِّ. أما ما تقدر عليه الملائكة: فذاك قد يكون من آياتهم؛ لأنهم لم يرسلوا إلى الملائكة، والملائكة لا تفعل شيئًا إلا بإذن الله؛ فما تفعله الملائكة معهم،

فهو بإذن الله، وهو ما خص به الأنبياء بخلاف الإنس والجن.

وخاصتها التي تمتاز بها عن غيرها: أن يكون آيةً، ودليلاً على نبوتهم؛ فكلُّ ما استلزم نبوتهم، فهو آية لهم، وما لا يستلزم نبوتهم، فليس بآية، وليست مختصة بجنس من الموجودات، بل تكون في جنس العلم، والإخبار بغيب الرب الذي اختص به، وتكون في جنس القدرة والتصرف، والتأثير في العالم، وهي مقدورة للرب، فله سبحانه أن يجعلها في أي جنس كان من المقدورات.

كل ما استلزم نبوة الأنبياء فهو آية لهم

ولهذا تنوعت آيات الأنبياء، بل النبيُّ الواحدُ تتنوع آياته، فليس القرآن الذي هو قول الله وكلامُهُ من جنس انشقاق القمر، ولا هذا وهذا من جنس تكثير الطعام، والشراب؛ كنبع الماء من بين الأصابع.

تنوع آيات الأنبياء

وهذا كما أن آيات الرب الدالَّة على قدرته، ومشيئته، وحكمته، وأمره، ونهيه، لا تختص بنوعٍ فكذلك آيات أنبيائه. فهذا مما ينبغي أن يعرف. ولكن خاصتها أنها لا تكون إلا مستلزمة لصدق النبيِّ، وصدق الخبر بأنه نبي، فلا تكون لمن يكذبه قط.

ولا يقدر أحدٌ من مكذِّبي الرسل أن يأتي بمثل آيات الأنبياء، وأما مصدقوهم، فهم معترفون بأن ما يأتون به هو من آيات الأنبياء، مع أنه لا تصل آيات الأتباع إلى مثل آيات المتبوع مطلقًا، وإن كانوا قد يشاركونه في بعضها؛ كإحياء الموتى، وتكثير الطعام، والشراب، فلا يشركونه في القرآن، وفلق البحر، وانشقاق القمر؛ لأن الله فضل الأنبياء على غيرهم، وفضل بعض النبيين على بعض، فلا بُد أن يمتاز الفاضل بما لا يقدر المفضول على مثله؛ إذ لو أتى بمثل ما أتى، لكان مثله، لا دونه.

كرامات الأولياء من آيات الأنبياء الصغرى

○ فصلٌ ○

الاضطراب في مُسمّى العادة

○ وكثيرٌ من هؤلاء مضطربون في مسمى العادة التي تخرق.

والتحقيق؛ أن العادة أمرٌ إضافيٌّ؛ فقد يعتاد قومٌ ما لم يعتده غيرهم، فهذه إذا خرقت، فليست لصدق النبيِّ لا توجد بدون صدقه.

والرب تعالى في الحقيقة لا ينقض عادته التي هي سنته، التي قال فيها: ﴿**سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**﴾ [الفتح: ٢٣]، وقال: ﴿**فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً**﴾ [فاطر: ٤٣]، وهي التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين؛ فهو سبحانه إذا ميز بعض المخلوقات بصفات يمتاز بها عن غيره، ويختصه بها، قرن بذلك من الأمور ما يمتاز به عن غيره، ويختص به.

ولا ريب أن النبوة يمتاز بها الأنبياء، ويختصون بها، والله تعالى يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس[١]، وهو أعلم حيث يجعل رسالته[٢].

فمن خصه بذلك، كان له من الخصائص التي لا تكون لغيره، ما يناسب ذلك؛ فيُستدلُّ بتلك الخصائص على أنه من أهل الاختصاص بالنبوة.

وتلك سنته وعادته في أمثاله؛ يُميزهم بخصائص يمتازون بها عن غيرهم، ويعلم أن أصحابها من ذلك الصنف المخصوص الذين هم الأنبياء مثلاً.

ولم تكن له سبحانه عادة؛ بأن يجعل مثل آيات الأنبياء لغيرهم؛ حتى

(١) كما في («سورة الحج»: ٧٥).
(٢) كما في («سورة الأنعام»: ١٢٤).

يقال : إنه خرق عادته ونقضها ، بل عادته وسنته المطردة أن تلك الآيات لا تكون إلا مع النبوة، والإخبار بها، لا مع التكذيب بها، أو الشك فيها.

كما أن سنته وعادته: أن محبته، ورضاه، وثوابه لا يكون إلا لمن عبده وأطاعه ، وأن سنته وعادته أن يجعل العاقبة للمتقين[١] ، وسنته ، وعادته أن ينصر رسله ، والذين آمنوا[٢]؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيراً . سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح: ٢٢، ٢٣] .

وكلٌّ ما يُظن أنه خرقه من العادات ؛ فله أسباب انخرقت فيها تلك العادات.

حكمةُ الله في أفعاله

فعادته وسنته لا تتبدل؛ إذ أفعاله جارية على وجه الحكمة والعدل ، هذا قول الجمهور .

نفاة الحكمة

○وأما من لا يثبت سببًا، ولا حكمة، ولا عدلاً؛ فإنهم يقولون: إنه يخرق عادات، لا لسبب، ولا لحكمة. ويجوزون أن يقلب الجبل ياقوتًا، والبحر لبنًا، والحجارة آدميين، ونحو ذلك، مع بقاء العالم على حاله. ثم يقولون مع هذا: ولكن نعلم بالضرورة أنه لم يفعل ذلك. ويقولون : العقل هو علومٌ ضرورية؛ كالعلوم بجاري العادات.

وهذا تناقضٌ بيِّن؛ فإنهم إذا جوزوا هذا ، ولم يعلموا فرقًا بين ما يقع منه، وما لا يقع، كان الجزم بوقوع هذا دون هذا جهلاً.

وغاية ما عندهم أن قالوا: يُخلق في قلوبنا علمٌ ضروريٌّ بأن هذا لم يقع، ويُخلق في قلوبنا علمٌ ضروري بأن الله خرق العادة لتصديق هذا

(١) كما في («سورة طه»: ١٣٢) و («القصص»: ٨٣).
(٢) كما في («سورة غافر»: ٥١).

النبي.

● **فيُقال** : إذا كان قد جعل الله في قلوبكم علمًا ضروريًا كما جعله في قلوب أمثالكم ، فأنتم صادقون فيما تخبرون به عن أنفسكم من العلم الضروري ، لكن خطأكم: اعتقادكم أن العادات قد ينقضها الله بلا سبب، ولا لحكمة؛ فهذا ليس معلومًا لكم بالضرورة.

وخطأكم من حيث جوَّزتم أن يكون شيئان متساويان من كلِّ وجهٍ، ثم يعلم بضرورة، أو نظرٍ ثبوت أحدهما، وانتفاء الآخر.

فإن هذا تفريقٌ بين المتماثلين، وهذا قدحٌ في البديهيات؛ فإن أصل العلوم العقلية النظرية: اعتبارُ الشيءِ بمثله، وأن حكمه حكم مثله.

فإذا جوَّزتم أن يكون الشيئان متماثلين من كلِّ وجه، وأن العقل يجزم بثبوت أحدهما وانتفاء الآخر ، كان هذا قدحًا في أصل كلِّ علمٍ وعقل. وإذا قلتم: إن العادات جميعها سواء ، وإن الله يفعل ما يفعل بلا سبب، ولا حكمة ، بل محضُ المشيئة مع القدرة رجَّحت هذا على هذا ، وقلتم: لا فرق بين قلب الجبال يواقيت، والبحار لبنًا، وبين غير ذلك من العادات ، وجوزتم أن يجعل الله الحجارة آدميين علماء، من غير سبب تُغيَّر به المخلوقات، كان هذا قدحًا في العقل؛ فلا أنتم عرفتم سنة الله المعتادة في خلقه، ولا عرفتم خاصة العقل؛ وهو التسوية بين المتماثلين؛ فإنه سبحانه قط لم يخرق عادة، إلا لسبب يناسب ذلك؛ مثل فلق البحر لموسى، وغير ذلك من الآيات التي بعث بها؛ فإن ذلك خلقه ليكون آيةً وعلامةً؛ وكان ذلك بسبب نبوة موسى، وإنجائه قومه، وبسبب تكذيب فرعون ، ومن جوَّز أن ذلك البحر، أو غيره ينفلق كما انفلق لموسى، من غير أن يكون هناك سببٌ إلهي يناسب ذلك ، فهو مصابٌ في عقله.

اضطراب الأشاعرة في التفريق بين آيات الأنبياء وخوارق غيرهم

ولهذا اضطرب أصحاب هذا القول ، ولم يكن عندهم ما يفرقون بين دلائل النبوة وغيرها ، وكانت آيات الأنبياء والعلم بأنها آيات إنْ حققوها على وجهها، فسدت أصولهم ، وإن طردوا أصولهم، كذبوا العقل، والسمع، ولم يمكنهم؛ لا تصديق الأنبياء، ولا العلم بغير ذلك من أفعال الله تعالى التي يفعلها بأسباب وحكم، كما قد بُسط هذا في موضع آخر .

○ فَصْلٌ ○

اشتقاق كلمة النبوة

ودليل الشيء مشروطٌ بتصور المدلول عليه ، فلا يعرف آيات الأنبياء إلا من عرف ما اختُص به الأنبياء ، وامتازوا به عما سواهم. والنبوة مشتقة من الإنباء. والنبيُّ فعيلٌ؛ وفعيل قد يكون بمعنى فاعل؛ أي: منبي، وبمعنى مفعول؛ أي: مُنَبَّأ.

وهما هنا متلازمان؛ فالنبيُّ الذي ينبىء بما أنباهُ الله به ، والنبيُّ الذي نبأه الله، وهو منبأ بما أنبأه الله به.

عصمة الأنبياء

وما أنبأه الله به لا يكون كذبًا، وما أنبأ به النبيّ عن الله لا يكون يطابق كذبًا؛ لا خطأ، ولا عمدًا ، فلا بُد أن يكون صادقًا فيما يخبر به عن الله؛ يُطابق خبره مَخْبره، لا تكون فيه مخالفة؛ لا عمدًا، ولا خطأ.

وهذا معنى قول من قال: هم معصومون فيما يبلغونه عن الله.

لكن لفظ الصادق، وأن النبي صادق مصدوق: نطق به القرآن، وهو مدلول الآيات والبراهين .

معنى العصمة في القرآن

○ولفظ العصمة في القرآن، جاء في قوله : ﴿ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧]؛ أي: من أذاهم. فمعنى هذا اللفظ في القرآن: هو الذي يحفظه الله عن الكذب خطأ وعمدًا. والتعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن، أولى من التعبير عنها بغيرها؛ فإن ألفاظ القرآن يجب الإيمان بها ، وهي تنزيل من حكيم حميد. والأمة متفقة عليها ، ويجب الإقرار بمضمونها قبل أن تفهم ، وفيها من الحكم والمعاني ما لا تنقضي عجائبه.

التعبير عن حقائق الإيمان بعبارات القرآن

والألفاظ المحدثة فيها إجمال واشتباه ونزاع. ثم قد يُجعل اللفظ حجة بمجرده، وليس هو قول الرسول الصادق المصدوق ، وقد يُضطرب في

معناه، وهذا أمرٌ يعرفه من جربه من كلام الناس. فالاعتصام بحبل الله يكون بالاعتصام بالقرآن والإسلام؛ كما قال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ومتى ذكرت ألفاظ القرآن والحديث، وبُيِّن معناها بيانًا شافيًا، فإنها لا تنتظم جميع ما يقوله الناس من المعاني الصحيحة، وفيها زيادات عظيمة لا توجد في كلام الناس، وهي محفوظة مما دخل في كلام الناس من الباطل؛ كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ . لا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١، ٤٢]، وقال تعالى: ﴿الَر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ [هود: ١]، وقال: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ٢]. وفيه من دلائل الربوبية، والنبوة، والمعاد ما لا يوجد في كلام أحدٍ من العباد، ففيه أصول الدين المفيدة لليقين؛ وهو أصول دين الله ورسوله، لا أصول دين محدث، ورأي مبتدع.

معنى ثانٍ للعصمة

○○وقد يكون معصومًا على لغة القرآن: بمعنى: أن الله عصمه من الشياطين؛ شياطين الإنس والجن، وأن يُغيروا ما بُعث به، أو يمنعوه عن تبليغه، فلا يكتم، ولا يكذب؛ كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٦ - ٢٨]، فهو يسلك الوحي من بين يدي الرسول ومن خلفه، وهذا في معنى عصمته من الناس؛ فهو المؤيد، المعصوم بما يحفظه الله من الإنس والجن، حتى يبلغ رسالات ربه كما أمر، فلا يكون فيها كذب ولا كتمان.

لفظ الإنباء

● ولفظ الإنباء يتضمن معنى الإعلام والإخبار، لكنه في عامة موارد استعماله أخص من مطلق الإخبار؛ فهو يستعمل في الإخبار بالأمور الغائبة

المختصة، دون المشاهدة المشتركة؛ كما قال : ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩].

وقال : ﴿فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَنْ أَنبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣].

وقال: ﴿قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ . أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧، ٦٨] . وقال : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ . عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ [النبأ: ١ ـ ٣] . وقال : ﴿وَإِن يَأْتِ الأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [الأحزاب: ٢٠] . وقال : ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾ [ص: ٨٨] . وقال : ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧] . وقال: ﴿أَنبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلاءِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ٣١]، إلى قوله : ﴿قَالَ يَا آدَمُ أَنبِئْهُم بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنبَأَهُم بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة: ٣٣] .

وقوله : ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لاَّ تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة: ٩٤] ، فهذا في خطاب المنافقين ، ولم يقل: والمؤمنون؛ لأنهم لم يكونوا يُطلعون المؤمنين على ما في بطونهم ، وهذا بخلاف قوله : ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا . بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾ [الزلزلة: ٤، ٥]، فإنها أمورٌ مشهودةٌ، يعرفها الناس، لكن العجب كون الأرض تخبر بذلك ، فالعجبُ في المخبر ؛ لا في الخبر ؛ كشهادة الأعضاء.

وقال : ﴿قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الأُنثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٣] .

وجمعُ النبيِّ: أنبياء؛ مثل وليٍّ وأولياء، ووصي وأوصياء ، وقوي

وأقوياء ، ويُشبهه: حبيب وأحباء ؛ كما قال تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [المائدة: ١٨] .

فائدة لغوية

فـ «فعيل» إذا كان معتلاّ، أو مضاعفًا، جُمع على أفعلاء، بخلاف حكيم وحكماء، وعليم وعلماء.

معنى النبي في اللغة

وهو من النبأ، وأصله الهمزة ، وقد قُرِىء به؛ وهي قراءة نافع، يقرأ النبيء [(١)]، لكن لما كثر استعماله لُينت همزته ؛ كما فعل مثل ذلك في الذرية ، وفي البرية.

وقد قيل: هو من النَّبْوة؛ وهو العلو؛ فمعنى النبيّ: المعلى، الرفيع المنزلة.

○ **والتحقيق**؛ أن هذا المعنى داخلٌ في الأول ، فمن أنبأه الله، وجعله مُنْبِئًا عنه، فلا يكون إلا رفيع القدر عليًا.

وأما لفظ العلو والرفعة: فلا يدلُّ على خصوص النبوة؛ إذ كان هذا يوصفُ به من ليس بنبي ، بل يوصف بأنه الأعلى؛ كما قال : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] .

وقراءة الهمز قاطعة بأنه مهموز.

وما رُوي عن النبيِّ ﷺ أنه قال : «**أَنَا نبي الله وَلَسْتُ بِنبيء الله**»: فما رأيتُ له إسنادًا؛ لا مسندًا، ولا مرسلاً ، ولا رأيته في شيءٍ من كتب الحديث، ولا السير المعروفة[(٢)] ، ومثل هذا لا يعتمد عليه ؛ واللفظان

---

(١) قال البغوي في («المعالم» ١/ ٧٨): «تفرد نافع بهمز النبي وبابه».

(٢) ● رحم الله شيخ الإسلام رحمة واسعة؛ فالحديثُ رُوى بإسنادٍ موصولٍ ومرسلٍ. ـ ليس كما نفاهُ ـ طيَّب ربى ثراه ونوّر قبره ـ .

○ وقد أخرجه الحاكمُ في («المستدرك» ٢/ ٢٣١) من طريق : =

. . . .

= علي بن حمزة الكسائي عن حسين بن علي الجعفي عن حمران بن أعين عن أبي الأسود الديلي عن أبي ذر رضي الله عنه قال :

جاء أعرابيٌّ إلى رسول الله ﷺ فقال : يا نبئ الله، فقال رسول الله ﷺ : «لست بنبئ الله ولكني نبي الله».

● قال الحاكم : «هذا حديثٌ صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه» .

وتعقبه الذهبي بقوله : « بل منكرٌ لم يصح . قال النسائي : حمران ليس بثقة .

وقال أبو داود : رافضي . روي عن موسى بن عبيدة وهو واهٍ» .

●● قلتُ: وقد ليَّن هذا الإسناد العقيليُّ في («الضعفاء» ٣/ ٨٢) ؛ وكما في («الميزان» ٢/ ٦٠٤).

○ وقد رُوي مرسلاً ؛ فخالف حسينَ بن علي الجعفي ـ وهو ثقة ـ : حمزةُ الزيات ـ وهو صدوق ـ فأخرجه ابن عدي في («الكامل» ٢/ ٤٣٦، ٤٣٧) [1] وعزاه السيوطي في («الدر» ١/ ١٤٢ط الكتب) لابن الأعرابي من طريق :

(أبي نُعيم الفضل بن دكين وأبي قتيبة سلم بن قتيبة) ؛ (كلاهما) عن حمزة الزيات عن حمران بن أعين أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي ﷺ فقال : فذكره مرسلاً .

والوصل أولى ومدارهما على ضعيف؛ فالحديث من هذا الوجه لا يصح ؛ وقد نقل القرطبي في («التفسير» ١/ ٤٣١ ط الشعب) عن أبي علي تضعيف هذا الحديث من ناحية الإسناد ثم ضعفه من ناحية المتن كذلك فقال: «ومما يقوي ضعفه أنه عليه السلام، قد أنشده المادح : «يا خاتم النبآء. . .» [2] ولم يؤثر في ذلك إنكار». ا. هـ.

● **قلت** : وله شاهدٌ من حديث ابن عباس ؛ أخرجه العقيلي في («الضعفاء» ٣/ ٨١) من طريق: =

---

(١) وقد وهم محقق كتاب («مختصر استدراك الذهبي على الحاكم) لابن الملقن ٢/ ٦٩٢) فقد عزا الحديث لابن عدي بالوصل كطريق الحاكم! وهو مرسلٌ كما في التخريج.

(٢) وقد نسبه الطبري في («التفسير» ١/ ١٤١ شاكر) فقال: «ومن ذلك قول عباس بن مرداس في مدح النبي ﷺ:

يا خاتم النبآء إنك مرسلٌ بالخير، كلُّ هدى السبيل هداكا» .

وقد عزاه الشيخ شاكر له في سيرة ابن هشام (٤/ ١٠٣).

أيهما أفضل النبي بالهمز أم بدونها؟

مشتركان في الاشتقاق الأكبر؛ فكلاهما فيه النون والباء، وفي هذا الهمزة، وفي هذا الحرف المعتل.

لكن الهمزة أشرف، فإنها أقوى؛ **قال سيبويه** [١] : هي نبوة من الحلق، تشبه التهوّع ، فالمعنى الذي يدل عليه ، ويُمكن أن تلين، فتصير حرفًا معتلاً، فيُعبر عنه باللفظين، بخلاف المعتل؛ فإنه لا يُجعل همزة.

فلو كان أصله نبي؛ مثل: علي ووصي وولي، لم يجز أن يُقال بالهمز؛ كما لا يقال علىء، ووصىء، وولىء - بالهمز - .

وإذا كان أصلُه الهمز [٢]، جاز تليين الهمزة ، وإن لم يكثر استعماله؛

= عبد الرحيم بن حماد الثقفي عن الأعمش عن الشعبي عن ابن عباس مرفوعًا .

قلت : وفي إسناده الثقفي ؛ فقد قال فيه الذهبي في («الميزان» ٢/ ٦٠٤) : «هذا شيخ واهٍ ؛ لم أر لهم فيه كلامًا . وهذا عجيب» .

○ قال الدكتور قلعجي في تعليقه على العقيلي :

«وأشار البيهقي في الشعب بضعفه» .

●وله شاهد آخر عند الحاكم (٢/ ٢٣١) عن ابن عمر قال : «ما همز رسول الله ﷺ ولا أبو بكر ولا عمر والخلفاء ، وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم» .

* قلت : وفي إسناده موسى بن عبيدة الزبذي ضعفه الإمام أحمد ؛ وضعف الذهبي الحديث في «التلخيص».

(١)● **قال السخاوي في («القول البديع» ص : ٣٨)** : «قال سيبويه : الهمزة فيه لغة ردية لقلة استعمالها؛ لا لأن القياس يمنع من ذلك » .

(٢)● **قال الطبري في («التفسير» ١/ ١٤٠، ١٤١ شاكر)** عند قوله تعالى: ﴿**وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ**﴾ [البقرة: ٦١] : «وهم جِماعٌ؛ واحدهم «نبي» غير مهموز ، وأصله الهمز، لأنه من أنبأ عن الله ؛ فهو يُنْبِئ عنه إنباءً ، وإنما الاسم منه «منبئ» ولكنه صُرِف ؛ وهو «مفعل» إلى : «فعيل» وأبدل مكان الهمزة من «النبئ» الياء ، فقيل : «نبي» . ثم قال : وقد حكى سماعًا في جمع «النبي» : «النبآء» وذلك من لغة الذين يهمزون «النبي» ثم يجمعونه على النبآء» على ما قد بينت ، ومن ذلك قول عباس بن مرداس =

كما في لفظ: خبيء وخبيئة.

وأيضًا: فإن تصريفه: أنبأ ونَبَّأ، يُنبيء وينبيء بالهمزة، ولم يستعمل فيه نَبَا يَنْبُو، وإنما يُقال: هذا ينبو عنه، والماء ينبو عن القدم إذا كان يجفو عنها، ويقال النبوة، وفي فلان نبوة عنَّا: أي: مجانبة؛ فيجبُ القطع بأن النبيَّ مأخوذٌ من الإنباء، لا من النَّبْوة، والله أعلم.

= في مدح النبي ﷺ:

يا خاتم البنآء إنك مرسَلٌ   بالخير كلّ هدى السبيل هداكا

فقال: «يا خاتم البنآء» على أن واحدهم «نبئ» مهموز، وقد قال بعضهم: «النبي» و «النبوة» غير مهموز؛ لأنهما مأخوذان من «النبوة» وهي مثل «النجوْة»؛ وهو المكان المرتفع، وكان يقول: إن أصل «النبي» الطريق؛ ويستشهد على ذلك ببيت القطامي:

لما وردْن نبيًا واستتبَّ بها   مُسحَنْفِرٌ كخطوط السيْح مُنْسحِلُ

يقول: إنما سمي الطريق «نبيًا» لأنه ظاهر مستبين؛ من «النبوة» ويقول: لم أسمع أحدًا يهمز «النبي» قال: وقد ذكرنا ما في ذلك، وبينا ما فيه الكفاية» انتهى.

○ فَصْلٌ ○

وجه دلالة المعجزات على نبوة الأنبياء

قد تقدم أن للناس في وجه دلالة المعجزات؛ وهي آيات الأنبياء على نبوتهم طرقًا متعددة:

منهم من قال : دلالتها على التصديق تعلم بالضرورة.

ومنهم من قال : تعلم بالنظر والاستدلال. **وكلا القولين صحيحٌ** ؛ فإن كثيرًا من العلوم في هذا الباب، كدلالة الأخبار المتواترة ، فإنه قد يحصل بالخبر علم ضروري ، وقد يحصل العلم بالاستدلال.

وطائفة منهم الكعبي، وأبو الحسين البصري، وأبو الخطاب: أنه نظري.

○ **والتحقيق:** أن كِلا القولين حق، فإنه يحصل بها علمٌ ضروري ، والأدلة النظرية توافق ذلك.

وكذلك كثيرٌ من الأدلة والعلامات والآيات:

من الناس من يعرف استلزامها للوازمها بالضرورة، ويكون اللزوم عنده بيِّنًا، لا يحتاج فيه إلى وسط ودليل.

ومنهم من يفتقر إلى دليل، ووسط يبيِّن له أن هذا الدليل مستلزمٌ لهذا الحكم ، وهذا الحكم لازمٌ له.

ومن تأمَّل معارف الناس وجد أكثرها من هذا الضرب؛ فقد يجيء المخبر إليهم بخبر، فيعرف كثيرٌ منهم صدقه أو كذبه بالضرورة، لأمور تقترن بخبره ، وآخرون يشكون في هذا.

كثير من الناس يعلم صدق النبي بلا آية

ثم قد يتبين لبعضهم بأدلة ، وقد لا يتبيَّن.

وكثيرٌ من الناس يعلم صدق المخبر بلا آية البتة ، بل إذا أخبره، وهو

خبير بحاله، أو بحال ذلك المخبَر به، أو بهما، علم بالضرورة: إما صدقه، وإما كذبه.

وموسى بن عمران لما جاء إلى مصر ،فقال لهارون وغيره : إن الله أرسلني ، علموا صدقه، قبل أن يُظهر لهم الآيات ، ولما قال لهارون : إن الله قد أمرك أن تؤازرني، صدَّقه هارون (١) في هذا، لما يعلم من حاله قديمًا، ولما رأى من تغير حاله الدليل على صدقه .

وكذلك النبيُّ ﷺ لما ذكر حالَهُ لخديجة، وغيرها ، وذهبت به إلى ورقة ابن نوفل، وكان عالمًا بالكتاب الأول، فذكر له النبيُّ ﷺ ما يأتيه، علم أنه صادق، وقال : هذا هو الناموس الذي كان يأتي موسى ، يا ليتني فيها جذعًا ، يا ليتني أكون حيًّا حين يخرجك قومك. قال رسول الله ﷺ : «**أَوَ مُخْرِجِي هُم؟**» قال : نعم، لم يأت أحدٌ بمثل ما جئتَ به إلا عودي، وإن يُدركني يومك أنصرك نصرًا مؤزرًا (٢) .

وكذلك النجاشي ـ لما سمع القرآن ـ قال : «**إن هذا، والذي جاء به موسى، ليخرج من مشكاة واحدة**» (٣) .

---

(١) فكان هارون معينًا لموسى عليه السلام ومساعدًا له في تبليغ رسالة الله ؛ وكان وزيرًا له؛ كما قال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيرًا**﴾ [الفرقان: ٣٥] .

(٢) **حديثٌ صحيح .**

أخرجه البخاري في («الصحيح» رقم : ٣) وانظر أطرافه هناك ، ومسلم في («الصحيح» رقم: ١٦٠) من حديث عائشة ﵂. وقد تقدَّم (ص: ١٤٨).

● الناموس هو: جبريل ﷺ .

●● جذعًا : شابًا قويًا.

(٣) جزءٌ من **حديث صحيح** .

وهو حديث الهجرة . =

وكذلك أبو بكر، وزيد بن حارثة[١]، وغيرهما: علموا صدقه علمًا ضروريًا لما أخبرهم بما جاء به ، وقرأ عليهم ما أُنزل عليه. وبقي القرآن الذي قرأه آية، وما يعرفون من صدقه وأمانته ، مع غير ذلك من القرائن، يوجب علمًا ضروريًا بأنه صادق.

وخبر الواحد المجهول من آحاد الناس، قد تقترن به قرائن، يُعرف بها صدقه بالضرورة.

فكيف بمن عرف صدقه وأمانته، وأخبر بمثل هذا الأمر، الذي لا يقوله

= أخرجه أحمد في («المسند» ١٧٤٠) (٣/ ٢٦٣ط شعيب) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٣٠١) من طريق :

محمد بن إسحاق قال حدثني محمد بن مسلم الزهري عن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الحارث بن هشام المخزومي عن أم سلمة ﵂ قالت : فذكرته بسياقٍ طويل .

● **قلت** : وهذا إسنادٌ حسنٌ ؛ فمحمد بن إسحاق مع إمامته حسنُ الحديث ؛ قال الحافظ في («التقريب» ٦٤٢٤) : «صدوق مدلس ، ورمى بالتشيع والقدر».

والحديثُ له شاهد من حديث أبي موسى ؛ أخرجه أبو داود في («السنن» ٣٢٠٥) وعبد بن حميد في («المنتخب» رقم : ٥٤٩) من طريق :

أبي إسحاق عن أبي بردة بن أبي موسى عن أبيه قال : فذكره . وله شاهدٌ آخر عن عروة بن الزبير مرسلاً . انظر «دلائل النبوة» لأبي القاسم الأصبهاني (٨٥٤ ـ ٨٥٩) ط العاصمة .

○ **قلتُ** : وقد مرّ الحديث (ص : ١٤٨).

(١) إذ هما من أوائل من أسلم برسول الله ﷺ مع غيرهم؛ كخديجة وعلي بن أبي طالب؛ قال أهل العلم: أبو بكر أول من أسلم من الرجال الأحرار ، وخديجة أول من أسلم من النساء، وزيد أوّل من أسلم من الموالي، وعليٌّ أول من أسلم من الغلمان ﵃ أجمعين .

● أما أبو بكر ﵁؛ ففي «صحيح البخاري» (٣٦٦١) من حديث أبي الدرداء وفيه أن النبي ﷺ قال: «**إن الله بعثني إليكم ؛ فقلتم: كذبت ، وقال أبو بكر: صدق، وواساني بنفسه وماله**».

إلا من هو من أصدق الناس، أو من أكذبهم، وهم يعلمون أنه من الصنف الأول دون الثاني؟ .

فإذا كان العلم بصدقه بلا آية، قد يكون علمًا ضروريًا ، فكيف بالعلم بكون الآية علامة على صدقه.

وجميع الأدلة لا بد أن تُعرف دلالتها بالضرورة؛ فإن الأدلة النظرية لا بد أن تنتهي إلى مقدمات ضرورية. وأكثر الخلق إذا علموا ما جاء به موسى، والمسيح، ومُحمَّد، علموا صدقهم بالضرورة.

ولهذا لا يوجدُ أحدٌ قدح في نبوتهم، إلا أحد رجلين؛ إما رجل جاهل، لم يعرف أحوالهم؛ وإما رجل معاند، متبع لهواه.

وعامة من كذبهم في حياتهم، كان معاندًا؛ فالرؤساء كذبوهم لئلا تزول رئاستهم، أو مأكلتهم، والأتباع طاعة لكبرائهم؛ كما أخبر الله بمثل ذلك في غير موضع من القرآن، لم يكن التكذيب لقيام حجة تدل على الكذب؛ فإنه يمتنع قيام دليلٍ يدلُّ على الكذب؛ فالمكذب مفتر، متكلِّم بلا علم، ولا دليل قطعًا.

وكذلك كل من كذب بشيءٍ من الحق، أو صدق بشيءٍ من الباطل ، يمتنع أن يكون عليه دليلٌ صحيح؛ فإنَّ الدليل الصحيح مستلزم مدلوله ، فإذا كان المدلولُ منتفيًا، امتنع أن يكون عليه دليلٌ صحيح.

وكثير من الناس قد يكون شاكًا، لعدم طلبه العلم، وإعراضه عنه؛ فالمكذب متكلِّمٌ بلا علمٍ قطعًا ، والشاك معرضٌ عن طلب العلم، مقصِّرٌ، مفرِّط، ولو طلب العلم تبين له الحق إذا كان متمكنًا من معرفة أدلة الحق، وأما من لم يصل إليه الدليل، ولا يتمكن من الوصول إليه، فهذا عاجز .

وأما الذين سلكوا طريق الحكمة، فلهم أيضًا مسالك؛ مثل أن يقال :

طريق الحكمة في معرفة صدق الأنبياء

إن الله سبحانه وتعالى إذا بعث رسولاً أمر الناس بتصديقه وطاعته ، فلا بد أن ينصب لهم دليلاً يدلهم على صدقه؛ فإن إرسال رسولٍ بدون علامة وآية تعرف المرسل إليهم أنه رسولٌ: قبحٌ، وسَفَهٌ في صرائح العقول ، وهو نقصٌ في جميع الفطر.

وهو سبحانه منزهٌ عن النقائص والعيوب، ولهذا يُنكر على المشركين أنهم يصفونه بما هو عندهم عيبٌ ونقصٌ، لا يرضونه لأنفسهم؛ مثل كون مملوك أحدهم شريكه يساويه؛ فإن هذا من النقائص والعيوب التي يُنزهون أنفسهم عنها [(١)]، ويعيبون ذلك على من فعله من الناس. فإذا كان هذا عَيبًا ونقصًا، لا يرضاه الخلق لأنفسهم؛ لمنافاته الحكمة، والعدل؛ فإن الحكمة والعدل تقتضي وضع كل شيء موضعه الذي يليق به ، ويصلح به ، فلا تكون العين كالرجل، ولا الإمام الذي يُؤتم به في الدين والدنيا في آخر المراتب ، والسفلة من أتباعه في أعلى المراتب.

المرأة لا تتزوج عبدها لتناقض الأحكام

فكذلك المالك لا يكون مملوكًا مساويًا له ، فإن ذلك يُناقض كون أحدهما مالكًا والآخر مملوكًا، ولهذا جاءت الشريعة بأن المرأة لا تتزوج عبدها لتناقض الأحكام؛ فإن الزوج سيد المرأة ، وحاكمٌ عليها[(٢)]، والمالك، سيد المملوك وحاكمٌ عليه ، فإذا جُعل مملوكُها زوجَها الذي هو سيِّدها، تناقضت الأحكام؛ فهذا وأمثاله مما يُبيِّن أن هذه القضية مستقرة في فطر

---

(١) إشارة إلى قول الله : ﴿ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ [النحل: ٧١] وقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾ [الروم: ٢٨] .

(٢) وقال تعالى: ﴿ الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤].

العقلاء؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلاً مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ [الروم: ٢٨]؛ أي: كما يخاف بعضكم بعضًا : ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ﴾ [الروم: ٢٨، ٢٩] .

وكذلك كلُّ أحدٍ يعلم بفطرته أن الذكر أفضل من الأنثى[١].

كراهية العرب للبنات وقسمتهم الجائرة في حقّ الله

وكانت العرب أشدَّ كراهيةً للبنات من غيرهم ، حتى كان منهم من يئد البنات، ويدفن البنت وهي حية ، حتى قال تعالى: ﴿وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ [التكوير: ٨، ٩]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾ [النحل: ٥٨، ٥٩] . وكانوا لا يُورِّثون الإناث ؛ وقد قالت أم مريم : ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦].

وكان من الكفار من جعل له الإناث أولادًا وشركاءً، قال تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللاتَ وَالْعُزَّىٰ . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ . أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَىٰ . تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ . إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم﴾ [النجم: ١٩ ـ ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ لَيُسَمُّونَ الْمَلائِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنثَىٰ . وَمَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [النجم: ٢٧، ٢٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ . وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [النحل : ٥٧ ـ ٥٩]، يعني: ساء

---

(١) وقد قال تعالى حاكيًا عن أم مريم ـ عليهما السلام ـ: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] وقال في الفرائض ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ﴾ [النساء: ١١] .



فلذلك يقال : الواحد من الناس قادرٌ على إرسال رسول ، وعلى أن يرسل نشابة، وعلامة يعرفه المرسل إليهم بها صدقه.

فكيف لا يقدر الربُّ على ذلك؟

ثم إذا أرسله إليهم، وأمرهم بتصديقه وطاعته، ولم يعرفهم أنه رسوله، كان هذا من أقبح الأمور. فكيف يجوز مثل هذا على الله.

ولو بعثه بعلامة لا تدلهم على صدقه، كان ذلك عيبًا مذمومًا؛ فكلُّ ما تُرك من لوازم الرسالة؛ إما أن يكون لعدم القدرة؛ وإما أن يكون للجهل، والسفه، وعدم الحكمة.

والربُّ أحقُّ بالتنزيه عن هذا، وهذا من المخلوق؛ فإذا أرسل رسولاً فلا بد أن يعرفهم أنه رسوله، ويبين ذلك.

وما جعله آيةً، وعلامةً، ودليلاً على صدقه، امتنع أن يوجد بدون الصدق؛ فامتنع أن يكون للكاذب المتنبي؛ فإن ذلك يقدح في الدلالة.

دلالة الآيات من جهة حكمة الله سبحانه وتعالى

فهذا ونحوه مما يُعرف به دلالة الآيات من جهة حكمة الرب. فكيف إذا انضمَّ إلى ذلك أن هذه سنته وعادته؟ وأن هذا مقتضى عدلِه؟

وكلُّ ذلك عند التصور التام، يُوجب علمًا ضروريًا يصدق الرسول الصادق، وأنه لا يجوز أن يُسوي بين الصادق والكاذب؛ فيكون ما يظهره النبيُّ من الآياتِ يظهر مثله على يد الكاذب، إذ لو فعل هذا، لتعذَّر على الخلق التمييز بينَ الصادق والكاذب.

وحينئذٍ: فلا يجوزُ أن يؤمروا بتصديق الصادق، ولا يُذموا على ترك تصديقه وطاعته؛ إذ الأمر بذلك[1] بدون دليلِه تكليف ما لا يُطاق ، وهذا لا يجوزُ في عدله وحكمته. ولو قُدِّر أنه جائزٌ عقلاً، فإنه غير واقع.

---

(١) في «خ» بدونها.

○ فصلٌ ○

سنة الله وعادته في الانتقام من الكذاب

وقد دلَّ القرآنُ على أنه سبحانه لا يؤيِّدُ الكذَّابَ عليه ، بل لا بد أن يظهرَ كذبهُ، وأن يَنْتقمَ منه؛ فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ . لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧] ـ ذكر هذا بعد قوله : ﴿فَلا أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ . وَمَا لا تُبْصِرُونَ . إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ . وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ . تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الحاقة: ٣٨ ـ ٤٣] ـ ثم قال : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ . لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ . فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤ ـ ٤٧]، هذا بتقدير أن يتقوَّل بعضَ الأقاويل، فكيف بمن يتقوَّل الرِّسالةَ كلَّها.

معنى الوتين

○ وقوله : ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ . ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ : الوتين: عرقٌ في الباطن، يقال: هو نياط القلب، وإذا قُطع مات الإنسان عاجلاً ، وذلك يتضمن هلاكه لو تقوَّل عَلى الله.

❑ وقوله : ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ :

⊳ قيل : لأخذنا بيمينه؛ كما يُفعل بمن يُهان عند القتل، فيُقال: خُذْ بيده، فيُجَرُّ بيده، ثم يقتل، فهذا هلاكٌ بعزةٍ وقدرةٍ من الفاعل، وإهانةٍ وتعجيل هلاك للمتقول.

⊳⊳ وقيل: لأخذنا منه باليمين؛ أي: بالقوة والقدرة؛ فإن الميامن أقوى ممن يأخذ بشماله؛ كما قال: ﴿فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٤٢]، وكما قال: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

لكنه قال : ﴿أَخَذْنَا مِنْهُ﴾، ولم يقل: لأخذناه؛ فهذا يُقوِّي القول



وإذا قال: غيري أنزل عليّ؛ فأما أن يُعيِّنه، فيقول: إن الله أنزله عليَّ؛ وأما أن يقول: أوحى، ولا يُعيِّن من أوحاه.

فذكر الأصناف الثلاثة، فقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]: فهذان نوعان من جنس، ثم قال: ﴿وَمَنْ﴾، ولم يقل: أو قال؛ إذ كان هذا معارضًا؛ لا يَدّعي أنهُ رسول، فقال: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾.

القرآن معجزة خالدة لا تُعارَض

وهؤلاء المعارضون قد تحدَّاهم في غير موضع، وقال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

والرسول أخبر بهذا خبرًا تامًا في أول الأمر، وهذا لا يمكن إلا مع قطعه أنه على الحق، وإلى الآن لم يوجد أحدٌ أنزلَ مثل ما أنزل الله.

وقوله: ﴿وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ﴾، ولم يقل: أقدر أن أنزل؛ فإن قوله: ﴿سَأُنزِلُ﴾: هو وعدٌ بالفعل، وبه يحصل المقصود؛ بخلاف قوله: أقدر؛ فإنه لا يحصل به غرض المعارض، وإنما يحصل إذا فعل، فمن وعد بإنزال مثل ما أنزل، كان من أظلم الناس وأكذبهم؛ إذ كان قد تبيَّن عجز جميع الثقلين؛ الإنس، والجن، عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن.

كل ما أنزله الله على الأنبياء فهو معجز

وقوله: ﴿مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾: يقتضي أن كلَّ ما أنزله الله على أوليائه، فهو معجزٌ، لا يقدر عليه إلا الله؛ كالتوراة، والإنجيل، والزبور.

وهذا حقٌّ، فإن في ذلك من أنباء الغيب، ما لا يعلمه إلا الله، وفيه أيضًا من تأييد الرسل بذلك، ما لا يقدر على أن يرسل بتلك الرسالة إلا الله، فلا يقدر أحدٌ أن يُنزل مثل ما أنزل الله على نبيه؛ فيكون به مثل الرسول، ولا أن يرسل به غيره.

○ فصل ○

الاستدلال بالحكمة

والاستدلال بالحكمة: أن يعرف أولاً حكمته، ثم يعرف أن من حكمته أنه لا يُسوِّي بين الصادقِ بما يظهر به صدقه، وبأن ينصره، ويعزه، ويجعل له العاقبة، ويجعل له لسان صدقٍ في العالمين. والكاذب عليه يُبين كذبه، ويخذله، ويُذلّه، ويجعل عاقبته عاقبة سوء، ويجعل له لسان الذم واللعنة في العالمين، كما قد وقع.

فهذا هو الواقع، لكن المقصود أن نبين أن ما وقع منه، فهو واجب الوقوع في حكمته، لا يجوز أن يقع منه ضد ذلك. فهذا استدلال ببيان أنه يجب أن يقع منه ما يقع، ويمتنع أن يقع منه ضده، وذلك ببيان أنه حكيم، وأن حكمته توجبُ أن يبين صدقَ الأنبياء وينصرَهم، ويُبيِّن كذبَ الكاذبين ويذلَّهم. وكذلك يفعل بأتباع النبيين، وبأعدائهم؛ كما أخبر بذلك في كتابه، وبين أن هذا حقٌّ عليه، يجب أن يفعله، ويمتنع أن يفعل ضده؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلاً إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وكما قال: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١].

○ وقوله: ﴿لَأَغْلِبَنَّ﴾: قسمٌ أقسم الله عليه، فهو جواب قسم، تقديره: والله لأغلبن أنا ورسلي.

وهذا يتضمن إخباره بوقوع ذلك، وأنه كتب على نفسه ذلك، وأمر به نفسه، وأوجبه على نفسه؛ فإن صيغة القسم يتضمنُ التزامَ ما حلف عليه؛ إما حضًّا عليه، وأمرًا به؛ وإما منعًا منه، ونهيًا عنه.



. . . .

=○○ وقد توبع يحيى بن سعيد وأبو الزناد من الزهري ؛ كما عند النسائي («الكبرى» ٤/ ٣١٢، ٣١٣) والطبراني في («الكبير» ٦/ ٧٧) واختلف عن الزهري مرة هكذا ؛ ومرة عنه عن أبي أمامة عن أبيه عند الطبراني في («الكبير» ٦/ ٨٤) ومرة عنه عن أبي أمامة عن بعض أصحاب رسول الله ﷺ من الأنصار؛ كما عند أبي داود في («السنن» ٤٤٧٢) واختلف على يحيى بن سعيد مرة كما سبق؛ ومرة عن أبي أمامة عن أبي سعيد الخدري ؛ عند الدارقطني في («السنن» ٣/ ١٠٠) .

●●● وثمّ أوجه أخرى غير ما ذكرت لكن خشية الإطالة ؛ فأحيل على الدارقطني في («السنن» ٣/ ٩٩) والنسائي في («الكبرى» ٤/ ٣١١) والطبراني في («الكبرى» ٦/ ٧٦) .

● وقد رجح بعضُ المعاصرين من هذه الأوجه المرسل عن أبي أمامة ؛ وقال هذا القائل: «وإرساله لا يضر؛ فهو معدود في صغار الصحابة ، ولد في عهد النبي ﷺ ، وهو الذي سمّاه وحنكه» . ومن ثمَّ صحح الحديث في الجملة . وقد حسَّن إسناده الحافظ في «البلوغ» (كما في «التعليق المغني على الدارقطني» ٣/ ١٠٠) قال : «إن إسناد هذا الحديث حسن ؛ لكن اختلف في وصله وإرساله» .

● **قال البغوي في («شرح السنة» ١٠/ ٣٠٣، ٣٠٤)** :

«والعمل على هذا عند بعض أهل العلم ذهبوا إلى أن المريض الذي به مرض لا يُرجى زواله إذا وجب عليه حدُّ الجلد بأن زنى ، وهو بكْرٌ؛ يضرب بإثكال عليه مائة شمراخ ضربة واحدة بحيث تمسه الشماريخ كلها ؛ فيسقط الحدُّ عنه ، وإلى هذا ذهب الشافعي قال الله سبحانه وتعالى لأيوب عليه السلام: ﴿**وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِ وَلَا تَحْنَثْ**﴾ [ص : ٤٤] وإن كان به مرضٌ يرجى زواله يؤخر حتى يبرأ ، وكذلك لا تقام في الحر الشديد ، والبرد المفرط ، بل يؤخر إلى اعتدال الهواء، فإن كان حده رجمًا أو قتلاً يقام عليه في هذه الأحوال كلها .

● وذهب قومٌ إلى أنه لا يضرب بالشماريخ ؛ وهو قول مالك وأصحاب الرأي ، ورُوي عن أبي عبد الرحمن السلمي ؛ قال : خطب علي رضي الله عنه فقال : «يا أيها الناس أقيموا الحدود على أرقائكم من أحصن منهم ومن لم يحصن، فإن أمة لرسول الله ﷺ زنت ، فأمرني أن أجلدها ، فأتيتها فإذا هي حديث عهد بنفاس ، فخشيتُ إن أنا جلدتُها أن أقتلها ؛ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال : «أحسنت» ويُروي : «اتركها =

ولو كان في شرعهم كفارة، لأغنت عن الضرب مطلقًا.

لكن الإنسان قد يلتزم ما لا يعلم عاقبته ، ثم يندم عليه ، والرب تعالى عالمٌ بعواقب الأمور ، فلا يحلف على أمرٍ ليَفعَلَنَّه، إلا وهو يعلمُ عاقبته ، واليمين موجِبة .

ولهذا قال تعالى : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ﴾ ـ و﴿كَتَبَ﴾: مثل كتب في قوله: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]؛ فهي كتابة تتضمن خبرًا وإيجابًا، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود:٦]، وفي الحديث الصحيح الإلهي[١]: «يَا عِبادي إني حَرَّمتُ الظُلْمَ على نفْسِي وجعَلْتهُ بينَكُمْ محرّمًا فَلا تَظَالَمُوا» .

وقد بسط هذا الأصل في مواضع؛ مثل الكلام في مسألة القادر المختار، ومسألة العدل والظلم، وغير ذلك.

فإن كثيرًا من المتكلمين يقول : إن القادر المختار لا يفعل إلا بوصف الجواز، فيفعل الفعل في حال تردده بين أن يفعل، وأن لا يفعل.

ومنهم من يقول: يفعله مع رجحان أن يفعل ، رجحانًا لا ينتهي إلى حد الوجوب، وهو قول محمد بن الهيضم الكرامي[٢]، ومحمود الخوارزمي

= حتى تماثل» . انتهى : والحديث أخرجه مسلم في («الصحيح» ١٧٠٥ (٣/ ١٣٣٠) ومعنى تماثل : تقارب البرء.

(١) أخرجه مسلم في («الصحيح» رقم : ٢٥٧٧) من حديث أبي ذر عن النبي ﷺ فيما روي عن الله تبارك وتعالى.

(٢) وهو من فرقة الكرامية ؛ وهم من المشبهة ؛ وهم طوائف شتى ؛ **قال الشهرستاني في («الملل»** ١/ ٧٩) : «وأصولها ستة . . وأقربهم الهيضمية» ؛ وقد سميت الكرامية بالصفاتية لأنهم كانوا ممن يثبتون الصفات ؛ إلا أنهم انتهوا فيها إلي التجسيم والتشبيه ؛ ونسبهم بعضُ أهل العلم إلى أهل السنة؛ وانظر في الكلام عن هذه الفرقة رسالة ابن الجوزي في («الفرق الضالة» ص ٢٠٥، ٢٠٦ بتحقيقي) .



○ **ومن جهة أنه يعلم ما في ذلك الفعل من الحكمة:** فيدعوه علمه إلى فعله، أو ما فيه من الفساد، فيدعوه إلى تركه، وهذا يعرفه من يقر بأن العلم داع ، ومن يقر بالحكمة.

○ **ومن جهة إرادته:** فإنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.

○ **ومن جهة حكمته:** وهي الغاية المرادة لنفسها، التي يفعل لأجلها، فإذا كان مريدًا للغاية المطلوبة، لزم أن يُريد ما يوجبُ حصولها.

○ **ومن جهة كلامه:** من وجهين؛ من جهة أنه أخبر به ، وخبره مطابق لعلمه؛ ومن جهة أنه أوجبه على نفسه، وأقسم ليفعلنه. وهذا من جهة إيجابه على نفسه، والتزامه أن يفعله.

○ **ومن جهة كتابته إياه في اللوح:** وهو يكتب ما علم أن سيكون. وقد يكون إيجابه والتزامه؛ كما قال : ﴿**كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي**﴾ [المجادلة: ٢١]، وقال : ﴿**كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ**﴾ [الأنعام: ٥٤].

فهذه عشرة أوجه (١) تقتضي الجزم بوقوع ما سيكون ، وأن ذلك واجبٌ حتمٌ لا بد منه ، فما في نفس الأمر جوازٌ يستوي فيه الطرفان :الوجود ، والعدم، وإنما هذا في ذهن الإنسان، لعدم علمه بما هو الواقع ، ثم من علم بعض تلك الأسباب، علم الواقع؛ فتارة يعلم لأنه أخبر بعلمه؛ وهو ما أخبرت به الأنبياء بوقوعه؛ كالقيامة، والجزاء؛ وتارة يعلم من جهة المشيئة؛

= بريء منهم وأنهم بُرءاء مني ، والذي يحلفُ به عبد الله بن عمر ؛ لو أن لأحدهم مثلَ أحد ذهبًا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر. . . الحديث» .

(١) ● **قال الشيخ الفقي** : «قوله : فهذه عشرة أوجه» أجملها أولاً ، فذكر أن في العلم وجهين وفي الإرادة وجهين ، وفي الكلام وجهين ، وفي الكتابة وجهين ، ووجهًا في الرحمة ، وآخر في العدل، ثم أخذ يبين الأربعة الأولى ، ويشرح الوجهين في كل منهما ، وترك الأخيرين لظهورهما، فالجملة عشرة» انتهى.

لأنه جرت به سنته الشاملة التي لا تتبدل؛ وتارة يعلم من جهة حكمته، كما قد بسط في غير هذا الموضع.

الحكمة والعدل والرحمة تعلم بالعقل

والحكمة، والعدل، والرحمة، والعادة، تُعلم بالعقل، كما قد عرف من حكمة الرب، وعدله، وسنته.

ويُستدل بذلك على العلم، والخبر، والكتاب؛ كما أن العلم، والخبر، والكتاب يُعلم بأخبار الأنبياء، ويُستدل بذلك على العدل، والحكمة، والرحمة.

الجهمية ينكرون الحكمة والعدل والرحمة

والجهمية المجبرة [(١)] لا تجزم بثبوت، ولا انتفاء، إلا من جهة الخبر، أو العادة، إذ كانوا لا يثبتون الحكمة، والعدل، والرحمة في الحقيقة، كما قد بسط في غير موضع.

وحُكِي عن الجهم أنه كان يخرج، فينظر الجَذْمي [(٢)]، ثم يقول: أرحم الراحمين يفعل هذا؟ يقول: إنه يفعل لمحض المشيئة، ولو كان يفعل بالرحمة لما فعل هذا.

وهذا من جهله لم يعرف ما في الابتلاء من الحكمة، والرحمة، والمصلحة.

والمجبرة المثبتة للقدر متبعون لجهم، والقدرية النفاة مناقضون لهم، كما قد بُسط الكلام على ذلك في غير موضع.

---

(١) وهم الجبرية فرقة من فرق الضلال؛ **أفردها ابن الجوزي في رسالته عن «الفرق الضالة»** (ص ٢٠٣) قال: «وهما نوعان: خالصة ومتوسطة؛ أما الخالصة؛ فلا تثبت للعبد كسبًا في الفعل، وهؤلاء قالوا: قدرة للعبد أصلا، ولا مؤثرة ولا كاسبة، بل هو بمنزلة الجمادات.. والجنة والنار تفنيان.. ووافقوا المعتزلة في نفس الرؤية وخلق الكلام وإيجاب المعرفة بالعقل قبل ورود الشرع».

(٢) جمع أجذم مثل زمني وقتلي وجرحي؛ الفقي.





بالله، لا يجوز أن يظن به أن يفعل ذلك.

الأشاعرة ينفون الحكمة ويجوزون على الله فعل كل شيء

ومن ينفي الحكمة يقول: يجوز عليه فعل كل شيء، وليس عنده ظن سوء بالله.

وإن قيل: لما أخبر أنه ينصره، كان ضد ذلك ظن سوء؛ لأن خبره لا يقع بخلاف مخبره؟ قيل: عن هذا جوابان:

جوابان لمن يظن بالله ظن السوء

⊲ **أحدهما:** أن هؤلاء يلزمهم تجويز إخلاف الوعد عليه؛ لأن هذا من باب الأفعال المقدورة، وهم يجوزون كل مقدور، وإذا قيل: إخلاف الوعد قبيح، فهم ليس عندهم شيء قبيحٌ، يُنزهون الرب عنه.

⊲⊲ **الثاني:** أنه إذا علم أنه يفعله ولو بالعلم الضروري، فإنما ذلك لأنه واقع، ولو قُدِّر أن رجلاً ظن أن الله لا يفعل ما سيفعله مما ليس فيه ذم؛ مثل أن يظن أنه يموت بعد شهر، لم يقل أن هذا ظن سوء، وإنما يكون ظن سوء، إذا كان المظنون عيبًا قبيحًا، لا يجوز أن يضاف إلى المظنون به، ومنه قوله تعالى: ﴿ **إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا** ﴾ [الأحزاب: ١٠]؛ فهذا ذمٌّ لمن ظن بالله الظنونا.

ومن ذلك: قوله تعالى: ﴿ **أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ** ﴾ [القلم: ٣٥، ٣٦]، وهذا يقتضي أن هذا ممتنع عليه، ومن حكم بجوازه، فقد حكم حكمًا باطلاً جائرًا ممتنعًا، كالذين جوزوا أن تكون له بنات، وهم يكرهون أن تكون لهم بنات، فيجوز على الله ما هو قبيحٌ عندهم؛ قال تعالى: ﴿ **وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ . وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ . يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ** ﴾ [النحل: ٥٧ ـ ٥٩].

ومما يُبيِّن حكمته: أن تقول: أفعاله المحكمة المتقنة دلَّت على علمه.

وهذا مما وقع الاتفاق عليه من هؤلاء؛ فإنهم يُسلِّمون أن الإحكام والإتقان يدلُّ على عِلم الفاعل.

وهذا أمرٌ ضروريٌّ عندهم، وعند غيرهم، وهو من أعظم الأدلة العقلية التي يجبُ ثبوت مدلولها.

معنى الإحكام والإتقان

والإحكام والإتقان إنما هو: أن يضع كلَّ شيء في محله المناسب: لتحصل به الحكمة المقصودة منه؛ مثل الذي يُخيط قميصًا، فيجعل الطوْق على قدْر العنق، والكُمَّين على قدر اليدين؛ وكذلك الذي يبني الدار، يجعل الحيطان متماثلة ليعتدل السقف؛ والذي يصنع الإبريق يُوسِّع ما يدخل منه الماء، ويُضيِّق ما يخرج منه.

الفلاسفة يثبتون الغائية وقصَّروا في أمر الإرادة والعلم

وحكمة الرب في جميع المخلوقات باهرة، قد بهرت العقلاء، واعترف بها جميعُ الطوائف.

والفلاسفة من أعظم الناس إثباتًا لها، وهم يُثبتون العناية، والحكمة الغائية؛ وإن كان فيهم من قَصَّر في أمر الإرادة والعلم.

المتكلمون يثبتون الحكمة في مخلوقات الله

وكذلك المتكلمون: كلُّهم متفقون على إثبات الحكمة في مخلوقاته، وإن كانوا في الإرادة، وفعله لغاية، متنازعين؛ وذلك مثلما في خلق الإنسان. وأدنى ذلك أن العين، والفم، والأذن فيها مياه ورطوبة؛ فماء العين مالح، وماء الفم عذب، وماء الأذن مُر. فإن العين شحمة، والملوحة تحفظها أن تذوب، وهذه أيضًا حكمة تمليح ماء البحر؛ فإن له سببًا وحكمة؛ فسببه سبوخة أرضه وملوحتها؛ فهي توجب ملوحة مائه؛ وحكمتها أنها تمنع نتن

حكمة تمليح ماء البحر

الماء بما يموت فيه من الحيتان العظيمة؛ فإنه لولا ملوحة مائه لأنتن، ولو أنتن لفسد الهواء لملاقاته له، فهلك الناس بفساده، وإذا وقع أحيانًا، قتل خلق



فقـد تبين ثبوت حكمتـه من جهة علمه ، ومن جـهة نفس أفعـاله المتقنة المحكمة، التي تـدل على علمه بالاتفاق. وهذه أصـول عظيمـةٌ مَنْ تصورها تصورًا جيدًا، انكشف له حقائق هذا الموضع الشريف.

حكمة الله من لوازم ذاتـه...

وإذا ثبت أنه حكيم، وأن حكمته لازمـة لعلمه، ولازمة لإرادته، وهما لازمان لذاته ، كـانت حكمته من لوازم ذاته؛ فـيمتنع أن يفـعل إلا لحكمة وبحكمة، ويمتنع أن يفعل على خلاف الحكمة.

ومعلومٌ بـصريح العقل أن العلـمَ خيرٌ من الجـهل ، والصدق خـيرٌ من الكذب ، والعـدل خيرٌ من الظلم ، والإصـلاحَ خيـرٌ من الإفسـاد؛ ولهذا وجب اتصافـه تعالى بالرحـمة، والعلم، والصدق، والعـدل، والإصلاح، دون نقيض ذلك.

وهذا ثابتٌ في خلقـه وأمره؛ فكما أنـه في خلقه عادلٌ حكـيمٌ رحيمٌ، فكذلك هو في أمـره ومـا شـرعـه مـن الدين، فـإنه لا يكون إلا عـدلاً، وحكمةً، ورحمـةً، ليس هو كما تقول الجـهمية المجبـرة ، ومن اتبعهم من أهل الكلام والرأي: إنه يأمر العباد بما لا مـصلحة لهم فيه إذا فعلوه ، وإن مـا أمر به لا يجب أن يفـعل على حكمـة ، وينكرون تعليل الأحكام ، أو يقولون: إن علل الشرع أماراتٌ محضـة؛ فهذا كلُّه باطل؛ كما قد بُسط في مواضع .

البـراهين اليـقينيـة على أن الله لا يفـعل خـلاف الحكمـة والعدل ولا يسوي بين الصـادق والكـاذب

بل ما يأمر به مصلحة لا مفسـدة ، وحَسَنٌ لا قبيح ، وخيرٌ لا فساد ، وحكمة، وعدل، ورحمة، والحمد لله رب الـعالمين ؛ فإذا قُدر رجلان ادَّعيا على الربِّ الرِّسـالة، أو تولَّـيا عـلى الناس ، أو كـانا من عـرض الناس؛ أحدهما: عالمٌ صادقٌ عادلٌ مصلحٌ، والآخر: جاهلٌ ظالمٌ كاذبٌ مفسدٌ، ثم قُـدِّر أن ذلك العالم العـادل عوقب فـي الدنيا والآخـرة، فأُذل في الدنيـا، وقُـهـر، وأُهلك، وجـعل في الآخـرة في جـهنم، وذلـك الظالم الكاذب

الجاهل، أُكرم في الدنيا والآخرة ، وجُعل في الدرجات العلى، كان معلومًا بالاضطرار أن هذا نقيض الحكمة والعدل، وهو أعظم سفهًا وظلمًا من تعذيب [1] ماء البحر وماء العين؛ فإن هذا غايته موتُ شخصٍ أو النوع ، وهذا أقلُّ فسادًا من إهلاك خيار الخلق وتعذيبهم، وإكرام شرار الخلق وإهانتهم.

وإذا كان هذا أعظم مناقضة للحكمة والعدل من غيره، وتبيَّن بالبراهين اليقينية أن الربَّ لا يجوزُ عليه خلاف الحكمة والعدل، عُلم بالاضطرار أن الربَّ سبحانه لا يُسوِّي بين هؤلاء وهؤلاء، فضلاً عن أن يفضل الأشرار على الأخيار، وهو سبحانه أنكر التسوية؛ فقال : ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥ ـ ٣٦] .

الأشاعرة يجوزون على الله عقلاً أن يسوي بين الصادق والكاذب وأن يعذب المؤمنين ولكن بالسمع لا بالعقل

وقد جعل من جوَّز أن الله لا ينصر رسوله والمؤمنين في الدنيا والآخرة، ويعذبهم في الآخرة في جهنم ، وإن الفراعنة يكرمهم في الدنيا والآخرة، والمنازع عنده لا فرق بين هذا وهذا بالنسبة إلى الرب، وإلى إرادته، وحكمته، وعلمه ، بل إنما عُلم وقوع أحدهما بمجرد الخبر، لا لامتناع أحدهما ووجوب الآخر.

والخبر إنما هو خبر الأنبياء ، وذلك موقوفٌ على العلم بصدقهم ، وهو يستلزمُ صدقهم ، وعلى أصله يمتنع العلم بصدقهم؛ فإنه يجوز أن يسوِّي الله بين الصادق والكاذب على أصله؛ إذ كان يجوز عليه عنده كل مقدور.

وعنده لا يجوز أن يفعل مثلاً لحكمة ، فلا يجوز على أصله أن يخلق

---

(١) أي جعله عذبًا .

طريقٌ إلى العلم بأنه صادقٌ فيما يخلقه من الكلام.

ولهذا تجد حذَّاقَهم في السمعيات إنما يَفرُّون إلى ما عُلم بالاضطرار من قصد الرسول، لا إلى الاستدلال بالقرآن؛ فالقاضي أبو بكر عمدته أن يقول: هذا مما وَقَفْنَا عليه الرسول، وعلمنا قصده بالاضطرار؛ كما يقول مثل ذلك في تخليد أهل النار، وفيما علمه من الأحكام؛ إذ كانوا لا يعتمدون على القول المسموع؛ لاخبرًا، ولا أمرًا، فهو لا طريق عندهم إلى التمييز بين ما يقع وما لا يقع؛ مثل التمييز بين كونهِ يثيبُ المحسِنَ، ويُعاقِبُ المسيء، أولا يفعله.

○ ففي الجملة: جميعُ أفعاله؛ من إرسال الأنبياء، ومجازاة العباد، وقيام القيامة، لا طريق لهم إلى العلم بذلك إلا من جهة الخبر، وطريق الخبر على أصلهم مسدودٌ؛ وهم يعلمونَ صدقَ الرسول؛ وصدقُ خبرهِ معلومٌ في أنفسهم، لكن يناقضُ أصولَهم.

لكن مع هذا هم واقفة فيما أخبرت به الرسلُ من الوعيدِ، فضعف علمهم بما أخبرت به الرسل، فصاروا في نقصٍ عظيم؛ في علمهم وإيمانهم بما أخبرت به الرسل، وما أمرت به، وفي أصل ثبوت الرسالة. هذه السمعيات؛ وأما العقلياتُ: فمدارُها على حدوث الجسم، وقد عُرف فساد أصلهم فيها؛ فهذه أصولهم العقلية والسمعية.

أصول الأشاعرة العقلية

وهم لا يعلمون أيضًا ما يفعله الربُّ من غير الخبر، إلا من جهة العادة.

والعادة يجوز عندهم نقضها بلا سببٍ ولا لحكمة.

○ ويُجوزون أن تصبح الجبالُ يواقيت، والبحارُ زيبقًا؛ فإذا احتجوا بالعادات، فقيل لهم: عندكم يجوز نقضها بلا سببٍ ولا حكمة.

أجابوا: بأن الشيء قد يُعلم جوازه، ويعلم بالضرورة أنه لا يقع، وهذا

أيضًا جمعٌ بين النقيضين.

العقل عند الأشاعرة

وهم يقولون: العقل هو العلم بجواز الجائزات، وامتناع الممتنعات، ووجوب الواجبات؛ كالعلم بأن الجبل لم ينقلب ياقوتًا. ثم يجعلون هذا من الجائز، على أصلهم: ليس في الأفعال، لا واجب، ولا ممتنع، بل كلٌّ مقدورٍ، فإنه جائز الوجود، وجائزُ العدم، لا يُعلم أحدُ الطرفين، إلا بخبرٍ، أو عادة، لا بسببٍ يقتضيه، ولا حكمةٍ تستلزمه، كما أن المرجح له عندهم مجردُ الإرادة، لا بسببٍ ولا حكمة، وإذا عُلم جوازُ الشيء وعدمُه، ولم يعلم ما يوجب أحدهما، امتنع أن يعلم بالضرورة ثبوت أحدهما.

والناس إنما يعلمون أن الجبال لم تنقلب يواقيت، لعلمهم بأن هذا ممتنع، وأن الله إذا أراد قلبها يواقيت، أحدث أسبابًا تقتضي ذلك.

فأما انقلاب العادة بلا سبب: فهذا ممتنعٌ عند العقلاء، وجميع ما خرق الله به العادة كان لأسبابٍ تقتضيه، ولِحكمٍ فعل لأجلها، لم تكن ترجيحًا بلا مُرجِّح، كما يقوله هؤلاء، فهذا هذا، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

الرد على الأشاعرة في النبوات

ولو لم يتعلق هذا بالإيمان بالرسول، وبما أخبر به الرسول، واحتجنا إلى أن نميز بين الصحيح والفاسد في الأدلة والأصول، لما ورد على ما قاله هؤلاء من هذه السؤالات، لم تكن بنا حاجة إلى كشف الأسرار، لكن لما تكلّموا في إثبات النبوة، صاروا يوردون عليها أسئلة في غاية القوة والظهور، ولا يُجيبون عنها إلا بأجوبة ضعيفة، كما ذكرنا كلامهم، فصار طالب العلم والإيمان والهدى من عندهم، ـ لا سيما إذا اعتقد أنهم أنصار الإسلام، ونظاره، والقائمون ببراهينه وأدلته ـ إذا عرف حقيقة ما عندهم، لم يجد ما ذكروه يدلُّ على ثبوت نبوة الأنبياء، بل وجده يقدح في الأنبياء، ويورث الشكَّ فيها، أو الطعن، وأنها حجة تقدح في الأنبياء، وتورث الشك فيها، أو الطعن فيها، وأنها حجة لمكذِّب الأنبياء أعظم مما هي

الأشاعرة يوردون الشبهات ولا يستطيعون الرد عليها



آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾

[آل عمران: ١٠١]

اعتراف الرازي في آخر مصنفاته

ولهذا اعترف الرازيُّ بهذا في آخر مصنفاته؛ حيث قال[١] : «ولقد تأملتُ الطرقَ الكلامية، والمناهج الفلسفية؛ فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيتُ أقربَ الطرق طريقة القرآن؛ أقرأُ في الإثبات: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠] ـ ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥] . وأقرأ في النفي: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١] ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه: ١١٠]. ومَنْ جرّب مثلَ تجربتي عرَف مثلَ معرفتي».

وأكثر الانتفاع بكلام هؤلاء، هو فيما يثبتونه من فساد أقوال سائر الطوائف وتناقضها.

أقوال المخالفين يستفاد منها في بيان فساد قول كل طائفة

وكذلك كلام عامة طوائف المتكلمين؛ ينتفع بكلام كلٍّ طائفة في بيان فساد قول الطائفة الأخرى، لا في معرفة ما جاء به الرسول؛ فليس في طوائف أهل الأهواء والبدع من يعرف حقيقة ما جاء به الرسول، ولكن يعرف كل طائفة منه ما يعرفه، فليسوا كفارًا جاحدين به، وليسوا عارفين به.

فلَقَد عَرَفْتُ ومَا عَرفْت حَقِيقةً ولَقَدْ جَهِلتُ وما جهلت حمولاً

وبسط هذه الأمور له موضعٌ آخر، ولكن نبهنا هنا على طريق الحكمة.

---

(١) كما تقدم (ص: ٢٨٣).

○ فصلٌ ○

وإذا عرفت حكمةَ الرب وعدلَهُ، تبيَنَّ أنه إنما أرسل من اصطفاه لرسالته، واختاره لها؛ كما قال: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وكما قال لموسى: ﴿وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ﴾ [طه: ١٣]. وأنه إذا بلَّغ الرسالة، وقام بالواجب، وصبر على تكذيب المكذبين وأذاهم، كما مضَتْ به سنته في الرسل؛ قال: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣].

وقال تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ﴾ [فصلت: ٤٣]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ . قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ .قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَانٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ . وَمَا لَنَا أَلاَّ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ . وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ . وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ . وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ .مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ . يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾ [إبراهيم: ٩ ـ ١٧]، إلى سائر ما أخبر به من أحوال الرسل، والرسلُ صادقون، مصدقون على الله يخبرون

بالحق(١)، ويأمرون بالعدل (٢)، ويدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له(٣).

وأهلُ الكذب المدعون للنبوة ضد هؤلاء، كاذبون تأتيهم الشياطين. الكاذبون يأمرون بما نهى الله عنه، وينهون عما أمر الله به (٤)، فإنهم لا بد

---

(١) وقد قال أهل الإيمان ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ [الأعراف: ٤٣]. فجميع ما جاءت به الرسل حق ويقين لا مرية فيه ولا إشكال ، واعلم أنه لا يخرج منهم إلا الحق، ومن ثم وجب الإذعان والانقياد لهم ، فلا يقدَّم قول على قولهم ، أو حكم على حكمهم وقضائهم، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].
وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١].

(٢) كما قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [الحديد: ٢٥].

(٣) وهذا هو أصل بعثتهم ، دعوة الناس إلى التوحيد الخالص ؛ وأنه لا إله إلا الله ، ونهى الناس عن عبادة ما سواه من حجر وشجر ، وشمس وقمر، ونحو ذلك ، والنصوص في كتاب الله ، وحديث رسول الله ﷺ حافلة بذلك الأمر .
قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] ؛ وقال تعالى : ﴿ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ ﴾ [فصلت: ١٤] .

(٤) وصدق الله عز وجل ، وهو القائل : ﴿ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ ﴾ [المجادلة : ١٩] والقائل : ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ ﴾ [النمل: ٢٤] والقائل : ﴿ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٧] والقائل: ﴿ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا . يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا . أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا ﴾ [النساء: ١١٩ ـ ١٢١] .

أن يأمروا بتصديقهم، واعتقاد نبوتهم، وطاعتهم ، وذلك مما نهى الله عنه، ولا بد أن ينهوا عن متابعة من يكذبهم ويعاديهم، وذلك مما أمر الله به؛ فإنه يمتنع في حكمة الربِّ وعدله أن يُسوِّي بين هؤلاء خيار الخلق ، وبين هؤلاء شرار الخلق(١)؛ لا في سلطان العلم، وبراهينه؛ وأدلته، ولا في سلطان النصر والتأييد ، بل يجب في حكمته(٢) أن يظهر الآيات والبراهين الدالَّة على صدق هؤلاء، وينصرهم، ويؤيدهم، ويُعزهم ، ويُبقي لهم لسان الصدق، ويفعل ذلك بمن اتبعهم، وأن يظهرَ الآيات المبينة لكذب أولئك، ويذلَّهم، ويخزيهم ، ويفعل ذلك بمن اتبعهم؛ كما قد وقع في هؤلاء

(١) وقد قال تعالى : ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لاَّ يَسْتَوُونَ﴾ [السجدة: ١٨].
وقال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] .

(٢) قد مضى مثل هذه العبارات اللطيفة لشيخ الإسلام ـ رحمه الله تعالى ـ التي مفادها : أن الله سبحانه وتعالى أوجب على نفسه أمورًا يقتضيها عدله وحكمته ، كما جاء في «الصحيحين» وغيرهما من حديث معاذ بن جبل ، أن النبي ﷺ قال له : «**أتدري ماحق الله على عباده وحق العباد على الله**»، وذكره ، ومن جملة هذه الأمور ، ما أورده شيخ الإسلام ـ رحمه الله ـ من أن إظهار الآيات والبراهين الدالة على صدق هؤلاء الرسل والأنبياء أمر يقتضيه العدل، ولهذا أكد الله تبارك وتعالى هذا الأمر في كتابه ، حيث يقول تعالى : ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١] .

وقال تعالى : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] .

كما أنه في الوقت نفسه أظهر كذب ما ادعاه هؤلاء ، فأذلهم وأخزاهم ، وما شأن عصي وحبال قوم فرعون بخفي ، كما قال تعالى : ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ . وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ . فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٦ ـ ١١٩] .

وهؤلاء .

وقد دلَّ القرآنُ على الاستدلال بهذا في غير موضع .

الأدلة والبراهين نوعان

□ **والأدلةُ والبراهين ـ كما تقدَّم ـ نوعان :**

⊳ **نوعٌ** يدلُّ بمجرده، بحيث يمتنع وجوده غير دال كدلالة حدوث الحادث على محدث، فـهذا يدلُّ بمجرده ، وإن قدر أن أحدًا لـم يقصد الدلالة به، لكن الرب بكلِّ شيء عليم ، وهو مريدُ لخلق ما خلـقه ولصفاته ، لكن لا يشترط في الاستدلال بهذا أن يعلم أن دالاً قصد أن يدل به .

⊳⊳ **النوعُ الثاني** : ما هو دليلٌ بقصدِ الدَّال وجـعله ، فهذا لولا القصد وجعله دليـلاً، لم يكن دليلاً، فـهو إنما قـصد به الدلالة ، فهـذا مقـصوده مجرد الدلالة، وذلك بمجرده هو الدليل.

وهذا كـالكلام الذي يدلُّ بقـصـد المتكلِّم وغـيـر ذلك؛ مـثل الإشـارة بالرأس، والعين، والحاجب، واليـد ، ومثل الكتابة ، ومثل العـقد ؛ ومثل الأعلام التي نصبـت على الطرق وجعلت علامةٍ على حـدود الأرض وغير ذلك.

ومن ذلك العلامات التي يبعثـها الشخصُ مع رسوله ووكيله إلى أهله؛ سواء كان قد تواطأ معهم عليهـا ؛ مثل أن يقول: علامته أن يضع يده على ترقوته ، أو يضع خنصره في خنصره ، ونحو ذلك، أو كـانت علامةً قصد بها الإعـلامَ من غير تقـدم مواطأة ؛ مثل إعطائه عـمامتـه ، ونعليه؛ **كما أعطى النبيُّ ﷺ عمـامته عـلامة على ولاية قيس بن سـعد ، وعَزْلُ أبيه سـعد عن الإمارة يوم الفتح** [١] .

وكـما أعطى أبا هريرة نعلـيه عـلامة على مـا أرسله به [٢]، وكما يُعطي

(١) سبق (ص: ٥٢٥).

(٢) سبق (ص: ٥٢٦).

الرجل لرسوله خاتمه، ونحو ذلك.

فهذه الدلائل دلَّت بالقصد والجعل، وقد كان يمكن أن لا تجعل دليلاً.

فإذا كانت آيات الأنبياء من هذا الجنس، فهي إنما تدل مع قصد الرب إلى جعلها دليلاً.

وجعله لها دليلاً: بأن يجعل المدلول لازمًا لها؛ فكلٌّ من ظهرت على يده، كان نبيًّا صادقًا؛ فإنَّ الدليل لا يكون دليلاً إلا مع كونه مستلزمًا للمدلول، فيمتنع أن يكون دليلاً إذا وجد معه عدم المدلول، أو وجد ضد المدلول.

فآياتُ الأنبياء الدالة على صدقهم يمتنع وجودها بدون صدق النبيِّ، ووجودُها مع مدّعي النبوة كاذبًا أعظم استحالة؛ فإنها إذا كانت ممتنعة مع عدم نبوةٍ صادقة، - وإن لم تكن هناك نبوة كاذبة - فمع الكاذبة أشد امتناعًا؛ فهي مستلزمة للنبوة لا تكون مع عدم النبوة البتة. والكاذب قد عُدمت في حقِّه النبوة، ووجد في حقه ضدّها؛ وهو الكذب في دعواها، يمتنع كونه نبيًّا صادقًا، فيمتنع أن يخلق الربّ ما يدلُّ على صدق الأنبياء، بدون صدقهم؛ لامتناع وجود الملزوم دون لازمه، ومع كذبهم؛ لامتناع وجود الشيء مع ضده.

وجودها بدون صدق النبي

والكذبُ ضدُّ الصدقِ، فيمتنع أن يكون قولهُ: أنا نبيٌّ صدْقًا وكذبًا؛ فإذا استلزمت الصدق، امتنع وجود الكذب.

يمتنع دليل الصدق مع عدم الصدق

وخلْق دليل الصدق مع عدم الصدق، ممتنع غير مقدور، لكن الممكن المقدور: أن ما جعله دليلاً على الصدق يخلقه بدون الصدق، فيكون قد خلقه، وليس بدليلٍ حينئذ. ويمكن أن يخلق على يد الكاذب ما يدل أنه دليلٌ على صدقه، وليس بدليلٍ؛ مثل خوارق السحرة، والكهان؛ كما كان

يجري لمسيلمة والعنسي وغيرهما.

لكن هذه ليستْ دليلاً على النبوة، لوجودها معتادة لغير الأنبياء، وليست خارقة لعادة غير الأنبياء، بل هي معتادة للسحرة والكهان، فالتفريط ممن ظنها دليلاً، لا سيما ولا بُد أن يكون دليلاً على كذب صاحبها؛ فإن الشياطين لا تقترن إلا بكاذب؛ كما قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٢].

يمتنع ظهور الآيات والمعجزات مع عدم النبوة من وجوه..

ولا يجوز أن يُظهر الربُّ ما جعله دليلاً للنبوة مع عدم النبوة؛ كما أنه لا يجوز أن يتكلّم بالكلام الذي جعله لبيان معان، بدون إرادة تلك المعاني، بل ذلك ممتنعٌ من وجوه: من وجه حكمته، ومن جهة عادته، ومن جهة عدله ورحمته، ومن جهة علمه وإعلامه، وغير ذلك، كما قد بُسط في مواضع.

ومن جهة قدرته أيضًا؛ فإنه قادرٌ على هدي عباده وتعريفهم، وذلك إنما يكون بتخصيص الصادق بما يستلزم صدقه، فإذا ما سوَّى بين الصادق والكاذب، فإنه يمتنع التعريف، والممتنع ليس بمقدور، فقدرته تقتضي خلق الفرق.

وقد يُقال: هو قادرٌ لكن لا يفعل مقدوره. فيقال: فِعْلهُ له ممكن، ولا يمكن إلا على هذا الوجه، فيكون قادرًا على هذا الوجه.

فإن قيل: هو قادر، ولكن لا يفعله.

قيل: إن أريد أنه يمتنع، فهذا باطل، وإن أريد أنه يمكن فعله، ولكن لا يفعله، لم يكن على هذا النفي دليلٌ، بل وجوده يدلُّ على أنه فَعَلَهُ.

أفعال الرب

وأيضًا: فأفعال الرب؛ إما واجبة، وإما ممتنعة، وإذا لم يكن ممتنعًا، تَعيَّن أنه واجب، وأنه قد فعله، وهذا قد فعله، وهذا مبسوط في غير هذا

الموضع.

o **والمقصود هنا**؛ أن هذا كلَّه يستلزمُ أنَّ الربَّ منزهٌ عن أن يفعل بعض الأمور الممكنة المقدورة، لكون ذلك يستلزم أمرًا يُناقض حكمته، ولكون فعل الشيء لا يكون إلا مع لوازمه، وانتفاء أضداده، فيمتنع فعله بدون لوازمه، أو مع ضده، كما يمتنع جعل الدليل دليلاً مع وجوده بلا مدلول، أو مع وجود ضد المدلول معه.

أصولُ الأشاعرة تفرضُ أموراً غير جائزة

والذين قالوا: يجوز منه فعلُ كلِّ شيء، ولا ينزه عن شيء، يتعذر على أصلهم وجود دليل جعلي قصدي؛ لا الكلام، ولا الفعال؛ فيمتنع على أصلهم كونُ كلام الربِّ يدلُّ على مراده، أو كون آياته التي قصد بها الدلالة على صدق الأنبياء، أو غيرهم تدل؛ لأنه يقدر أن يفعل ذلك وغير ذلك، كما يقدر أن يظهر على يد الكاذب ما أظهره على يد الصادق.

تعريف المعجزة عند الأشاعرة

وهم يقولون: المعجزة هي الخارق المقرون بالتحدِّي بالمثل وعدم المعارضة. وهذا يقدرُ على إظهاره على يد الصادق.

صفة الإرادة

فمن سوَّى بين جميع الأمور وجعل إرادته لها سواء، لم يفرق بين هذا وهذا؛ فقالوا: نحن نستدل على أنه لم يظهرها على يد الكاذب، بأنه لو فعل ذلك، لبطلت قدرته على تصديق الصادقين بالآيات؛ فإنه إنما يستدل على صدقهم بالآيات، فلو أظهرها على يد الكاذب لم يبق قادرًا.

هذه عمدة أكثرهم، وعليها اعتمد القاضي أبو بكر في كتاب «المعجزات».

قدرة الله في التمييز بين الصادق والكاذب

فيقال لهم: هذا لا يبطلُ قدرته على ذلك، ولكن هذا يوجب أنه لم يفعل المقدور، فيلزم من ذلك أنه سوَّى بين الصادق والكاذب، ولم يبين صدقه، وهذا مقدور ممكن، وكلُّ مقدورٍ ممكن فهو عندكم جائز عليه،

فلم يكن اللازم رفع قدرته، بل اللازم لم يفعل مقدوره ، وهذا جائز عندكم.

ومما يُوضح هذا ، أن يقال: هو قادر على إظهار ذلك على يد الكاذب أم لا ؟ ، فإن قلتم: ليس بقادر ، أبطلتم قدرته ، وإن قلتم: هو قادر ، فثبت أنه قادرٌ على إظهار ذلك على يد الصادق والكاذب، فبقي مشتركًا لا يخص أحدهما ، فلا يكون حينئذٍ دليلاً ، فمجرد القدرة لم يوجب اختصاص الصادق به.

وإن قلتم: لا يقدر على إظهاره على يد الكاذب، فقد رفعتم القدرة.

فأنتم بين أمرين؛ إن أثبتم القدرة العامة ، فلا ختصاص لها ، وإن نفيتم القدرة على أحدهما؛ بطل استدلالكم بشمول القدرة.

وأيضًا: فالقدرة إنما تكون على ممكن، وعلى أصلكم: لا يمكن تصديق الصادق.

الأشاعرة استدلوا بمقدمتين

فهم استدلوا بمقدمتين، وكلاهما باطلة.

قالوا: لو لم يكن دليلاً رفع القدرة ؛ وهذا باطل ، بل يلزمُ أنه لم يفعل المقدور، وهذا جائزٌ عندهم ، فلا يجب عندهم شيء من الأفعال .

ثم قالوا : وهو قادرٌ على ذلك، وعلى أصلهم: ليس هو بقادر على ذلك، فإنهم قالوا: يمكنه تصديق الأنبياء بالفعل، كما يمكنه التصديق بالقول، فيقال لهم: كلاهما يدلُّ بالقصد والجعل ، وهذا إنما يكون ممن يقصد أن يفعل الشيء ليدل ، وعندكم هو لا يفعل شيئًا لشيءٍ؛ فيلزم على أصلكم أن لا يفعل شيئًا لأجل أنه يدلُّ به عباده؛ لا فعلاً ولا كلامًا؛ إذ كان هذا عندكم ممتنعًا، وهو فعلُ شيءٍ لمقصودٍ آخر غير فعله .

وإذا كان هذا ممتنعًا عندكم، لم يكن مقدورًا ، فلا يقدر على أصلكم

أن ينصب لعباده دليلاً ليـدلهم به على شيء ، بل هذا عندهم فعلٌ لغرض، وهو ممتنع عليه.

وإن قلتم: هو وإن لم يقـصد أن يفعل شـيئًـا لحكمة ، لكن قـد يفعل الشيئين المتلازمين، فيستدلُّ بأحدهما على الآخر.

قيل: هذا إنما يكون بعد أن يثبت التلازم، وأن أحدهما مستلزمٌ للآخر، وهذا معلومٌ فـيما يدلُّ بمجرده، فـإنه يمتنع وجوده بدون لازمه، أمـا ما يدلُّ بالجعل والقصد ، فيمكن وجوده بدون ما جُعل مدلولاً له.

واللزوم إنما يكون بالقـصـد، وهو عندكم يمتنع أن يفـعل شـيئًـا لأجل شيء، فـبطلت الأدلـة القـصـدية على أصلكم، وهي أخـصُّ بالدلالة من غيرها.

ولهذا لا يكادون يستدلون بكلام الله، بل يعتمـدون في السمعيات؛ إما على ما عُلم بالضرورة أو الإجماع .

○**وحقـيقـة الأمر**: أن الأدلة الجعليـة القصدية لا بُد فيـها من إرادة الرب ومشيئته، أن تكـون أدلة، فلا بد أن يريد أن يجعل هذا الفعل ليدل ، وهم لا يجـوزون أن يريد شـيئًـا لشيء ، بل كلُّ مـخلوقٍ هو عندهم مـراد من نفسـه، لم يُرَد لغيـره، فامـتنع أن يكون يريد الربُ جعل شيء دليـلاً على أصلهم.

فتـبين أنه على أصلهم غير قادر عـلى نصب ما يقصد به دلالة العـباد، وهدايتهم، وإعلامهم؛ لا قول، ولا فعل ، فبطلت المقدمة الكبرى .

وبتقـدير أن يكون قادرًا على ذلك، فـهو إذا أظهر علـى يد الكاذب ما يظهر على يد الصـادق، كان لم يفعل هذا المقدور ، ولم يجـعل ذلك دليلاً على الصدق لا يلزم أن لا يكون قادرًا.

فهم اعتمدوا على هذه الحجة، وقالوا : هذا هذا ، وهذا هذا.

من لم يثبت الحكمة يلزمه نفي الإرادة والمشيئة والقدرة

فقد تبيَّن أن من لم يثبت حكمة الرب، يلزمه نفي إرادته ومشيئته كما تقدم ، ويلزمه أيضًا نفي قدرته على أن يفعل شيئًا لشيء، فلا يمكنه أن ينصب دليلاً ليدلَّ به عباده على صدق صادق ولا كذب كاذب، وهم يقولون: من فعل شيئًا لحكمة، دليلٌ على حاجته ونقصه؛ لأنه فعل لغرض، والغرض هو الشهوة، وذلك يتضمن الحاجة.

وهذا بعينه يُقال في الإرادة؛ إن من أراد، فإنما يريد لغرض وشهوة.

فقولهم بنفي الحكمة، يتضمن نفي الإرادة، ونفي القدرة.

وقد بسط هذا في غير هذا الموضع ، وبُيِّن أن من نفى الحكمة، يلزمه نفي الإرادة ، ومن نفى الإرادة يلزمه نفي فعل الرب ، ونفي الإحداث، ومن نفي ذلك يلزمه امتناعُ حدوثِ حادثٍ في الوجود ، وأن إثبات الحكمة لازمٌ لكلِّ طائفة على أي قولٍ قالوه ، كما قد بُسط في غير هذا الموضع.

○ **إذ المقصود:** التنبيه على أن إثبات آيات الأنبياء، والاستدلال بكلام الله وآياته التي أراد أن يدلَّ بها عباده بدون إثبات حكمته: ممتنع.

اضطراب كلام من نفى الحكمة في آيات الأنبياء

ولهذا اضطرب كلام من نفى حكمته في آيات الأنبياء ، وفي كلام الرب سبحانه؛ وهي الآيات التي بعثت بها الأنبياء القولية والفعلية ، واضطربوا في الاستدلال على ما جاءت به الأنبياء ، كما قد نُبه عليه ، والله سبحانه وتعالى أعلم.

○ فصلٌ ○

الاستدلال بسنته تعالى وعادته في معرفة النبي الصادق من المتنبي الكاذب

وأما الاستدلالُ بسنته وعادته ، فهو أيضًا طريقٌ برهانيٌّ ظاهرٌ لجميع الخلق ، وهم متفقون عليه؛ من يقول بالحكمة؛ ومن يقول بمجرد المشيئة؛ فإنه قد عُلم عادته سبحانه في طلوع الشمس، والقمر، والكواكب، والشهور، والأعوام ، وعادته في خلق الإنسان، وغيره من المخلوقات ، وعادته فيما عرفه الناس؛ من المطاعم، والمشارب، والأغذية، والأدوية، ولغات الأمم؛ كالعلم بنحو كلام العرب وتصريفه ، والعلم بالطب وغير ذلك.

سنة الله في نصر الأنبياء وأتباعهم وإهلاك من كذبهم أو كذب عليهم

كذلك سنته تعالى في الأنبياء الصادقين وأتباعهم ، وفيمن كذَّبهم، أو كذَب عليهم؛ فأولئك ينصرهم ويعزهم ، ويجعل لهم العاقبة المحمودة ، والآخرون يهلكهم ويذلهم، ويجعل لهم العاقبة المذمومة؛ كما فعل بقوم نوحٍ، وبعادٍ[أ]، وثمود، وقومِ لوط، وأصحاب مدين، وفرعون وقومه؛ وكما فعل بمن كذَّب محمدًا؛ من قومه قريش، ومن سائر العرب، وسائر الأمم غير العرب ، وكما فعل بمن نصر أنبياءه وأتباعهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣] . وقال : ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١] . وقال تعالى : ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ . وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ﴾

[هود: ١٠٠، ١٠١]

وقال تعالى : ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ . وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ . وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ

(أ) كذا في المطبوع وفي «خ»: «وعادٍ» دون الباء.

فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [الحج: ٤٢ ـ ٤٤]. وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ . ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاؤُوا السُّوأَىٰ أَن كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾ [الروم: ٩، ١٠].

وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [غافر: ٢١، ٢٢].

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾

[غافر: ٥]

وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾

[غافر: ٨٢ ـ ٨٥]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ ثُمَّ لا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا . سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾ [الفتح: ٢٢، ٢٣].
وقال تعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى الأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلاَّ نُفُورًا . اسْتِكْبَارًا فِي الأَرْضِ وَمَكْرَ السَّيِّئِ وَلا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ

تَبْديلاً وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً ﴾ [فاطر: ٤٢، ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لاَّ يَلْبَثُونَ خِلافَكَ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾ [الإسراء: ٧٦]. وقال تعالى: ﴿ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرَهُ وَإِذًا لاَّتَّخَذُوكَ خَلِيلاً. وَلَوْلا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلاً. إِذًا لأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ [الإسراء: ٧٣ - ٧٥].

وقد قيل: آية الحاقة[1]، وآية الشورى[2]، تُبيِّن أنه لو افترى عليه لعاقبه[3]، فهذه سنته في الكاذبين.

وحقيقة الاستدلال بسنته وعادته: هو اعتبار الشيء بنظيره؛ وهو التسوية بين المتماثلين، والتفريق بين المختلفين؛ وهو الاعتبار المأمور به في القرآن؛ كقوله تعالى: ﴿ قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ ﴾ [آل عمران: ١٣].

وقال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ

---

(١) ● وهي قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧].

(٢) ● وهي قوله تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ [الشورى: ٢٤].

(٣) ● قال الحافظ ابن كثير في («تفسير سورة الشورى»):
«أي: لو افترينا عليه كذبًا كما يزعم هؤلاء الجاهلون يختم على قلبك، أي: يطبع على قلبك وسلبك ما كان آتاك من القرآن كقوله جل جلاله: ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ. لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ. ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ. فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴾.
أي: لانتقمنا منه أشد الانتقام وماقدر أحدٌ من الناس أن يحجز عنه» ا.هـ.

لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢] . وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾ [يوسف : ١١١] .

وإنما تكون العبرة به بالقياس والتمثيل؛ **كما قال ابن عباس في دية الأصابع : «هُنَّ سواء»**(١) ، واعتبروها بدية الأسنان.

فإذا عرفت قصصَ الأنبياء، ومن اتبعهم، ومن كذَّبهم، وأنَّ متبعيهم كان لهم النجاة، والعاقبة، والنصر، والسعادة ، ولمكذِّبيهم الهلاك،

---

(١) ● **قال ابن عبد البر في («جامعه» ٢/ ٨٧٢)** : «قاس ابن عباس الأضراس بالأصابع ، وقال : عقلهما سواء ، اعتبرها بها ».

● **قلتُ** : أخرج ذلك مالكٌ في («الموطأ» ص : ٦٥٦) (كتاب العقول باب العمل في عقل الأسنان» وعبد الرزاق في(«المصنف» ١٧٤٩٥) والشافعي في «المسند» (٣٧٧) وذكره ابن حزم في («المحلي» ١٠/ ٤١٣) .

من طريق :

داود بن الحصين عن أبي غطفان بن طريف أن مروان بن الحكم أرسله إلى عبد الله بن عباس يسأله ماذا في الضرس؟ فقال عبد الله بن عباس : «فيه خمسٌ من الإبل» .

قال: فردني مروان إلى عبد الله بن عباس ، فقال : أتجعل مقدَّم الفم مثل الأضراس ؟ فقال عبد الله بن عباس : «لو لم تعتبر ذلك إلا بالأصابع» [يعني : لكفاك] ؛ «عقلهما سواء» .

● **قلت :**

وهذا إسنادٌ صحيح ؛ أبو غطفان بن طريف «ثقة» ؛ روي له مسلم؛ كما في («التقريب») .

قلت: وقد رُوي مرفوعًا؛ كما عند أبي داود في («السنن» برقم: ٤٥٥٩ و ٤٥٦٠) وانظر («الإرواء» ٢٢٧١).

* وراجع رسالة بعنوان «القياس بين مؤيديه ومعارضيه» (ص : ٦٨ وما بعدها) للشيخ عمر الأشقر ـ وفقه الله ـ فقد أورد أمثلةً من أقيسة السلف ـ رحمهم الله ـ وكذا «جامع بيان العلم وفضله» للحافظ ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ .

والبوار، جعل الأمر في المستقبل مثلما كان في الماضي؛ فعلم أن من صدقهم كان سعيدًا، ومن كذَّبهم كان شقيًّا، وهذه سنة الله وعادته.

ولهذا يقول سبحانه في تحقيق عادته وسنته، وأنه لا ينقضها ولا يُبدلها: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَائِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾ [القمر: ٤٣]؛ يقول: فإذا لم يكونوا خيرًا منهم، فكيف ينجون من العذاب، مع مماثلتهم لهم، هذا بطريق الاعتبار والقياس، ثم قال: ﴿أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ﴾؛ أي: معكم خبرٌ من الله بأنه لا يعذبكم؟ فنفى الدليلين: العقلي، والسمعي، ثم ذكر قولهم: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤]، وإنا نغلب من يغالبنا؛ فقال تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]. وهذا مما أنبأ به من الغيب في حال ضعف الإسلام، واستبعاد عامة الناس ذلك، ثم كان كما أخبر.

وقد قال للمؤمنين في تحقيق سنته وعادته: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤]، وقال لمحمد: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾ [فصلت: ٤٣]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ . أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَٰلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة: ١١٨].

● وفي «الصحيحين» [(١)] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ أنه

---

(١) أخرجه البخاري في («الصحيح» ٧٣١٩) عن أبي هريرة مرفوعًا بلفظ: «لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع» فقيل: يا رسول الله! كفارس والروم؟ فقال: «ومن الناس إلا أولئك».

● **قلتُ**: ولم أقف عليه في مسلم عن أبي هريرة! وقد أصاب الشيخ في عزوه =

قال : «لتَركبنَ سُنَنَ من كَانَ قَبْلكم حـذو القذة، حتى لو دخلوا جُحْرَ ضبٍّ لدخلتُموهُ، قَالُوا يَا رسُولَ الله! اليَهودُ والنصارى؟ قال : نعم » .

⊲ وفي «الصحيحين»[(١)] عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبيِّ ﷺ أنه قال : «ليأخذنَّ أمتي مَا أَخَذَ الأَمَمَ قَبْلَهَا شِبراً بشبر، وَذراعًا بذِراعٍ ، قالوا يا رسول الله! فارس والروم؟ قال : ومن النَاس إلا هؤلاءَ» .

⊲ وفي «السنن» [(٢)] لما قال له بعضُ أصحابه : «اجعل لنَا ذَاتَ أَنْواطٍ كمَا

= الحديث ـ للبخاري فقط عن أبي هريرة في كتابه «الاقتضاء» (١/ ٦٩، ١٥١) ؛ ووجدتُ اللالكائي في («أصول الاعتقاد» ٢٠٦) بعد تخريجه له ؛ عزاه للبخاري فقط .

● **تنبيه آخر** ؛ هذا المتن الذي ساقه الشيخ ـ رحمه الله ـ ليس من حديث أبي هريرة إنما هو من حديث أبي سعيد الآتي ؛ فتنبه . ولم يُشر الدكتور الطويان إلى ذلك بالتمام! .

(١) أخرجه البخاري في («الصحيح» برقم : ٣٤٥٦، ٧٣٢٠) ومسلم في («الصحيح» ٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري مرفوعًا بلفظ : «لتتبعن سنن من كان قبلكم... الحديث» .

(٢) كما في («سنن الترمذي» برقم : ٢١٨٠ كتاب الفتن) والنسائي في («الكبرى» باب التفسير / تحفة ١١/ ١١٢) [(١)] (١١١٨٥) (٦/ ٣٤٦) وأحمد في («المسند» ٢١٨٩٧ ط الرسالة) والحميدي في («المسند» ٨٤٨) والطبراني في («الكبير» ٣٢٩٠ ـ ٣٢٩٤) (٣/ ٢٤٣ ـ ٢٤٥) والطيالسي في («المسند» ١٤٤٣ ط هجر) وعبد الرزاق في («المصنف» ٢٠٧٦٣) وابن أبي عاصم في («السنة» ٧٦) وابن أبي شيبة في («المصنف» ١٥/ ١٠١) وابن حبان في («الصحيح» ٦٧٠٢) وكما في («الموارد» ١٨٣٥) والبيهقي في («الدلائل» ٥/ ١٢٤، ١٢٥) واللالكائي في («أصول الاعتقاد» (رقم: ٢٠٤، ٢٠٥). من طرقٍ : =

(١) وقد بحث الدكتور ناصر العقل في النَّسائي المجتبى فلم يجده؛ كما في تعليقه على «الاقتضاء» (١/ ١٥١) للمصنف ـ رحمه الله ـ ولكن؛ كما هو معروف ليس للنسائي السنن الصغير فحسب؛ إنما له «السنن الكبرى» وهو فيه كما عزاه له الحافظ المزي في «تحفة الأشراف»؛ كما أشرتُ.

لهم ذات أنواط، قال: الله أكبر؛ قُلْتُمْ كما قال قَومُ مُوسَى: ﴿اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾ [الأعراف: ١٣٨][1] ثُمَّ قال: «إنه السُّنَن، لتَرْكَبُنَّ سُنَنَ مَنْ كَان قَبْلَكُمْ».

وقال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [1].

ولهذا احتجَّ من احتجَّ بسنة الله وعادته في مكذبي الرسل؛ كقول شعيب: ﴿يَا قَوْمِ لا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ﴾ [2].

وقال مؤمن آل فرعون: ﴿يَا قَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ الأَحْزَابِ . مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [3].

وقال تعالى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [4].

الدأب هو العادة في ثلاثة مواضع - وهو قول الجمهور -

○ والدأب: العادة في ثلاثة مواضع؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ

= عن ابن شهاب الزهري عن سفيان بن أبي سنان الدؤيلي - وهم حلفاء بني الديل - عن أبي واقد الليثي (الحارث بن عوف كما قال الترمذي وقيل ابن مالك؛ كما في «التقريب») مرفوعًا.

●**قلتُ:** وإسنادُه صحيح؛ من رجال الشيخين؛ قال الترمذي: «هذا حديثٌ حسن صحيح» و«السنن» بضم السين وبفتحها. وهي الطرق؛ قال الرازي في («مختار الصحاح» ١٥٧): «السنن» الطريقة يقال: استقام فلانٌ على سنن واحد. ويُقال مضى على سَنَنِك وسُنُنك وسُنَتك أي على وجهك. وتنح عن سَنَن الطريق وسُننه وسِننه ثلاثُ لغات والسنة: السيرة».

(١) («آل عمران»: ١٣٧).

(٢) («هود»: ٨٩).

(٣) («غافر»: ٣٠، ٣١).

(٤) («آل عمران»: ١٠ - ١١).

عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ . كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾[١] .

قال ابنُ قتيبة[٢] وغيره : «الدأب : العادة» ، ومعناه : «كعادة آل فرعون» ، يريدُ : كفرَ اليهود ، كل فريق بنبيهم .

وقال الزجاج [٣] : هو «الاجتهاد» ، معناه : أي : دأب هؤلاء ، وهو اجتهادهم في كفرهم ، وتظاهرهم على النبيِّ ، كتظاهر آل فرعون على موسى .

وقال عطاءٌ والكسائيُّ وأبو عبيدة : «كسنة آل فرعون» .

وقال النضر بن شميل : «كعادة آل فرعون» ؛ يريد : عادة هؤلاء الكفار في تكذيب الرسل وجحود الحق ، كعادة آل فرعون .

وقال طائفة : نظم الآية : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم ﴾ : عند حلول النقمة والعقوبة ، مثل آل فرعون وكفار الأمم الخالية أخذناهم فلن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم [٤] .

وفي تفسير أبي روق عن الضحاك عن ابن عباس : (﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ ﴾ قال : كصنيع آل فرعون) [٥] .

---

(١) («آل عمران» : ١٠ ، ١١) .

(٢) ذكره ابن الجوزي في («زاد المسير» ١/ ٣٠٤) .

(٣) في («معاني القرآن» ١/ ٣٨٠ عالم الكتب) وذكره ابن الجوزي أيضًا في «الزاد» .

● **قلت** : والزجاج هو أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن السري توفى سنة ٣١١هـ ، والزجاج لقبٌ لمهنتهِ وحرفتهِ في خراطة الزجاج ؛ ترجمهُ الذهبي في («السير» ١٤/ ٣٦٠) .

(٤) ● راجع «معالم التنزيل» للبغوي عند تفسير آية آل عمران (١١) .

(٥) **أثر ضعيف الإسناد** .

أخرجه ابن أبي حاتم في («التفسير» ٣٢٣٠) قال : حدثنا أبو زرعة ثنا منجاب أنبأ =

قال ابن أبي حاتم [١] : ورُوي عن مجاهد والضحاك وأبي مالك وعكرمة، نحو ذلك.

قال: وروي عن الربيع بن أنس : «كشبه آل فرعون».

وعن السدي قال : «ذكر الذين كفروا كمثل الذين من قبلهم في التكذيب والجحود»[٢].

◁ **قلت:** فهؤلاء جعلوا الشبيه في العمل؛ فإن لفظ الدأب يدل عليه:

قال الجوهريُّ: دأب فلان في عمله، أي: جدَّ، وتعب، دأْبًا ودؤوبًا، فهو دَئِبٌ. وأدأبته أنا، والدائبان: الليل والنهار، قال : والدأب - يعني: بالتسكين -: العادة والشأن، وقد يُحرَّك.

قال الفراء[٣]: «أصله من دأبت، إلا أن العرب حولت معناه إلى الشأن».

= بشر ابن عمارة عن أبي روق عن الضحاك به . والطبري في («التفسير» (٦٦٦٤ شاكر) من طريق منجاب به .

قلت: وفيه بشر بن عمارة وهو ضعيف ؛ والضحاك لم يسمع من ابن عباس ؛ وراجع كلام الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على («الطبري» ١/ ١١٣) .

(١) في («التفسير» عقب أثر ٣٢٣٠) .

(٢) أخرجه الطبري (٦٦٦٥) وابن أبي حاتم في («التفسير» ٣٢٣١) من طريق : عمرو بن حماد ثنا أسباط عن السدي به . قلتُ : أسباط هو ابن نصر؛ قال فيه الحافظ : «صدوق كثير الخطأ يغرب»؛ والسدي؛ متكلّمٌ فيه ؛ فقال أبو حاتم : «يكتب حديثه ولا يحتج به» . وقد تقدم الكلام على هؤلاء الرجال» (ص : ١/٥٩٠).

قلت: وراجع أثر عكرمة ومجاهد والربيع والضحاك؛ عند الطبراني في («التفسير» ٦٦٥٩، ٦٦٦٠، ٦٦٦٣).

(٣) كما في («لسان العرب» لابن منظور ١٣١٠) مادة دأب.

● **قلت:** الزَّجاجُ جعل ما في القرآن من الدأب، الذي هو الاجتهاد (١).

والصوابُ ما قاله الجمهور؛ أن الدأب ـ بالتسكين ـ هو العادة وهو غير الدأَب بالتحريك؛ إذا زاد اللفظ زاد المعنى، والذي في القرآن مُسكَّنٌ، ما علمنا أحدًا قرأه بالتحريك، وهذا معروفٌ في اللغة؛ يقال: فلانٌ دأبه كذا وكذا؛ أي: هذا عادته وعمله اللازم له، وإن لم يكن في ذلك تعبٌ واجتهاد، ومنه: قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ﴾

[إبراهيم: ٣٣]

○ والدائب نظير الدائم، والباء والميم متقاربتان؛ ومنه: اللازب واللازم.

قال ابنُ عطية(٢): (دائبين؛ أي: متمادين، ومنه قول النبيِّ ﷺ لصاحب

---

(١) وهو ترجيح الأزهري في تفسير الآية كما في («اللسان»).

● **قال الحافظ ابن كثير في («التفسير» آل عمران: ١١):**

«والألفاظ متباينة؛ والدأب بالتسكين، والتحريك أيضًا. كنهْر ونَهَر؛ هو الصنيع والحال والشأن والأمر والعادة؛ كما يقال لا يزال هذا دأبي ودأبك وقال امرؤ القيس في معلقته:

وقوفًا بها صحبي عليّ مطيهم ... يقولون لا تهلك أسى وتجمل

كدأبك من أم الحويرث قبلها ... وجارتها أم الرباب بمأسل

والمعنى: كعادتك في أم الحويرث حين أهلكت نفسك في حُبها وبكيت دارها ورسمها.

والمعنى في الآية: أن الكافرين لا تغنى عنهم الأموال ولا الأولاد بل يهلكون ويعذبون كما أجرى لآل فرعون ومن قبلهم من المكذبين للرسل فيما جاءوا به من آيات الله وحججه». وراجع («تفسير الطبري» ٦/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥) ط شاكر؛ فقد قال: «وأصل الدأب من «دأبت في الأمر دأبًا» إذا أدمنت العمل والتعب فيه. ثم إن العرب نقلت معناه إلى: الشأن والأمر والعادة».

(٢) في «المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز» (٣/ ٣٣٩ دار الكتب) وابن عطية؛ ترجمه الذهبي في («السير» ١٩/ ٥٨٧، ٥٨٨) وهو أبو محمد عبد الحق بن أبي بكر غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، قال الذهبي: «شيخ المفسرين». «وكان إمامًا في=

الجمل الذي بكى وأجهش إليه [١] : «**إنّ هذا الجمَلَ شكَى إليّ أنّكَ تُجيعُهُ وتُدئبهُ**» [٢]؛ أي: تديمه في العمل له والخدمة). قال : وظاهر الآية أن معناه: دائبين في الطلوع والغروب، وما بينهما من المنافع للناس التي لا تُحصى كثيرة [٣]).

قال : (وحكى الطبري [٤] عن مقاتل بن حيان يرفعه إلى ابن عباس أنه

= الفقه، وفي التفسير ، وفي العربية. توفي عام ٥٤١هـ.

● **قال شيخ الإسلام في «الفتاوي» (٢/ ١٩٤)** [١] **في تفسير ابن عطية : «وهو خير من تفسير الزمخشري، وأصح نقلاً وبحثًا ، وأبعد من البدع وإن اشتمل على بعضها ، بل هو خير منه بكثير، بل لعله أرجح هذه التفاسير».**

(١) في ابن عطية : (عليه).

(٢) **حديث صحيح :**

أخرجه أبو داود في («السنن» ٢٥٤٩) وأحمد في («المسند» ١٧٤٥، ١٧٥٤) وأحمد بن منيع في («المسند» كما في «الإتحاف» للبوصيري ٧/ ١٠٥ ط الوطن) والبيهقي في («الدلائل» ٦/ ٢٦ ، ٢٧) والحاكم في («المستدرك» ٢/ ٩٩، ١٠٠) وابن عساكر في («التاريخ» ٢٧/ ٢٤٩ ط الفكر) من طريق: الحسن بن سعد عن عبد الله بن جعفر قال: فذكرَهُ :

○**قلت : وإسنادُه صحيح ؛ كما قلت** ؛ قال الحاكم : «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي؛ وصححه العلامة أحمد شاكر في («المسند» رقم ١٧٤٥) . والعلامة الوادعي في «الدلائل» وعزاهُ ابن عساكر في «التاريخ» لمسلم عن شيبان .

قُلت: وهو في («صحيح مسلم» ٢٤٢٩) من طريق: يبان عن مهدي عن ابن أبي يعقوب عن الحسن بن سعد به . لكنه فيه مختصرٌ دون قصة الجمل. وكذا هو عند ابن ماجه في («السنن» ٣٤٠) وغيره .

(٣) في ابن عطية : (كثرة).

(٤) في («التفسير» ٢٠٨٢٦) .

● **قلت** : وإسنادُهُ ضعيف ؛ ففيه مبهمٌ .

---

(١) كما في التعليق على («السير» ١٩/ ٥٨٨»).

قال: معناه : «دائبين في طاعة الله»)، قال (١) : (وهذا قولٌ إن كان يراد به أن الطاعة: انقيادهما للتسخير ، فذلك موجودٌ في طاعة قوله : ﴿وَسَخَّرَ﴾ [إبراهيم: ٣٣] ، وإن كان يُراد أنها طاعة مقدورة (٢)، كطاعة العبادة من البشر، فهذا بعيدٌ (٣)).

⊲ **قلت**: ليس هذا ببعيدٍ، بل عليه دلَّت الأدلة الكثيرة (٤)، كما هو مذكورٌ في مواضع.

وقالت طائفةٌ؛ منهم البغوي (٥) ، ـ وهذا لفظه ـ : «دائبين: يجريان فيما يعود إلى مصالح عباد الله لا يفتران».

قال ابن عباس (٦) : «دؤوبهما في طاعة الله».

ولفظُ أبي الفرج (٧): «دائبين في إصلاح ما يصلحانه من النبات وغيره، لا يفتران». قال: «ومعنى الدؤوب: مرور الشيء على عادةٍ جاريةٍ فيه».

⊲ **قلتُ**: وإذا كان دأبهم هو عادتهم وعملهم الذي كانوا مُصرِّين عليه؛ فالمقصودُ أن هؤلاء أشبهوهم في العمل، فيشبهونهم في الجزاء، فيحيق بهم ما حاق بأولئك ، هذا هو المقصود ليس المقصود التشبيه في الجزاء؛ كقوله :

---

(١) يعني ابن عطية .

(٢) في ابن عطية : «مقصودة».

(٣) في ابن عطية : «فهذا جيد والله أعلم» .

وكذا نقله هكذا أبو حيان في «البحر المحيط» (٥/ ٤١٦) .

(٤) كقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [الحج: ١٨]. وقوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِن دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل : ٤٩] .

(٥) في («معالم التنزيل» ٣/ ٣٦) .

(٦) تقدم ؛ وهو ضعيف .

(٧) في («زاد المسير» ٤/ ٢٦٧) .

﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلا أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ . كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ [آل عمران: ١٠، ١١]؛ أي: فهولاء لا تَدفعُ عنهم أموالهم وأولادهم عذاب الله إذ جاءهم، كدأب آل فرعون .

وكذلك قوله : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ . ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١] . إلى قوله : ﴿ كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ ﴾ [الأنفال: ٥٤] . فهذا كلُّه يقتضي التشبيه في العذاب.

○ وأما الطائفة الأخرى: فجعلوا الدأب نفس فعل الربِّ بهم، وعقوبته لهم.

قال مكيٌّ بن أبي طالب [١] : الكاف في ﴿كَدَأْبِ﴾ في مواضع نصب، نعت لمحذوف تقديره: غيرناهم كما غيَّروا تغييرًا، مثل عادتنا في آل فرعون، ومثلها الآية الأولى، إلا أن الأوْلى للعادة في العذاب، تقديره: فعلنا بهم ذلك فعلاً مثل عادتنا في آل فرعون.

وقد جمع بعضهم بين المعنيين؛ فقال أبو الفرج[٢]: (﴿ كَدَأْبِ آلِ

---

(١) لعله في تفسيره «الهداية إلى بلوغ النهاية» لكنه لم يطبع؛ كما قال الأستاذ علي البوّاب محقق كتاب «تفسير المشكل من غريب القرآن» لأبي محمد مكي بن أبي طالب المتوفى سنة ٤٣٧هـ قلتُ: وهو في «تفسير المشكل» (ص: ٤٧ مكتبة المعارف) ما نصُّه: («كدأب آل فرعون» ؛ أي : كعادتهم؛ أي: كعادتنا في إهلاكهم) .

● وقد ترجمهُ الذهبي في («السير» ١٧/ ٥٩١) فقال : «العلامة المقرئ ؛ صاحب التصانيف» .

(٢) في («الزاد» ١/ ٣٠٤) («الأنفال» آية ٥٢: ٣/ ٢٥٢) وفي مختصره المسمى =

فِرْعَوْنَ﴾: أي: كعادتهم، والمعنى: كذَّب [هؤلاء كما كذَّب][1] أولئك فنزل بهم العذاب، كما نزل بأولئك).

⊳ **قلت**: الدأب: العادة، وهو مصدر يُضاف إلى الفاعل تارة، وإلى المفعول أخرى، فإذا أُضيف إلى الفاعل، كان المعنى: كفعل آل فرعون، وإذا أضيف إلى المفعول، كان المعنى: كعادتهم في العذاب والمصائب التي نزلت بهم؛ يُقال: هذه عادة هؤلاء لما فعلوه، ولما يصيبهم، وهي عادة الرب وسنته فيهم.

○ **والتحقيق**: أن اللفظ يتناولُ الأمرين جميعًا.

وقد تقدَّم عن الفراء والجوهري: أن الدأب: العادة والشأن؛ وهذا كقوله: ﴿ **قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ**﴾ [آل عمران: ١٣٧].

روي ابن أبي حاتم(١) بالإسناد المعروف عن مجاهد: «﴿**قَدْ خَلَتْ مِن**

= بـ «تذكرة الأريب في تفسير الغريب» (ص: ٨٨ لابن الجوزي أيضًا) تحقيق البواب.

(١) في («التفسير» ١٤٧٨ بتحقيق الأستاذ حكمت بشير) وأخرجه أيضًا الطبري في («التفسير» ٧٨٦٨) (٧٨٦٩) من طرقٍ عن ابن أبي نجيح عن مجاهد به.

وزاد السيوطي في («الدر») عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر.

● **قلتُ**: وابن أبي نجيح (عبد الله بن يسار) في سماعه التفسير عن مجاهد كلامٌ، انظر «جامعَ التحصيل» (٢١٨) ففيه: «وقال إبراهيم بن الجنيد قلتُ ليحيى بن معين: إن يحيى بن سعيد - يعني القطان - يزعم أن ابن أبي نجيح لم يسمع التفسير من مجاهد؛ وإنما أخذه من القاسم بن أبي برة فقال ابن معين: كذا قال ابن عيينة، ولا أدري أحق ذلك أم لا».

---

(1) ما بين المعقوفتين ليس في جميع النسخ، وإنما أُثبت من «الزاد» (٣/ ٢٥٢)؛ أفاده الطويان.

قَبْلِكُمْ سُنَنٌ﴾ من الكفار، والمؤمنين في الخير والشر». وعن ابن إسحاق [١] : «أي قد مضت مني وقائع نقـمة في أهل التكذيب لرسلي والشرك بي ؛ عاد وثمود ، وقوم لوط ، وأصـحاب مدين، فرأوا[٢] مثلات[٣] قد مضت مني فيهم» [٤]؛ فقد فسرت السنن بأعمالهم وبجزائهم.

قال البـغوي[٥] : «معنى الآية : قـد مضت ، وسلفت مني فيـمن كان قبـلكم من الأمم الماضيـة الكافرة بإمـهالي واسـتدراجي إياهم، حـتى يبلغ الكتابُ فيهم أجلي الذي أجَّلته لإهلاكهم، وإدالةُ أنبيائي [٦] ، ﴿ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾؛ أي: آخر المكذبين منهم» [٧]، قال: «وهذا في حزب واحد» [٨]، يقول [٩] : «فأنا أمهلهم وأستدرجهم حتى يبلغ

---

(١) في «المطبوع» : «أبي إسـحاق» والصـواب ما أثبت . **والدكتـور الطويان** لم يُشر إلى وجه الصواب، بل ترجم على أنه أبو إسحاق السـبيعي! والمصادر التي أوردتها تعارض ذلك والعلم عند الله.

(٢) وفي الطبري وابن أبي حاتم : (تروا) .

(٣) أي : عقوبات .

(٤) أخرجه ابن إسحاق كمـا في («السيرة» لابن هشام ٣/ ١٠٢) باب : (ذكر ما أنزل الله في أحد من القرآن) المكتبـة العصرية . وأخرجه أيضًا الطبري في («التـفسير» ٧٨٧٠) وابن أبي حاتم في («التفسيـر» ١٤٧٩) (آل عمران : ١٣٧) من طرقٍ عن سلمة ـ وهو ابن الفضل ـ وزياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق قال : فذكره .

● **قلت** : والأثر حسـن ؛ وسلمة وزياد ثبـتان في ابن إسـحاق في السـيرة ؛ كـما في («السير» ٩/ ٤٨٨) (١١/ ٣٠٧) للذهبي .

(٥) في («معالم التنزيل» ١/ ٣٥٤ المعرفة) .

(٦) في «المعالم» : «وإدالة أنبيائي عليهم» .

(٧) في «المعالم» : «أي آخرنا من المكذبين» .

(٨) في «المعالم» : «في حرب أحد» .

(٩) في «المعالم» : «يقول الله عز وجل» .

أجلي الذي أجلت [١] من نصرة النبيِّ ﷺ وأوليائه، وهلاك أعدائه».

سنة الله وعادته لا تتبدل في إكرام وهلاك وإهانة مكذبيهم

⊳ قلت: ونظيرُ هذا: قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقوله: ﴿أَوَ لَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [الروم: ٩]، وقوله في الآية الأخرى ﴿كَانُوا أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِندَهُم مِّنَ الْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ . فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ . فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ٨٢ ـ ٨٥].

فهذا كلُّه يُبيِّنُ أن سنة الله وعادته مطردة، لا تنتقض في إكرام مصدِّقي الرسل، وإهانة مكذِّبيهم.

---

(١) في «المعالم»: «أجلته».

○ فصلٌ ○

المعجزات يلزم من وجودها وجود الأنبياء

آيات الأنبياء كما قد عُرف هي مستلزمةٌ لثبوتِ النبوة ، وصدقِ المخبر بها، والشاهدِ بها؛ فيلزمُ من وجودها وجودُ النبوة، وصدقُ المخبر بها ، ويمتنع أن تكونَ مع التكذيب بها، وكذبِ المخبر بها [(١)]؛ فلا يجوزُ وجودها لمن كذَّب الأنبياء ، ولا لمن أقرَّ بنبوة كذَّاب؛ سواء كان هو نفسه المدَّعي للنبوة ، أو ادَّعى نبوة غيره.

وهذا الصنفان هما المذكوران في قوله : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾

[الأنعام: ٩٣]

وهؤلاء كلُّهُم من أظلم الكاذبين؛ كما قال : ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ [الزمر: ٣٢]، ثم قال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر: ٣٣] .

فالمخبر بالنبوة مع ثبوتها هو الذي جاء بالصدق وصدَّق به ، والمخبر بها مع انتفائها هو الذي كذب على الله، والمكذِّب بها مع ثبوتها هو الذي كذَّب بالحق لما جاءه.

فدلائلُ النبوة هي مستلزمةٌ لصدق من أثبت نبوة هي نبوةُ حقٍّ، يمتنع أن تكون لمن نفى هذه ، أو أثبت نبوة ليست بنبوة.

وكذلك كلُّ دليلٍ دلَّ على إثباتِ الصانع، دلَّ على صدق المؤمنين به،

(١) وهذا ما يُعبر عنه المصنف ـ كما يأتي ـ بالقاعدة المعروفة : «الدليل الصحيح يستلزم المدلول عليه» وقد مرت مرارًا ؛ فانظر مثلاً (ص : ١٥٨) وزاد : «ويمتنع ثبوته مع عدمه».

المخبرين بما دلَّ عليه الدليل ، وعلى كذب من نفى ذلك.

ويمتنع أن تكون تلك الأدلة دالَّةً على نفي ذلك ، أو على صدق الخبر بنفي ذلك ، أو على صدق من جعل صفات الرب ثابتة لغيره.

وما دلَّ على أن هذه الدار ملك لزيد، يدلُّ على صدق المخبر بذلك، وكذب النافي له، ويمتنع أن يدلَّ مع انتفاء الملك.

وما دلَّ على علم شخصٍ وعدله، فإنه مستلزمٌ لذلك، ولصدق المخبر به، وكذلك النافي له يمتنع أن يدلَّ على صدق النافي، أو يدلَّ مع انتفاء العلم والعدل؛ فإنَّ ما استلزم ثبوت شيء وصدقه، استلزم كذب نقيضه، وكان عدم اللازم مستلزمًا لعدم الملزوم؛ فما كان مستلزمًا لثبوت النبوة، وصدق المخبر بها، كان مستلزمًا لكذب من نفاها، فامتنع أن يكون موجودًا مع من نفاها، وامتنع أن يكون موجودًا مع انتفائها؛ فإن ذلك يستلزم الجمع بين النقيضين.

فدليلُ كلِّ مدلول عليه يمتنع ثبوته مع عدم المدلول عليه؛ فإنه مستلزمٌ لثبوته، فلو وُجد مع عدمه، للزم الجمع بين النقيضين.

التلازم بين نبوة العين وجنس النبوة

فما كان دليلاً على نبوة شخص، فهو دليلُ على جنس النبوة؛ فإن نبوة الشخص لا تثبت إلا مع ثبوت جنس النبوة؛ فيمتنع وجود ذلك الدليل مع عدم النبوة.

وثبوتُ أحدِ النقيضين مستلزم لنفي الآخر؛ فثبوت صدق المخبر بثبوتها، مستلزم لكذب المخبر بانتفائها.

دليل عقلي

فهذا أمرٌ عقلي مقطوع به، معلومٌ بالبديهة بعد تصوُّره في جميع الأدلة؛ أدلة؛ النبوة وغيرها ، فلا يجوز أن يكون ما دلَّ على النبوة ، وعلى صدق المخبر بها، وكذب المكذب بها، دليلاً للمكذب بها، ولا دليلاً مع انتفائها؛

كالمتنبي الذي يدَّعي النبــوة ولا نبوة معه، فلا يتصــور أن يكون معه ولا مع المصدق بنبــوته شيء من دلائل النبوة. وأما كــون دليل من دلائل النبوة مع المصدق بها كائنًا من كان، فــهذا حق، بل هذا هو الواجب، فمن صدق بها بلا دليل، كان متكلِّمًا بلا علم، فكلٌّ من صدق بالنبوة بعلمٍ فمعه دليل من أدلتها. وإخــبار أهل التواتر بما جاءت به الأنبــياء من الآيات، هو: من أدلة ثبوتهــا؛ فكلٌّ من آمن بالرسول عن بصــيرة، فلا بُد أن يكون فــي قلبه علمٌ بأنه نبي حق؛ إما علمٌ ضروري، أو علم نظري بدليل من الأدلة.

العلم الضروري والنظري

والعلوم النظرية مع أدلتــها تبــقي ضرورية ، وقد تكون فــي نفس الأمر علوم ضرورية، ولا يمكنه التعبير عمــا يدلُّ عليها؛ كالذي يجده الإنسان في نفسه ويعلمه من العلوم البديهية والضرورية وغير ذلك؛ فإن كثيرًا من الناس لا يمكنهم بيان الأدلة لغيرهم على وجود ذلك عندهم.

وإذا عُرف هذا، فقولنا: دلائل النبوة مختصة بالأنبياء لا تكون لغيرهم، له معنيان:

○ **أحدهما**: أنه لا يشاركهم فيــها من يكذب بنبوتهم، ولا من يدَّعي نبوة كاذبة، وهذا ظاهرٌ بَيِّنٌ؛ فإنَّ الدليل عــلى الشيء لا يكون دليلاً على وجوده وعلى عدمه، فلا يكون ما يدلُّ على النبــوة أو غيرها ، وعلى صدق المخبر بذلك دليلاً على كذب المخبر بذلك ، ولا دليلاً على النبوة مع انتفاء النبوة.

○○ **والمعنى الثاني**: أنها لا توجد إلا مع النبي؛ فــهذا إن أريد أنها لا توجد إلا والنبوة ثــابتة، فهــو صحيــح، وإن كانت مع ذلك دليلاً عــلى نبي، فلا يمتنع أن يكون الشيء الواحدُ دليــلاً على أمورٍ كثيــرة ، لكن يمتنع أن يوجد مع انتفاء مدلوله.

فــما دلَّ على النبــوة قد يدلُّ عــلى أمورٍ أخــرى من أمورِ الرب تبــارك

وتعالى؛ لكن لا يمكن أن يدلَّ مع انتفاء النبوة؛ أي: مع كون النبوة المدلول عليها باطلة لا حقيقة لها، ولكن قد يدلُّ مع موت النبيِّ ومع غيبته؛ فإن موته لا ينفي نبوته.

وليس من شرط دليلِ النبيِّ أن يكون موجودًا في محلِّ المدلول عليه، ولا في مكانه ولا زمانه.

وقولُ من اشترط في آيات الأنبياء أن تكون مقترنة بالدعوى: في غاية الفساد والتناقض، كما قد بُسط، لا سيما والآيات قد تكون مخلوقة نائية عن النبيِّ، وعن مكانه، وكذلك سائر الأدلة، لا سيما ما يجري مجرى الخبر.

فالأخبار الدالَّة على وجود المخبر به لا يجب أن تكون مقارنة للمخبر به؛ لا في محلِّه، ولا زمانه، ولا مكانه.

آيات الأنبياء شهادة من الله بنبوتهم

وآيات الأنبياء: هي شهادة من الله، وإخبار منه بنبوتهم، فلا يجب أن تكون في محل النبوة، ولا زمانها ولا مكانها، لكن يجوز ذلك؛ فلا يمتنع أن يكون الدليل في محلِّ المدلول عليه ولا في زمانه ولا في مكانه، لكن يجوز ذلك فيه؛ فالإنسانُ قد تقومُ به أمورٌ تدلُّ على بعض الأمور التي فيه، وقد تُعلم أموره بخبر غيره، وببعض آثاره المنفصلة عنه.

فإذا أريدَ بأن آيات الأنبياء مختصة بهم، وأنها لا تكون لغيرهم: أنها لا تكون مع انتفاء النبوة المدلول عليها: فهذا صحيح؛ لأنه يستلزم الجمع بين النقيضين.

وأما إذا أريد أنها لا توجد إلا في ذات النبيِّ، أو مقترنة بخبره عن نبوته، أو في المكان الذي كان فيه، أو في الزمان: فهذا كلُّه غلطٌ، وخطأ ممن ظنه، وجهلٌ بيِّنٌ بحقائق الأدلة، إن كان من الأدلة وآيات النبوة ما

يكون في ذات النبيِّ، ويكون مقترنًا بقوله : إني رسول الله، ويكون في المكان الذي هو فيه، وفي زمانه ، فهذا يمكن، وهو الواقع؛ فإن النبيَّ ﷺ، بل وغيره من الأنبياء كان في نفس أقوالهم، وأفعالهم، وصفاتهم، وأخلاقهم، وسيرهم أمورٌ كثيرةٌ تدلُّ على نبوتهم[١].

وكذلك لما قال: إنِّي رسول الله، أتى مع ذلك بآيات دلّت على صدقه.

وكذلك في مكانه وزمانه، ظهر من انشقاق القمر [٢]، وغيره ما دلَّ على نبوته.

لكن آيات الأنبياء أعم من ذلك ، كما أنَّ كلَّ شيءٍ أعم من أن يختص بمعنى المدلول وزمانه ومكانه.

وبهذا يظهرُ خطأُ كثيرٍ من الناس في عدم معرفتهم بجنس آيات الأنبياء، لعدم تحقيقهم جنس الأدلة والبراهين.

وإن خاصة الدليل: أنه يلزم من تحققه تحقق المدلول عليه فقط، سواء كان مقارنًا للمدلول عليه ، أو كان حالاً في محله، أو مجاوزًا لمحله، أو لم يكن كذلك.

هل النبوة صفة ثبوتية أم لا

والنبوة قد قال طائفة من الناس: إنها صفة في النبي.

---

(١) راجع كتب الشمائل ؛ كالشمائل للترمذي ، ومختصره للألباني ؛ «والصحيح المسند من الشمائل المحمدية» للوادعية ؛ مع «الصحيح المسند من الدلائل» (ص: ٥٧ وما بعدها «فصل في صفة رسول الله ﷺ الخَلْقية والخُلُقية») تأليف العلامة الوادعي .

(٢) وهذا ثابتٌ في «الصحيحين» وغيرهما.

● فأخرج البخاري في («الصحيح» ٣٦٣٦) ومسلم في («الصحيح» حديث ٢٨٠٠) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال :

انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ شقين ؛ فقال النبي ﷺ «اشهدوا». وله - في بعض الروايات - حكاية ؛ وانظر («الاعتقاد» للبيهقي ص: ٣٦٠) .

وقال طائفة: ليست صفة ثبوتية في النبيِّ، بل هي مجردُ تعلق الخطاب الإلهي به؛ يقول الرب: إني أرسلتك ، فهي عندهم صفة إضافية كما يقولونه في الأحكام الشرعية أنها صفات إضافية للأفعال لا صفات حقيقية.

قول أهل السنة في النبوة

○ **والصحيح**: أن النبوة تجمع هذا وهذا؛ فهي تتضمن صفة ثبوتية في النبيِّ، وصفة إضافية هي مجرد تعلق الخطاب الإلهي به، لكن على الأقوال الثلاثة: ليس من شرط أدلتها أن تكون حالة في ذات النبيِّ، ولكن يجوز أن تكون لها أدلة قائمة بذات النبيِّ، كما كان في محمدٍ ﷺ عدة أدلة من دلائل النبوة ، كما هو مبسوطٌ في دلائل نبوته، إذ المقصود هنا الكلام على جنس آيات الأنبياء، لا على شيء معين، ولا دليل معين، ولا نبي معين.

فإذا عُرف أن دلائل النبوة يمتنع ثبوتها لشخص لا نبوة فيه إذا ادّعاها، أو ادعيت له كذبًا، ويمتنع ثبوتها مع المكذب بالنبوة الصادقة، وأنها لا توجد إلا والنبوة ثابتة، وأنها دليلٌ على صدق المخبر بالنبوة من جميع الخلق.

فكلُّ من آمن أن محمدًا رسول الله، فقد أخبر عن نبوته؛ كما أخبر هو عن نبوة نفسه بما أمره الله به؛ حيث قال: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا**﴾ [الأعراف: ١٥٨] .

فهذا الخبر؛ وهو الشهادة بأنه رسول الله إلى الناس جميعًا، سواء وجد منه، أو من غيره، هو مدلول عليه لجميع دلائل النبوة.

فإذا وُجد هذا الخبر في غير النبيِّ، ووجد ما يدلُّ على صدق هذا الخبر، كان ذلك من دلائل النبوة، كما وجد هذا في خلقٍ كثير من المؤمنين.

ومن دلائل النبوة: وجودُ العلم الضروري بخبر أهل التواتر، الذين أخبروا بالآيات ، فهذا العلم الضروري هو بمنزلة المشاهدة للآيات.

وكذلك مـا يوجد لأهل الإيمان مما يسـتلزم صدق خبـرهم بأن محـمدًا رسول، كما يوجد لأمته من الآيات الكثيرة عند تحقيق أمره ونصره وطاعته، والجهاد عن دينه، والذب عنه ، وبيان ما أرسل به ، كـما وُجد أمثال ذلك للصحابة، والتابعين، وسائر المؤمنين إلى يوم القيامة.

○ فَصْلٌ ○

خوارق السحرة والكهان مناقضة للنبوة ولاتخرج من مقدور الجن والإنس

فجميعُ مـا يختصُّ بالسحرة والكهان هو مناقضٌ للنـبوة ، فوجود ذلك يدلُّ على أن صاحـبه ليس بنبيٍّ، ويمتنع أن يكون شيءٌ مـن ذلك دليلاً على النبوة؛ فإن ما استلزم عدم الشيء لا يستلزم وجوده.

وكذلك ما يأتي به أهل الطلاسم، وعبادة الكواكب، ومـخاطبتها، كلُّ ذلك مناقضٌ للنبوة؛ فإنَّ النبيَّ لا يكون إلا مؤمنًا، وهؤلاء كفار؛ فوجودُ ما يناقضُ الإيمان هو مناقضٌ للنبـوة بطريق الأولى، وهو آيةٌ، ودليلٌ، وبرهان على عدم النبوة، فيمتنع أن يكون دليلاً على وجودها.

وجميعُ ما يختصُّ بالسحـرة والكهان وغيرهم ممن ليس بنبيٍّ، لا يخرج عن مقـدور الإنس والجن، وأعني بالمقدور: ما يمكنهم التـوصل إليه بطريق من الطرق؛ فإن من الناس من يقـول : إن المقدور لا بُد أن يكون في محل القدرة.

وليس هذا هو لغـة العـرب، ولا غـيـرهم من الأمم؛ لا لغـة القـرآن والحديث، ولا غـيرهمـا، وإنما يدعون ذلك من جـهة العقل، وقـولهم في ذلك باطلٌ من جهة العقل.

لكن المقصود هنا التكلُّم باللغة المعروفة؛ لغة العرب، وغيرهم التي كان نبيـنا ﷺ وغيره يخـاطب بها النـاس؛ كقوله فـي الحديث الصحـيح لأبي مسعود لما ضرب غلامه: **«اعلَمْ أبا مسعودٍ، اعلم أبا مَسعودٍ، الله أقدَرُ عليكَ منكَ عَلَى هذا»**[1].

---

(١) **حديث صحيح :**
أخرجه مسلم في («الصحيح» ١٦٥٩) من حديث أبي مسعود البدري به .

فجعل نفس المملوك مقدورًا عليه لسيده، كما يقول الناس : القوة على الضعيف ضعفٌ في القوة، ويقولون: فلانٌ قادر على فلان ، وفلانٌ عاجز عن فلان، ويقولون: فلانٌ ناسج هذا الثوب، وبني هذه الدار؛ ومنه: قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ﴾ [هود: ٣٨]؛ فجعل الفلك مصنوعة لنوح؛ ومنه: قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]؛ أي والأصنام التي تعملونها؛ وتنحتونها، فجعل ما في الأصنام من التأليف معمولاً لهم، كما جعل تأليف السفينة مصنوعًا لهم، وهذا كثير.

○ **والمقصودُ هنا**؛ أن ما يأتي به السحرة والكهان ونحوهم، هو مما يصنعه الإنس والجن، لا يخرج ذلك عنهم، والإنس والجن قد أُرسلت إليهم الرسل، فآيات الأنبياء خارجة عن قدرة الإنس والجن؛ لا يقدر عليها لا الإنس ولا الجن، ولله الحمد والمنة.

ومقدوراتُ الجن هي من جنس مقدورات الإنس، لكن يختلف في المواضع؛ فإن الإنسي يقدر على أن يضرب غيره، حتى يمرض أو يموت، بل يقدر أن يكلّمه بكلام يمرض به أو يموت.

فما يقدر عليه الساحر من سحْر بعض الناس حتى يمرض أو يموت، هو من مقدور الجن، وهو من جنس مقدور الإنس.

ومنعه من الجماع هو من جنس المرض المانع له من ذلك.

والحبُّ والبغض لبعض الناس، كما يفعله الساحر، هو من استعانته بالشياطين، وهو من جنس مقدور الإنس. بل شياطين الإنس قد يؤثرون من البغض والحب أعظم مما تؤثره شياطين الجن.

والجنُّ تقدر على الطيران في الهواء، وهو من الأعمال، والطيور تطير، فهو من جنس مقدور الإنس، لكن يختلف المحل بأن هؤلاء سيْرهم في

الهواء، والإنس سيُرهم على الأرض.

وكذلك المشي على الماء، وطي الأرض؛ وهو قطعُ المسافة البعيدة في زمان قريب: هو من هذا الجنس، هو مما تفعله الجن، وهو مما تفعله الجن ببعض الناس، وقد أخبر الله عن العفريت أنه قال لسليمان عن عرش بلقيس، وهو باليمن، وسليمان بالشام: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ [النمل: ٣٩] ؛ ولهذا يوجدُ كثيرٌ من الكفار والفساق والجهال تطير بهم الجن في الهواء، وتمشي بهم على الماء، وتقطع بهم المسافة البعيدة في المدة القريبة.

وليس شيءٌ من ذلك من آيات الأنبياء، ولله الحمد والمنة؛ إذ كان مقدورُ الإنس والجن، والإخبار ببعض الأمور الغائبة التي يأتي بها الكُهَّان، هو أيضًا من مقدور الجن؛ فإنهم تارة يرون الغائب فيخبرون به، وتارة يسترقون السمع من السماء فيخبرون به ، وتارة يسترقون وهم يكذبون في ذلك، كما أخبر النبي ﷺ عنهم[1].

وما تخبرُ به الأنبياء من الغيب، لا يقدر عليه إنس، ولا جن، ولا كذب فيه.

وأخبار الكهان وغيرهم كذِبُها أكثرُ من صدقها، وكذلك كلُّ من تعوَّد الإخبار عن الغائب؛ فأخبار الجنِّ لا بد أن تكذب، فإنه من طلب منهم الإخبار بالمغيب كان من جنس الكهان، وكذبوه في بعض ما يخبرون به ، وإن كانوا صادقين في البعض.

---

(١) **في ذلك حديث صحيح:**
أخرجه البخاري في («الصحيح» ٥٧٦٢) ومسلم في («الصحيح» ٤/ ١٧٥٠) (برقم: ٢٢٢٨) من حديث عائشة. وقد مرّ (ص ١٠٧ و١٠٨).

⊲ وقد ثبتَ في الصحيح: «أن النبيَّ ﷺ سُئِل عن الكُهَّان؟ فقيل له: إن منا قومًا يأتون الكهان، قال: **فلا يأتوهم**» (١).

⊲ وثبتَ عنه في الصحيح أنه قال: «**مَنْ أتى عرّافًا، فسألهُ عن شيء، لم تُقبَلْ لهُ صلاة أربعينَ يومًا**» (٢).

⊲ وفي السنن عنه أنه قال: «**مَن اقتبس شُعبة من النجومِ، فقدِ اقتبسَ شُعبةً من السِّحْرِ زادَ ما زادَ**» (٣).

---

(١) **حديث صحيح:**

أخرجه مسلم في («الصحيح» ٥٣٧) من حديث معاوية بن الحكم السلمي مرفوعًا.

(٢) **حديث صحيح:**

أخرجه مسلم في («الصحيح» ٢٢٣٠) من حديث صفية عن بعض أزواج النبي ﷺ. وراجع («العلل» لابن أبي حاتم ٢٣٠٣).

(٣) **حديث صحيح:**

أخرجه أبو داود (كتاب الطب باب٢٢ باب في النجوم حديث ٣٩٠٥)، وابن ماجه (كتاب الأدب باب في تعلم النجوم حديث ٣٧٢٦) وأحمد (١/ ٢٢٧) رقم (٢٠٠٠ شاكر) و (١/ ٣١١ رقم ٢٨٤١) وعبد بن حميد في (المنتخب ٧١٤) (١/ ٥٩٩) والبيهقي في (الكبرى ٨/ ١٣٨، ١٣٩) (كتاب القسامة . باب ما جاء في كراهية اقتباس علم النجوم)، والطبراني في (الكبير ١١/ ١٣٥ حديث ١١٢٧٨)، والحربي في الغريب (٥/ ١٩٥/ ١) كما في (الصحيحة حديث ٧٩٣)، وابن عبد البر في (جامع بيان العلم وفضله باب العبارة عن حدود علم الديانات وسائر العلوم المتصرفات بحسب تصرف الحاجات وسائر العلوم المنتحلات عند جميع أهل المقالات) (حديث ١٤٧٧) (٢/ ٧٩٢) ط دار ابن الجوزي، وابن أبي شيبة في (المصنف كتاب الأدب باب في تعليم النجوم، ما قالوا فيها) (حديث: ٥٦٩٨) وأبو الشيخ في («العظمة» حديث ٧٠١).

من طرقٍ عن عبيد الله بن الأخنس أبي مالك عن الوليد بن عبد الله عن يوسف بن ماهك عن ابن عباس ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من اقتبس علمًا من النجوم اقتبس شعبة من السحر زا ماد زاد» وقال مسدد (ما زاد زاد) =

. . . .

= وفي رواية (من تعلّم علمًا من النجوم تعلّم شعبة من السحر)، وسنده صحيح؛ كما قلت قال النووي في «رياض الصالحين» (رقم ١٦٨٠) باب (النهي عن إتيان الكهان والمنجمين والعرّاف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعير ونحو ذلك): «رواه أبو داود بإسناد صحيح» . وقال العراقي في «المغني» (تخريج الإحياء ٤/ ١٨١) : «حديث النهي عن تصديق المنجمين وعن علم النجوم» أخرجه أبو داود وابن ماجه بسند صحيح من حديث ابن عباس »؛ وصححه أحمد شاكر رحمه الله تعالى في (شرح المسند حديث ٢٠٠٠) ، وأيضًا الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله تعالى في (الصحيحة حديث ٧٩٣) وكذلك الشيخ مقبل الوادعي حفظه الله في (الجامع الصحيح كتاب العلم ١/ ٦٦) «باب من العلم من لا يجوز تعلمه». وهو كما قالوا جميعًا ، والله تعالى أعلم .

فصلٌ

المنهيُّ من علم النجوم هو ما يدعيه أهل التنجيم من علم الكوائن والحوادث التي لم تقع في مستقبل الزمان كإخبارهم بوقت هبوب الرياح ومجيء المطر وظهور الحر والبرد ووقوع الثلج وتغير الأسعار وما كان في معانيها من الأمور يزعمون أنهم يدركون معرفتها بسير الكواكب في مجاريها واجتماعها وافتراقها ويدعون أيضًا لها ، تأثيرًا في السفليات أو أنها تتصرف على أحكامها وتجري على قضايا موجباتها ! وهذا منهم تحكم على الغيب وتعاطٍ لعلمٍ استأثر الله عز وجل به لا يعلمه أحد غيره، ولا يعلم الغيب أحد سواه ، كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] فأما علم النجوم الذي يدرك من طريق المشاهدة الذي يعرف به الزوال وجهة القبلة فإنه غير داخل فيما نهي عنه، قال الله سبحانه: ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧]. وقال جلّ ذكره: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦] . فأخبر سبحانه وتعالى أن النجوم طرق لمعرفة الأوقات والمسالك ولولاها لم يهتد النائي عن الكعبة إلى استقبالها، روي عن عمر ﷺ أنه قال[١] : (تعلموا من النجوم ما تعرفون به القبلة والطريق ثم أمسكوا، فإنها والله ما =

---

(١) صحّح إسناده أبو الأشبال الزهيري ـ فك الله أسره ـ وعزاه لابن أبي شيبة (٨/ ٤١٤)؛ كما في (الجامع) لابن عبد البر (٢/ ٧٩١) (١٤٧٤).

. . . .

= خلقت إلا زينة للسماء ورجومًا للشياطين وعلامات يهتدي بها) وقال قتادة رحمه الله تعالى: إن الله إنما جعل هذه النجوم لثلاث خصال جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدي بها، وجعلها رجومًا للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك، فقد قال برأيه، وأخطأ خطه، وأضاع نصيبه، وتكلَّف ما لا علم له به، وإن ناسًا جهلة بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة من أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ولعمري ما من نجم إلا ولد به الأحمر والأسود والطويل والقصير والحسن والدميم، ولو أن أحدًا علم الغيب لعلمه آدم الذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلّمه أسماء كل شيء)، وروي عن ابن عباس ﷺ أنه قال: (إن قومًا ينظرون في النجوم وفي حروف أبي جاد: أرى أولئك قومًا لا خلاق لهم). أخرجه ابن أبي شيبة في (المصنف) (٨/ ٤١٤) وعبد الرزاق (١١/ ٢٦) وهو صحيح. فهذه هي فوائد النجوم.

أولها: الاهتداء بها في ظلمات البر والبحر لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٩٧].

وقوله: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

والثاني: زينة للسماء الدنيا، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك: ٥].

وقوله: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ﴾ [الحجر: ١٦].

وقوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ . وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٦، ٧].

والثالث: رجومًا للشياطين، لقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ [الملك: ٥].

فهذه الثلاث خصال وفوائد للنجوم من زاد عليها فقد أخطأ وتعدى وظلم؛ كما قال قتادة رحمه الله تعالى[1]. راجع «شرح السنة» (١٢/ ١٨٣) و «معالم السنن» (الخطابي ٤/ ٢٢٩، ٢٣٠).

(١) أثر قتادة هذا، وهو الذي قدمناه مطولاً آنفًا، رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (حديث ٢١٥٤٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (حديث ١٢٤٩٤) (وكما في الدر المنثور: الأنعام ٩٧)، وعبد الرزاق والخطيب في (كتاب النجوم) كما عزاه السيوطي لهما في (الدر ٣/ ٦٣). وسنده =

والنبيُّ ﷺ لما أُسرى به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، لم يكن المقصود مجرد وصوله إلى الأقصى، بل المقصودُ ما ذكره الله بقوله: ﴿ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ [الإسراء: ١]، كما قال في سورة النجم: ﴿ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ . عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ . عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ . إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ . مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ . لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ ﴾ [النجم: ١٣ ـ ١٨] .

وما رآه مختصٌّ بالأنبياء، لا يكون ذلك لمن خالفهم، ولا يريه الله تعالى ما أراه محمدًا حين أسرى به.

وكذلك صلاتُه بالأنبياء في المسجد الأقصى، وركوبه على البراق؛ هذا كلُّه من خصائص الأنبياء.

بعض خوارق الشياطين لأوليائهم

والذين تحملهم الجن، وتطيرُ بهم من مكانٍ إلى مكان، أكثرهم لا يدري كيف حُمِل، بل يحمل الرجل إلى عرفات، ويرجع، وما يدري كيف حملته الشياطين، ولا يدَعُونه يفعل ما أمر الله به كما أمر الله به، بل قد يقف بعرفات من غير إحرام ولا إتمام مناسك الحج، وقد يذهبون به إلى مكة، ويطوف بالبيت من غير إحرام إذا حاذى الميقات ـ، وذلك واجبٌ في أحدِ قولي العلماء، ومستحبٌّ في الآخر ـ فيفوته المشروع، أو يوقعونه في الذنب، ويُغرونه بأن هذا من كرامات الصالحين.

وليس هو مما يكرم اللهُ به وليّه، بل هو مما أضلّته به الشياطين، وأوهمته أن ما فعله قربة وطاعة، أو يكون صاحبه له عند الله منزلة عظمية.

وليس هو قربةٌ وطاعةٌ، وصاحبه لا يزداد بذلك منزلة عند الله، فإن التقرب إلى الله إنما يكون بواجبٍ أو مستحب، وهذا ليس بواجبٍ ولا

= صحيح. ورواه أبو الشيخ في (العظمة حديث ٧٠٢) مطولاً، وقد رواه البخاري في صحيحه معلقًا ٦/ ٢٩٥ وهذا استفدناه من محقق العظمة جزاه الله خيرًا؛ قال: وأخرجه عبد بن حميد في تفسيره (كما في فتح الباري ٦/ ٢٩٥) من طريق آخر عن شيبان عن قتادة به مطولاً.

مستحب، بـل يُضلّون صاحبه، ويصدونه عن تكميل مـا يحبه الله منه؛ من عبادته، وطاعـته، وطاعة رسوله، ويوهمونـه أن هذا من أفضل الكرامات، حتى يبقى طالبًا له، عاملاً عليه.

وهم بسبب إعانتهم له على ذلك، قـد استعملوه في بعض ما يريدون، مما ينقص قدره عنـد الله، أو وقوعه في ذنوب، وإن لم يعـرف أنها ذنوب؛ فيكون ضـالاً ناقصًـا، وإن غُفِـر له ذلك لعدم علمـه؛ فإنه نقصُ درجـته، وخفضُ منزلته بذلك الذي أوهموه أنه رَفَع درجته وأعلا منزلته.

وهذا من جنس ما يفـعله السحرة، فإن السـاحر قد يصعـد في الهواء، والناس ينظرونه.

وقد يركَبُ شيئًـا من الجمادات؛ إما قصبة، وإما خـابية، وإما مكنسة، وإما غير ذلك؛ فيصعد به في الهواء، وذلك أن الشياطين تحمله.

وتفـعلُ الشيـاطين هذا ونحوه بكثـيرٍ من العـباد والضـلال؛ من عـباد المشركين، وأهل الـكتاب والضُلاّل من المسلـمين؛ فتحـملهم من مكانٍ إلى مكان.

وأهل الكتاب والضـلال من المسلمين، فيحـملهم من مكان إلى مكان. وقد يرى أحدهم بما يركبه إما فـرس، وإما غيره، وهو شيطانٌ تصور له في صورة مركوب.

وقد يرى أنه يمشي في الهواء من غير مركوب، والشيطان قد حمله.

والحكاياتُ في هذا كـثيـرةٌ معروفـةٌ عند من يعرف هذا البـاب، ونحن نعرف من هذا أمورًا يطول وصفها.

وكذلك المشي على الماء: قد تجعل له الجنُّ ما يمشي عليه، وهو يظن أنه يمشي على الماء. وقـد يُخيلون إليه أنه التـقى طرفا النهـر ليعبُـر، والنهر لم

يتغير في نفسه، ولكن خيلوا إليه ذلك. وليس في هذا - ولله الحمد - شيءٌ من جنس معجزات الأنبياء.

كرامات الأولياء من جهة السبب والغاية

وقد يمشي على الماء قوم بتأييد الله لهم، وإعانته إياهم بالملائكة؛ كما يحكى عن المسيح، وكما جرى للعلاء بن الحضرمي[1]، ولأبيْ مسلم الخولاني، في عبور الجيش، وذلك إعانة على الجهاد في سبيل الله، كما يؤيد الله المؤمنين بالملائكة، ليس هو من فعل الشياطين. **والفرق بينهما** من جهة السبب، ومن جهة الغاية.

أما السبب: فإن الصالحين يُسمون الله، ويذكرونه، ويفعلون ما يحبه الله؛ من توحيده، وطاعته، فييسر لهم بذلك ما ييسره، ومقصودهم به: نصر الدين، والإحسان إلى المحتاجين.

وما تفعله الشياطين يحصل بسبب الشرك، والكذب، والفجور. والمقصود به: الإعانة على مثل ذلك.

والجن فيهم مسلمٌ وكافر، فالمسلمون منهم يعاونون الإنس المسلمين، كما يعاون المسلمون بعضهم بعضًا، والكفار مع الكفار.

□ **والجنُّ الذين يطيعون الإنسَ، وتستخدمهم الإنس ثلاثة أصناف:**

أعلاها: أن يأمروهم بما أمر الله به، ورسله؛ فيأمرونهم بعبادة الله وحده، وطاعة رسله؛ فإن الله أوجب على الجن طاعة الرسل، كما أوجب ذلك على الإنس، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُم مِّنَ الإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُم مِّنَ الإِنسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ. وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ. يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ

---

(١) قد تقدم (ص ٩٥).

يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ . ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ . وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٨ ـ ١٣٢]؛ فالرسل تكون من الإنس إلى الثقلين، والنذر من الجن باتفاق العلماء.

هل يكون من الجن رسلاً

○ **واختلفوا**: هل يكون في الجن رسل؟ والأكثرون على أنه لا رسل فيهم[1]، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ [يوسف: ١٠٩] .

وعن الحسن البصري قال: «لم يبعث الله نبيًا من أهل البادية، ولا من

---

(١) وأجاب على ذلك أيضًا العلامة المحقق ابن القيم رحمه الله تعالى في كتابه «طريق الهجرتين» (ص٦١٤، ٦١٥، ٦١٧) فقال:

(ولما كان الإنس أكمل من الجن وأتم عقولاً، وازدادوا عليهم بثلاثة أصناف أخر ليس شيء منها للجن، وهم: الرسل والأنبياء والمقربون، فليس في الجن صنف من هؤلاء، بل حليتهم الصلاح، وذهب شذاذ من الناس إلى أن فيهم الرسل والأنبياء محتجين على ذلك:

● بقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

● وبقوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩].

وقد قال الله تعالى: ﴿رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [النساء: ١٦٥].

ثم قال ابن القيم:

وهذا قول شاذٌ لا يلتفت إليه ولا يعرف به سلف من الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام.

● وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠].

لا يدلُّ على أن الرسل من كل واحدة من الطائفتين، بل إذا كانت الرسل من الإنس، وقد أمرت الجن باتباعهم صح أن يقال للإنس والجن: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾، ونظير هذا أن يقال للعرب والعجم: ألم يجئكم رسل منكم يا معشر العرب والعجم، =

. . . .

= فهذا لا يقتضي بأن يكون من هؤلاء رسل ومن هؤلاء[١]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ [نوح: ١٦]، وليس في كل سماء قمر، وقوله تعالى: ﴿وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]، فالإنذار أعم من الرسالة، والأعم لا يستلزم الأخص، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٢]. فهؤلاء نُذر، وليسوا برسل. قال غير واحد من السلف: الرسل من الإنس، وأما الجن ففيهم النذر، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾ [يوسف: ١٠٩] فهذا يدل على أنه لم يرسل جنيًا ولا امرأة ولا بدويًا، وأما تسميته الجن رجالاً في قوله: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ٦]، فلم يطلق عليهم الرجال، بل هي تسمية مقيدة بقوله: ﴿مِّنَ الْجِنِّ﴾ فهم رجالٌ من الجن، ولا يستلزم ذلك دخولهم في الرجال عند الإطلاق، كما تقول: «رجال من حجارة، ورجال من خشب ونحوه»[٢]. اهـ.

● **وقال صاحب «شرح الطحاوية»** ص (٧٠) ط دار أولى النهى: (.. والرسل من =

---

(١) قال الطحاوي في «المشكل» (٥/ ٣٦١): والعرب قد تخاطب بمثل هذا على جماعة، ثم ترده إلى بعضهم دون بقيتهم، فمن ذلك قول الله عز وجل: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فكان الخطاب في ذلك بذكر الجن والإنس، ومعقول أن الرسل من الإنس، لا من الجن) اهـ.

(٢) قلت: ومما يستدل به أيضًا على أن الله لم يرسل من الجن رسلاً قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ أي ومن الناس رسلاً ولم يقل الله عز وجل ومن الجن أو ما شابه ذلك، والعلم عند الله.

وقد اعترض عليَّ معترض بقول الله تعالى ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ . مَلِكِ النَّاسِ . إِلَٰهِ النَّاسِ . مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ . مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ فالجواب من وجهين:

الأول: أنها جاءت مقيدة، ولم يُدخلهم في جملة «الناس» فهم ناس من الجن، ولا يلزم من ذلك دخولهم في الناس عند الإطلاق.

والثاني: عطف «الجنة» على «الناس» مما يدل على التغاير بينهما وقد قال تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣].

. . . .

= الإنس فقط، وليس من الجن رسول، كذا قال مجاهد وغيره من السلف والخلف، وقال ابن عباس: الرسل من بني آدم، ومن الجن نذر).

● **وقال الحافظ ابن كثير** ـ رحمه الله تعالى ـ (تفسير سورة الأنعام آية ١٣٠) في قوله تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ**﴾ أي: من جملتكم، والرسل من الإنس فقط، وليس من الجن رسل كما قد نصَّ على ذلك مجاهد[1] وابن جريج[2] وغير واحد من الأئمة من السلف والخلف، وقال ابن عباس: الرسل من بني آدم ومن الجن نذر. وحكى ابن جرير[3] عن الضحاك بن مزاحم أنه زعم أن في الجن رسلاً، واحتج بهذه الآية الكريمة، وفيه نظر لأنها محتملة وليست بصريحة. . ، وهي والله أعلم كقوله: ﴿**مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ . بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لاَّ يَبْغِيَانِ . فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ [الرحمن: ١٩ ـ ٢١] إلى أن قال: ﴿**يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ**﴾ [الرحمن: ٢٢] ومعلوم أن اللؤلؤ والمرجان إنما يستخرجان من الملح لا من الحلو.

وهذا واضحٌ ولله الحمد، وقد ذكر هذا الجواب بعينه ابن جرير.

● والدليل على أن الرسل إنما هم من الإنس:

● قوله تعالى: ﴿**إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ**﴾ [النساء: ١٦٣] ـ إلى قوله ـ ﴿**رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**﴾ [النساء: ١٦٥].

● وقوله تعالى عن إبراهيم: ﴿**وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ**﴾ [العنكبوت: ٢٧] فحصر النبوة والكتاب بعد إبراهيم في ذريته، ولم يقل أحد من الناس أن النبوة كانت في الجن قبْلَ إبراهيم الخليل، ثم انقطعت عنهم ببعثه.

● وقال تعالى: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الأَسْوَاقِ**﴾ [الفرقان: ٢٠].

● وقال: ﴿**وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلاَّ رِجَالاً نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ**﴾ [يوسف: =

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في («التفسير» ٧٩٠٣) من طريق: ابن أبي نجيح عن مجاهد به. وفي سماعه من مجاهد كلام.

(٢) أخرجه الطبري في («التفسير» ١٣٨٩٧) وسنده لا بأس به؛ إن كان شيخه ثقة.

(٣) في («التفسير» ١٣٨٩٦) قلت: وسنده ضعيف.

الجن، ولا من النساء»[١]. ذكره عنه طائفةٌ؛ منهم: البغوي[٢]، وابن الجوزي[٣].

وقال قتادة: «ما نعلم أن الله أرسل رسولاً قط، إلا من أهل القرى؛ لأنهم كانوا أعلم وأحلم من أهل العَمُود»[أ][٢]، رواه ابن أبي حاتم[٤]، وذكره

= ١٠٩]. ومعلوم أن الجن تبع للإنس في هذا الباب، ولهذا قال تعالى إخبارًا عنهم: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ. قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ. يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ. وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الأحقاف: ٢٩ ـ ٣٢].

وتكلّم الحافظ ابن كثير رحمه الله على هذه المسألة أيضًا في («تفسيره» ٤/ ١٧١) عند آية (الأحقاف: ٢٩) قائلاً: «ولا شك أن الجن لم يبعث الله تعالى منهم رسولاً» ثم ساق ما سبق من النصوص.

(١) لم أقف له على إسناد.

(٢) لم أره في «المعالم» عند تفسير آية يوسف (١٠٩).

(٣) في «الزاد» (٤/ ٢٩٥ المكتب الإسلامي). قلتُ: وأورده كذلك ابن أبي زمنين ت ٣٩٩هـ في «تفسيره» (٢/ ٣٤٢) ط الفاروق، والماوردي في («النكت والعيون» ٣/ ٨٨ تفسير).

(٤) في («التفسير» برقم: ١٢٠٥٢) (المكتبة العصرية) من طريق: أبي الجماهر. والطبري في («جامع البيان» برقم: ١٩٩٨٥ تفسير) من طريق: يزيد. كلاهما عن حميد عن قتادة به. وزاد السيوطي في («الدر») عزوه لأبي الشيخ أيضًا.

● قلت: وهو صحيح.

○ قال العلامة أحمد شاكر مُعلقًا:

«وقوله: (أهل العمود)؛ العمود (بفتح العين)؛ وهو الخشبة القائمة في وسط الخباء: =

(أ) في «المطبوع» وكذا في «خ»: «العمور» بالراء. والصواب بالدال؛ كما علّق الشيخ شاكر ـ رحمه الله ـ على الطبري.

طائفة[١].

إسلامُ الجنِّ واجتماعهم برسول الله ﷺ

ونبيُّنا محمدٌ ﷺ قد أُرسل إلى الثقلين[٢]، وقد آمن به مَنْ آمن مِنْ جنِّ نَصِيبين[٣]، فسمعوا القرآن، وولّوا إلى قومهم منذرين[٤]، ثم أتوا فبايعوه على الإسلام بشِعبٍ معروفٍ بمكة بين الأبطح، وبين جبل حراء، وسألوه الطعام لهم ولدوابهم، فقال: **«لكم كلُّ عظمٍ ذُكر اسم الله عليه، أوفر ما يكون لحمًا، وكلُّ بعرة علف لدوابكم»**؛ قال النبيُّ ﷺ: **«فلا تستنجوا بهما،**

= والأخبية بيوت أهل البادية كما يدلُّ عليه السياق هنا؛ وكما بينه ابن زيد في تفسير هذه الآية؛ إذ قال: «أهل القرى أعلم وأحلم من أهل البادية» (تفسير أبي حيان ٣٥٣١٥)» انتهى المراد.

(١) من المفسرين؛ كالماوردي في («النكت والعيون» ٣/ ٨٨ تفسير).

(٢) ولا خلاف بين الأمة في ذلك؛ كما قال الحافظُ ابن القيِّم في («مفتاح دار السعادة» ١/ ١٨٩).

● وقد قال تعالى مُخبرًا عن الجن: ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ [الأحقاف: ٣١].

● **قال الحافظ ابن كثير:**

«فيه دلالة على أنه تعالى أرسل محمدًا ﷺ إلى الثقلين الجن والإنس حيث دعاهم إلى الله تعالى، وقرأ عليهم السورة التي فيها خطابُ الفريقين وتكليفهم ووعدهم وهي سورة الرحمن» انتهى.

○ **قلت**: وسيأتي بيانُ هذا الأخير في كلام المصنف.

(٣) وخبر جنِّ نصيبين؛ في («صحيح البخاري» برقم: ٣٨٦٠) من حديث أبي هريرة مرفوعًا.

○ نصيبين: مدينة تقع بين دمشق والموصلْ، فتحها المسلمون سنة ١٧ هـ «معجم البلدان» للحموي (٥/ ٢٨٨). [الطويان].

(٤) كما في («الصحيحين» البخاري برقم: ٧٧٣) ومسلم رقم: ٤٤٩) من حديث ابن عباس مرفوعًا.

فإنما زادُ إخوانكم من الجن»[١]. والأحاديثُ بذلك كثيرةٌ مشهورة في الصحيح، والسنن، والمسند، وكتب التفسير، والفقه، وغيرها؛ وقد رَوى الترمذيُّ وغيرُهُ أنه: **قرأ عليهم سورة الرحمن**[٢]، وهي خطابٌ للثقلين.

---

(١) **حديث صحيح**:
وأخرجه مسلم في («الصحيح» حديث ٤٥٠ ص ٣٣٢) وأبو داود (٨٥ مختصرًا) والترمذي (٣٢٥٨) والنسائي في «الكبرى» (تحفة ٩٤٦٣) وأحمد (١/ ٤٣٦) وابن خزيمة في «صحيحه» (٦٢) والبيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٢٩) من حديث: داود ابن أبي هند عن عامر الشعبي.
قال:
سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: فقال علقمة: أنا سألت ابن مسعود، فقلت: هل شهد أحد منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب فقلنا: استطير أو اغتيل، قال: فبتنا بشرّ ليلة بات بها قومٌ فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال: فقلنا: يا رسول الله، فقدناك فطلبناك فلم نجدك فبتنا بشرِّ ليلة بات بها قوم، فقال: **«أتاني داعي الجن، فذهبت معه، فقرأت عليهم القرآن»**، قال: فانطلق بنا، فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم، (وسألوه عن الزاد) فقال: **«لكم كل عظم ذكر اسم الله علي يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحمًا، وكل بعرة علف لدوابكم»**، فقال رسول الله ﷺ: **«فلا تستنجوا بهما، فإنهما طعام إخوانكم»**.
قوله: (استطير واغتيل) معنى استطير: طارت به الجن، ومعني اغتيل: قتل سرًا، والغيلة بكسر الغين هي: القتل في خفية. (النووي ٤/ ١٧٠).
● **قلتُ**: وقد رجَّح الترمذيُّ إرسالَ هذه اللفظة التي احتجَّ بها المصنفُ وهي قوله: (فلا تستنجوا بهما فإنهما طعامُ إخوانكم)؛ فانظر («سنن الترمذي» رقم ١٨) و («شرح النووي» ٤/ ١٧٠) وقد رجحها الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على الترمذي قائلاً: (والراوي قد يصلُ الحديثَ وقد يرسلُه) ا.هـ. قلت: ولهذه اللفظة شاهدٌ في («صحيح البخاري» رقم: ٣٨٦٠) بلفظ: «هما من طعام الجن....».
(٢) ● **محتملٌ للتحسين**؛ وقد ورد من حديث جابر وابن عمر رضي الله عنهم.
● **أما حديث جابر**.
=

. . . .

= فأخرجه الترمذي في («السنن» ٣٢٩١) والحاكم في («المستدرك» ٢/ ٤٧٣) والبيهقي في («الدلائل» ٢/ ٢٣٢) و («الشعب» ٤٤١٧) والواحدي في («الوسيط» ٤/ ٢١٩) وأبو الشيخ في («العظمة» ٥/ ١١٠٦) (ص ١٦٦٦) وأبو نعيم الأصبهاني في («أخبار أصبهان» ١/ ١٨١) وابن عديٍّ في «الكامل» ٣/ ٢١٩) وهو في («الشكر» لابن أبي الدنيا ص: ٢٤، ٢٥) وزاد السيوطي في «الدر» عزوه لابن المنذر وابن مردويه من طريق: الوليد بن مسلم ومروان بن محمد.

كلاهما عن زهير بن محمد العنبري عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال: خرج رسول الله ﷺ على أصحابه فقرأ عليهم سورة الرحمن من أولها إلى آخرها، فسكتوا؛ فقال: **«لقد قرأتها على الجن ليلة الجنّ فكانوا أحسن مردودًا منكم،** كنت كلّما أتيت على قوله: ﴿ **فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**﴾ [الرحمن: ١٣] قالوا: لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد».

قال الحاكم:

«صحيحٌ على شرط الشيخين ولم يخرجاه» ووافقه الذهبي.

قلت: وليس كما قالا؛ فالذهبي قد أورده في («الميزان» ٢/ ٨٤، ٨٥) في مناكير زهير ابن محمد فقال: «تفرد به هشام بن عمار عن الوليد؛ قال ابن عدي: سرقه جماعة فحدثوا به عن الوليد؛ منهم: سليمان بن أحمد الواسطي، وعلي بن جميل الرقي، وعمرو بن مالك البصري [1] ، وبركة ابن محمد الحلبي» ا.هـ.

● **قال ابن رجب في («شرح علل الترمذي»** ٢/ ٧٧٩):

«والحاكم يخرج من روايات الشاميين عنه ـ يعني عن زهير ـ كثيرًا ، كالوليد بن مسلم وعمرو بن أبي سلمة ثم يقول: صحيح على شرطهما وليس كما قالا» ا.هـ.

●● **وقال الدارقطنيُّ في «الأفراد»** (كما في «الأطراف» للمقدسي ٢/ ٣٨٨) : «غريب من حديثه عنه، تفرد به زهير بن محمد، وتفرد به الوليد بن مسلم عنه» .

○ **قلتُ:** وقد توبع الوليد بن مسلم كما تقدم؛ فتابعه مروان بن محمد؛ ولكن لعلّ رواية الوليد هي المحفوظة؛ ولذلك قال ابن عدي عن هذه الطريق: «هذا لا يعرف إلا =

---

(١) أشار ابن كثير في («التفسير» ٤/ ٢٦٩ الرحمن) إلى هذه الرواية وعزاها لأبي بكر البزار وقال: «عن عمرو بن مالك عن الوليد بن مسلم».

. . . .

= بهشام بن عمار» يعني عن الوليد. وقال الترمذي عقب إخراجه للحديث: «هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرفه إلا من حديث الوليد ابن مسلم عن زهير بن محمد. قال ابن حنبل: كان زهير بن محمد الذي وقع بالشام هو الذي يُروى عنه بالعراق؛ كأنه رجلٌ آخر قلبوا اسمه» يعني: لما يروون عنه من المناكير، وسمعت محمد بن إسماعيل البخاري يقول: أهل الشام يرون عن زهير بن مُحمد مناكير ؛ وأهل العراق يرون عنه أحاديثُ مقاربة».

● وفي («شرح علل الترمذي» ص: ٣٣٥ عالم الكتب) : «قال البخاري عن (زهير) : «روي عنه الوليد بن مسلم مناكير عن ابن المنكدر» انتهى ملخصًا.

●قلتُ: وعلى كلٍّ فمروان وهو ابن محمد بن حسان الطاطري. والوليد كلاهما شاميٌّ، ورواية الشاميين عن زهير بن محمد الخراساني منكرة؛ قال ابن رجب (٢/ ٧٧٧) : «وقد بلغ الإمام أحمد بروايات الشاميين عنه إلى أبلغ من الإنكار، قال أحمد في رواية الأثرم: «الشاميون يروون عنه أحاديث منكرة».

● ولذلك قال المباركفوري في («تحفة الأحوذي» ٩/ ١٧٩):

«حديث جابر هذا رواه الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد ؛ وهو من أهل الشام؛ ففي الحديث ضعف؛ لكنَّ له شاهدًا من حديث ابن عمر. أخرجه ابن جرير («التفسير» ٣٢٩٢٨) والبزار («كشف» ٢٢٦٩) والدارقطني في الأفراد (كما في («الأطراف» للمقدسي ٣١٧٣) وغيرهم. وصحح السيوطي إسناده كما في «فتح البيان» ا.هـ . قلت: وتصحيح السيوطي لسنده في «الدرالمنثور» .

وعزاه لابن المنذر وابن مردويه ؛ وأخرجه الخطيب أيضًا في («التاريخ» ٤/ ٣٠١) كلهم من طريق: محمد بن عباد بن موسى وعمرو بن مالك البصري كلاهما عن يحيى بن سليم الطائفي عن إسماعيل بن أمية عن نافع عن ابن عمر مرفوعًا. وقد حكم عليه الدارقطني في الأفراد بالغرابة؛ وقال الحافظ في («مختصر زوائد البزار» ٢/ ١١٠، ١١١) :

«وكلهم ثقات إلا شيخه ـ يعني شيخ البزار ـ فقد ضعفه الجمهور» يقصد عمرو بن =

كفّار الجن يدخلون النار باتفاق العلماء

وقد اتفق العلماءُ على أن كُفَّارهم يدخلون النار (١) ؛ كما أخبر بذلك في قوله: ﴿ قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [الأعراف: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [ص: ٨٥]، وقال: ﴿ لأَمْلأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ [هود: ١١٩]

وأما مؤمنوهم: فأكثر العلماء على أنهم يدخلون الجنة (٢) ، وقال

= مالك[1].

وقد قال في («التقريب») : «ضعيف» . قلتُ: وهو هنا متابعٌ من محمد بن عباد بن موسى؛ قال الحافظ في «التقريب» : «صدوقٌ يخطئ» . لكن المدار على يحيى بن سليم وهو من رجال الجماعة؛ لكن كما في «التقريب» : «صدوقٌ سيء الحفظ» . وقد وثقه بعض الحفاظ كابن معين وابن سعد والعجلي؛ وقد رماه الإمام أحمد بالتخليط في الأحاديث؛ كما في تهذيب ابن حجر.

○قلت: فلعلّ هذه الطريق تُقوى الطريق الأولى التي عند الترمذي؛ ومن ثمّ ففي («الصحيحة» ٥/ ١٨٤) للشيخ العلامة ناصر الدين قال: «الحديث بمجموع الطريقين لا ينزل عن رتبة الحسن. والله أعلم». ويظهر من كلام الحافظ ابن كثير في («التفسير» الأحقاف: ٣١) القولُ بتقويته، والله أعلم.

(١) وكما قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿ وَأَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُوْلَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾ [الجن: ١٤، ١٥].

(٢)● قال تلميذه ابن القيم في («مفتاح دار السعادة» ١/ ١٨٩) :

«اختلف علماء الإسلام في المسلم منهم ؛ هل يدخل الجنة ؟ فالجمهور على أن محسنهم في الجنة، كما أن مسيئهم في النار ؛ وقيل: بل ثوابُهم: سلامتهم من الجحيم، وأما الجنة فلا يدخلها أحدٌ من أولاد إبليس ، وإنما هي لنبي آدم وصالحي =

---

(١) واتهمه ابن عدل بسرقة الحديث؛ كما تقدم، ولعلّ ابن عدي يقصد رجلاً آخر غير هذا؛ فإنه في («الكامل» ٥/ ١٥٠) ترجم له وقال: «عمرو بن مالك النكري» وهذا رجلٌ آخر؛ وانظر «تهذيب ابن حجر» (٨/ ٨٣، ٨٤) وقال الذهبي في («الميزان» ٣/ ٢٨٥) : «عمرو بن مالك الراسبي البصري - لا النُكري - هو شيخ».

أقـوال العلماء في مـؤمني الجـن والجمهور على أنهم يدخلون الجنـة

طائفة: بل يصيرون ترابًا كالدواب، **والأول أصح**؛ وهو قول الأوزاعي، وابن أبي ليلى، وأبي يوسف، ومحمد، ونقل ذلك عن مالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وهو قول أصحابهم.

واحتجَّ عليه الأوزاعيُّ وغيرُهُ بقوله: ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا** ﴾ [الأنعام: ١٣٢] بعد ذكره أهل الجنة وأهل النار، من الجن والإنس، كما قال في سورة الأنعام [آية: ١٣٢]، وفي الأحقاف ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا** ﴾ [الأحقاف: ١٩] بعد ذكر أهل الجنة والنار. قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: «**درجات أهل النار تذهب سفولاً، ودرجات أهل الجنة تذهب صعودًا**»(١).

الجـن: مراتبهم وأنواعهم

فنبينا ﷺ هو مع الجن كما هو مع الإنس، والإنس معه إما مؤمن به، وإما مسلم له، وإما مسالمٌ له، وإما خائفٌ منه.

كذلك الجن منهم المؤمن به، ومنهم المسلم له مع نفاق، ومنهم المعاهد

= ذريته خاصة؛ وحكى هذا القول عن أبي حنيفة رحمه الله تعالى». ثم استُشهِد للجمهور بأدلة واحتجوا بها، ساقها ابن القيم: فلتراجع هناك.

ورجح مذهب الجمهور الحافظ ابن كثير رحمه الله في («التفسير» الأحقاف: ٣١) فقال: «والحقُّ أن مؤمنهم كمؤمني الإنس يدخلون الجنة، كما هو مذهب جماعة من السلف... وساق الآيات الدالة على ذلك وقال: وقد أفردت هذه المسألة في جزءٍ على حدة ولله الحمد والمنة».

وكذلك القرطبي في («الجامع» الأنعام: ١٣٢) وقال بعد قوله: ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا** ﴾: «وفي هذا ما يدلُّ على أن المطلع من الجن في الجنة والعاصي منهم في النار؛ كالإنس سواء. وهو أصح ما قيل في ذلك فاعلمه». ومعنى ﴿ **وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ** ﴾ أي: ولكل عامل بطاعةٍ درجاتٌ في الثواب، ولكل عامل بمعصية دركاتٌ في العقاب».

(١) أخرجه الطبري في («التفسير» ٣١٢٧٩) بإسنادٍ صحيح إلى عبد الرحمن بن زيد بن أسلم.

المسالم لمؤمني الجن، ومنهم الحربيُّ الخائف من المؤمنين [١]. وكان هذا أفضل مما أوتيه سليمان؛ فإن الله سخَّر الجن لسليمان تطيعه طاعة الملوك؛ فإن سليمان كان نبيًّا ملكًا، مثل داود ويوسف. وأما محمدٌ؛ فهو عبدٌ رسولٌ، مثل إبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام [٢].

وهؤلاءِ أفضلُ من أولئك.

القسم الأول: المحمود

o**فأولياءُ الله المتبعون لمحمد، إنما يستخدمون الجن كما يستخدمون الإنس في عبادة الله وطاعته، كما كان محمدٌ ﷺ يستعمل الإنس والجن، لا في غرضٍ له غير ذلك.**

القسم الثاني: المباح

o**ومن الناس** من يستخدمُ من يستخدمه من **الإنس في أمور مباحة**، كذلك فيهم من يستخدمُ الجن في أمورٍ مباحة، لكن هؤلاء لا يخدمهم الإنس والجن إلا بعوض، مثل أن يخدموهم كما يخدمونهم، أو يعينونهم على بعض مقاصدهم، وإلا فليس أحدٌ من الإنس والجن يفعل شيئًا إلا لغرض.

والإنس والجن إذا خدموا الرجل الصالح في بعض أغراضه المباحة؛ فإما أن يكونوا مخلصين يطلبون الأجر من الله، وإلا طلبوه منه؛ إما دعاؤه لهم، وإما نفعه لهم بجاهه، أو غير ذلك.

القسم الثالث: المذموم

والقسم الثالث: أن يستخدم الجن في أمور محظورة، أو بأسباب محظورة؛ مثل قتل نفس، وإمراضها بغير حق؛ ومثل منع شخص من الوطء؛ ومثل تبغيض شخص إلى شخص؛ ومثل جلب من يهواه الشخص

---

(١) كما قال تعالى مخبرًا عنهم: ﴿وَأَنَّا مِنَّا الصَّالِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١].

(٢) وقد تقدَّم كلامٌ نحوه (ص: ١٢٢).

إليه؛ فهذا من السحر.

وقد يقع مثلُهُ لكثيرٍ من الناس ولا يعرف السحر، بل يكون موافقًا للشياطين على بعض أغراضهم؛ مثل شرك، أو بدعة وضلالة، أو ظلم، أو فاحشة؛ فيخدمونه ليفعل ما يهوونه.

وهذا كثيرٌ في عباد المشركين، وأهل الكتاب، وأهل الضلال من المسلمين.

وكثيرٌ من هؤلاء لا يعرف أن ذلك من الشياطين، بل يظنه من كرامات الصالحين.

ومنهم من يعرفُ أنه من الشياطين، ويرى أنه بذلك حصل له ملكٌ، وطاعةٌ، ونيلُ ما يشتهيه من الرياسة والشهوات، وقتلُ عدوه؛ فيدخل في ذلك كما تدخل الملوك الظلمة في أغراضهم.

وليس أحدٌ من الناس تطيعه الجنُّ طاعةً مطلقة، كما كانت تطيعُ سليمان بتسخيرٍ من الله، وأمر منه من غير معاوضة، كما أن الطير كانت تطيعه، والريح؛ قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ . يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٢، ١٣].

والجنُّ كالإنس، فيهم المؤمن المطيع، والمسلم الجاهل، أو المنافق، أو العاصي، وفيهم الكافر.

وكلٌّ ضرب يميل إلى بني جنسه، والذي أعطاه الله تعالى لسليمان خارجٌ عن قدرة الجن والإنس؛ فإنه لا يستطيع أحدٌ أن يُسخر الجنَّ مطلقًا لطاعته، ولا يستخدم أحدًا منهم إلا بمعاوضة؛ إما عمل مذموم تحبُّه الجن، وإما قول

تخضع له الشياطين؛ كالأقسام، والعزائم[1] ؛ فإن كلَّ جني فوقه من هو أعلى منه، فقد يخدمون بعض الناس طاعة لمن فوقهم؛ كما يخدم بعض الإنس لمن أمرهم سلطانهم بخدمته لكتاب معه منه، وهم كارهون طاعته، وقد يأخذون منه ذلك الكتاب ولا يطيعونه، وقد يقتلونه، أو يُمرضونه، فكثيرٌ من الناس قتلته الجن.

سبب صرع الجن للإنس

كما يصرعونهم، والصرع لأجل الزنا، وتارة يقولون إنه آذاهم؛ إما بصب نجاسة عليهم، وإما بغير ذلك؛ فيصرعونه صرع عقوبة وانتقام.

وتارة يفعلون ذلك عبثًا؛ كما يعبث شياطين الإنس بالناس.

والجنُّ أعظم شيطنة [2] ، وأقل عقلاً، وأكثر جهلاً، والجني قد يحبُّ الإنسي، كما يحب الإنسيُّ الإنسيَّ، وكما يحب الرجلُ المرأةَ، والمرأةُ الرجلَ، ويغارُ عليه، ويخدمه بأشياء، وإذا صار مع غيره، فقد يعاقبه بالقتل وغيره، كلٌّ هذا واقعٌ.

ثم الذي يخدمونه: تارة يسرقون له شيئًا من أموال الناس، مما لم يُذكر اسم الله عليه، ويأتونه إما بطعام، وإما شراب، وإما لباس، وإما [نقود][أ] ، وإما غير ذلك.

خوارق الشياطين سببها الشرك والظلم

وتارة يأتونه في المفاوز بماء عذب وطعام وغير ذلك.

وليس شيءٌ من ذلك من معجزات الأنبياء، ولا كرامات الصالحين، فإن

---

(١) قال في («اللسان» ٢٩٣٢) : «والعزائم: الرُّقي . والعزيمة من الرقى : التي يعزم بها على الجن والأرواح».

(٢) قال في («القاموس المحيط» ص ١٥٦١) : «والشيطان كل عاتٍ متمرد من إنسٍ أو جنٍّ أو دابة».

(أ) من (خ) وفي «المطبوع»: «نقد».

ذلك إنما يفعلونه بسبب شركٍ وظلم وفاحشة.

وهو لو كان مباحًا لم يجز أن يفعل بهذا السبب، فكيف إذا كان في نفسه ظلمًا محرمًا، لكونه من الظلم، والفواحش، ونحو ذلك.

وقد يُخبرون بأمور غائبة مما رأوه وسمعوه، ويدخلون في جوف الإنسان؛ قال النبيُّ ﷺ: «**إنَّ الشَّيْطَانَ يَجري مِنَ الإنْسَانِ مَجْرَى الدَّم**»[1].

لكن إنما سلطانهم؛ كما قال الله: ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ . إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ**﴾

[النحل: ٩٩، ١٠٠]

ولما قال الشيطان: ﴿**رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ**﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠]. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ**﴾، ثم قال: ﴿**إِلَّا**﴾ أي: لكن ﴿**مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ . لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ**﴾

[الحجر: ٤٢ ـ ٤٤]

الشياطين تهرب من قراءة القرآن

فأهل الإخلاص والإيمان لا سلطان له عليهم، ولهذا يهربون من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة[2]، **ويهربون من قراءة آية الكرسي**[3]، **وآخر سورة البقرة**[4]، وغير ذلك من قوارع القرآن.

---

(١) حديث صحيح: أخرجه البخاريُّ في («الصحيح» ٢٠٣٥) ومسلم في («الصحيح» ٢١٧٥) من حديث صفية زوج النبي ﷺ مرفوعًا.

(٢) كما في حديث صحيح. أخرجه مسلم في («الصحيح» ٧٨٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

(٣) كما في حديث صحيح. أخرجه البخاري في («الصحيح» ٢٣١١، ٥٠١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا في سياقٍ طويل.

(٤) كما في حديث صحيح. أخرجه البخاري في («الصحيح» ٥٠٠٩) ومسلم في =

ومن الجنِّ من يُخبر بأمور مستقبلة لـلكهان، وغير الكهان، مما يسترقونه من السمع(١).

والكهانة كانت ظاهرة كـثيرةً بأرض العرب، فلما ظهر التـوحيد هربت الشياطين وبطلت أو قلت.

الشياطين تظهر في المواضع التي يخفى فيها أثر التوحيد وظهوره

ثم إنها تظهر في المواضع التي يخفى فيها أثر التوحيد.

وقد كان حول المدينـة بعد أن هاجر النبيُّ ﷺ كُهَّان يتحـاكمون إليهم، وكان [أبو بردة بن نيار](أ) كاهنًا (٢)، ثم أسلم بعد ذلك، وهو مِنْ أسلم.

والأصنام لها شياطين كانت تتراءى للسدنة أحيانًا، وتكلِّمهم أحيانًا.

قال أبيُّ بن كعب: «مع كلِّ صنم جنية».

وقال ابن عباس: «في كلِّ صنم شيطان، تتراءى للسدنة فتكلِّمُهم»(٣).

= («الصحيح» ٨٠٨) من حديث أبي مسعود البدري مرفوعًا.

○ وانظر كتاب شيخنا أبي عبد الله علي المغـربي («الصحيح المسند من فضائل الأعمال والأوقات والأمكنة» ٢/ ٢١٦ ـ ٢٢٤) فـفيـه جملةٌ صالحـة طيبة مـن الأحاديث التي تشفي الفؤاد في هذا الباب.

(١) وقد تقدّم إيضاحُ ذلك في صفحاتِ هذا الكتاب مرارًا (ص: ١٠٨).

(٢) وسنده صحيح؛ وقد تقدم (ص: ٥٧٢).

● قلت: وليس كما جاء في نسخة الفقي والطويان أنه أبو بردة بن نيار؛ والصوابُ أنه: أبو برزة برزة الأسلمي؛ كما في مصادر التخريج؛ كما مرّ في هذا الكتاب.

(٣) ●ورد نحـوه في («أخبـار مكة» للأزرقي) (ص: ١٢٦) من طـريق: الكلبي عن أبي صالح عن ابن عـباس. وأورده ابن الجوزي في رسالته «الـفرق الضالة» (ص ٩٨، ٩٩ بتحقيقي) قـال: قال هشام ـ يعني ابن مـحمد بن السائب الكلبي ـ وحـدثني أبي عن =

(أ) هكذا في «المطبـوع» و «خ» وهو خطأ؛ فـالصـواب أنـه أبو برزة الأسلمي وليس أبـا بردة بن دينار وكلاهما صحابي.

والشياطين ـ كما قال الله ـ تقترن بما يجانسها؛ بأهل الكذب والفجور، قال تعالى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣] .

فكيف يجوز أن يقال: إن مثل هذا يكون معجزة لنبي، أو كرامة لولي؟! وهذا يناقضُ الإيمان ويضاده! والأنبياء والأولياء أعداء هؤلاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] .

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لاَّ تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ . وَأَنِ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ . وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلاًّ كَثِيراً أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾ [يس: ٦٠ ـ ٦٢] .

وهذا يُظهر الفرق بين أخبار الأنبياء عن الغيب ما لا سبيل لمخلوق إلى علمه إلا منه كما قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا . إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا . لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ [الجن: ٢٦ ـ ٢٨] .

فقوله: ﴿عَلَىٰ غَيْبِهِ﴾: هو غيبه الذي اختُصَّ به.

وأما ما يعلمه بعض المخلوقين؛ فهو غيبٌ عمن لم يعلمه [(١)] ، وهو شهادةٌ لمن علمه.

فهذا أيضًا تُخبر منه الأنبياء بما لا يمكن الشياطين أن تُخبر به، كما في

= صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أن العزى كانت شيطانة تأتي ثلاث سمرات ببطن نخلة. . .إلخ» وسنده واه؛ لكن صحَّ ذلك إلى أبي الطفيل؛ كما عند النسائي في («الكبري» ١١٥٤٧) وأبي يعلى في («المسند» ٢/ ١٩٢). حين أرسل النبي ﷺ خالد ابن الوليد لهدم العزى.

(١) أي : غيبٌ نسبي.

إخبار المسيح بقوله: ﴿وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾ [آل عمران: ٤٩]؛ فإنَّ الجنَّ قد يخبرون بما يأكله بعض الناس، وبما يدخرونه، لكن الشياطين إنما تتسلط على من لا يذكر اسم الله؛ كالذي لا يذكر اسم الله إذا دخل، فيدخلون معه [١]، وإن لم يذكر اسم الله إذا أكل، فإنهم يأكلون معه[٢].

وكذلك إذا ادَّخر شيئًا، ولم يذكر اسم الله عليه، عرفوا به، وقد يسرقون بعضه [٣]، كما جرى هذا لكثيرٍ من الناس.

وأما من يذكر اسم الله على طعامه، وعلى ما يختاره، فلا سلطان لهم عليه، لا يعرفون ذلك، ولا يستطيعون أخذه.

والمسيحُ عليه السلام كان يُخبرُ المؤمنين بما يأكلون وما يدَّخرون مما ذُكر اسم الله عليه، والشياطين لا تعلم به.

ولهذا من تكونُ أخباره عن شياطين تُخبره، لا يكاشف[٤] أهل الإيمان

---

(١) كما ثبت في («صحيح البخاري» ٣٢٨٠، ٣٣٠٤) و («صحيح مسلم» حديث ٢٠١٢ رقم ٩٧) من حديث جابر مرفوعًا وفيه (... **وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله. فإن الشيطان لا يفتح بابًا مغلقًا**). وفي رواية أخرى عند مسلم (٢٠١٨) (**وإذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه** قال الشيطان **لا مبيت لكم ولا عشاء وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله** قال الشيطان: **أدركتم المبيت. وإذا لم يذكر الله عند طعامه.** قال: **أدركتم المبيت والعشاء**».

(٢) كما في («صحيح مسلم» برقم: ٢٠١٧) من حديث حذيفة مرفوعًا وفيه (**إن الشيطان يستحلُّ الطعام أن لا يُذكر اسم الله عليه..**). وفي («صحيح مسلم» رقم: ٢٠٣٣/ ١٣٥) نحوه عن جابر مرفوعًا.

(٣) كما وقع لأبي هريرة حين وكلّه النبي ﷺ بحفظ زكاة الفطر؛ وحديثه مرَّ عزوه عند البخاري في («الصحيح» ٢٣١١ وغيره) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) في («القاموس»): «الكاشفة الإظهار». وإبداء ما يُواري.

والتوحيد وأهل القلوب المنورة بنور الله، بل يهرب منهم ، ويعترف أنه لا يكاشف هؤلاء وأمثالهم.

خوارق الشياطين لأوليائهم لا تظهر أمام أهل القرآن والإيمان

وتعترف الجن والإنس الذين خوارقهم بمعاونة الجن لهم أنهم لا يمكنهم أن يُظهروا هذه الخوارق بحضرة أهل الإيمان والقرآن، ويقولون: أحوالنا لا تظهر قدَّام الشرع والكتاب والسنة، وإنما تظهر عند الكفار والفجار؛ وهذا لأن أولئك أولياء الشياطين، ولهم شياطين يعاونون شياطين المخدومين، ويتفقون على ما يفعلونه من الخوارق الشيطانية؛ كدخول النار مع كونها لم تَصِر عليهم بردًا وسلامًا، فإن الخليل لما أُلقي في النار، صارت عليه بردًا وسلامًا.

وكذلك أبو مسلم الخولاني، لما قال له الأسود العنسي المتنبي: أتشهد أني رسول الله ؟ قال: ما أسمع قال: أتشهد أن محمدًا رسول الله؟ قال: نعم. فأمر بنار، فأُوقدت له، وألقي فيها، فجاؤوا إليه، فوجدوه يصلي فيها، وقد صارت عليه بردًا وسلامًا، فقدم المدينة بعد موت النبيِّ ﷺ، وأخذه عمر، فأجلسه بينه وبين أبي بكر، وقال: الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة مُحَمَّدٍ من فُعل به كما فعل بإبراهيم[1] .

وأما إخوان الشياطين: فإذا دخلت فيهم الشياطين، فقد يدخلون النار، ولا تحرقهم؛ كما يُضرب أحدهم ألف سوط، ولا يحس بذلك؛ فإن الشياطين تلتقي ذلك.

طرق خروج الجن من الإنس

وهذا أمرٌ كثيرٌ معروفٌ، قد رأينا من ذلك ما يطول وصفه، وقد ضربنا نحن من الشياطين في الإنس ما شاء الله، حتى خرجوا من الإنس، ولم يعاودوه.

---

(١) تقدَّم هذا الأثر؛ وهو حسنٌ إن شاء الله؛ (ص: ٩٨).

وفيهم من يخرج بالذكر والقرآن.

وفيهم من يخرجُ بالوعظ والتخويف.

وفيهم من لا يخرج إلا بالعقوبة؛ كالإنس[1].

الشياطين يخافون الرجل الصالح أعظم مما يخافون فجار الإنس

فهؤلاء الشياطين إذا كانوا مع جنسهم، الذين لا يهابونهم، فعلوا هذه الأمور. وأما إذا كانوا عند أهل إيمان وتوحيد، وفي بيوت الله التي يُذكر فيها اسمه، لم يجترئوا على ذلك، بل يخافون الرجل الصالح أعظم مما يخافه فُجَّار الإنس، ولهذا لا يمكنهم عملُ سماعِ المكاء والتصدية[2] في

(١) انظر «زاد المعاد» لابن القيم (٤/ ٦٨) في هديه ﷺ في علاج الصرع **فقد قال العلامة ابن القيم:**

«وشاهدت شيخنا يُرسِل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هذا لا يحل لك، فيُفيق المصروعُ، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردة فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يحس بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مرارًا.

وكان كثيرًا ما يقرأ في أذن المصروع: ﴿ **أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ** ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وحدثني أنه قرأها مرة في أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومدّ بها صوته قال: فأخذ له عصا، وضربته بها في عروق عنقه حتى كلّت يداي من الضرب، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضرب. ففي أثناء الضرب قالت: أنا أحبه. فقلتُ لها: هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحجَّ به. فقلت لها: هو لا يريد أن يحج معك، فقالت: أنا أدعه كرامة لك، قال: قلتُ: لا ولكن طاعة لله ورسوله، قالت: فأنا أخرج منه، قال: فقعد المصروع يلتفت يمينًا وشمالاً، وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ، قالوا له: وهذا الضرب كلُّه؛ فقال: وعلى أي شيء يضربني الشيخ ولم أذنب، ولم يشعر بأنه وقع به ضربٌ ألبتة». انتهى.

(٢) المكاء: الصفير. والتصدية: التصفيق باليد. انظر «مختار الصحاح» (ص: ١٧٥) و(٢٨٧) قلت: وهاتان الكلمتان مذكورتان في قوله عن المشركين: ﴿ **وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً** ﴾ [الأنفال: ٣٥].

أماكن الشياطين

المساجد المعمورة بذكر الله، ولا بين أهل الإيمان والشريعة المتبعين للرسول. إنما يمكنهم ذلك في الأماكن التي يأتيها الشياطين؛ كالمساجد المهجورة، والمشاهد، والمقابر، والحمامات، والمواخير[١].

فالمواضع التي نهى النبي ﷺ عن الصلاة فيها؛ كالمقبرة[٢]،

---

(١) المواخير؛ قال في («القاموس المحيط» ص ٦٠٩) : «الماخور : بيتُ الريبة ومن يلي ذلك البيت ويقودُ إليه ، مُعرّب «مَنْ خُور» أو عربية من «مخرتُ السفينة» لتردد الناس إليه».

(٢) كما ثبت في («الصحيحين» البخاري ٤٣٢ ومسلم ٧٧٧) من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «اجعلوا في بيوتكم من صلاتكم، ولا تتخذوها قبورًا» وفي حديث أبي هريرة عند مسلم (٧٨٠) بلفظ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر» **قال الحافظ في («الفتح»** ١/ ٦٣٠) : «وقد نقل ابن المنذر عن أكثر أهل العلم أنهم استدلوا بهذا الحديث على أن المقبرة ليست بموضع الصلاة، وكذا قال البغوي في «شرح السنة» والخطابي» انتهى.

قلت: وقد بوّب البخاريُّ له بباب «كراهية الصلاة في المقابر» . قال الحافظ: «وكأنه أشار إلى أن ما رواه أبو داود والترمذي في ذلك ليس على شرطه، وهو حديث أبي سعيد الخدْري مرفوعًا «الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام» رجاله ثقات ، لكن اختلف في وصله وإرساله، وحكم مع ذلك بصحته الحاكم وابن حبان».

○ **قلت:** وقد أخرجه الدارميُّ في («السنن» ١٣٩٠) وقال : «الحديث كلهم أرسلوه» . وهو في («سنن أبي داود» برقم ٤٩٢) . والترمذي (٣١٧) وابن ماجه (٧٤٥) وأحمد (١١٧٨٤) و (١١٧٨٨) والحاكم (١/ ٢٥١) والبيهقي في «الكبرى» (٢/ ٤٣٤، ٤٣٥).

قال الترمذي: «وهذا حديثٌ فيه اضطرابٌ» ثم صوّب المرسل. وقال الدارقطني في «العلل» : «المرسل المحفوظ» ورجّح البيهقيُّ المرسل. وقال النوويُّ: «ضعيف» كذا في («النيل» للشوكاني ٢/ ١٣٦) وقال الحافظ في («البلوغ» ص: ٥٢) : «رواه الترمذي وله علة» . وقد تعقب ابنُ التركماني في («الجوهر النقي» (٢/ ٤٣٤) الإمامَ البيهقي في إعلاله لهذا الحديث ؛ ونافح الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على («سنن الترمذي» ٢/ ١٣٣) منافحة شديدة؛ وردّ كلام الترمذيِّ ثم البيهقي بشدة؛ ومالَ إلى تصحيح =

وأعطان الإبل(١)، والحمّام(٢) وغيرها، فتكون حال هؤلاء فيها أقوى؛ لأنها

= الحاكم وموافقة الذهبي له؛ حيث قد قال الحاكم: «هذه الأسانيد كلها صحيحة على شرط البخاري ومسلم ولم يخرجاه».

○ **قلت**: وهذا رأيُ العلامة الألباني؛ كما في («تمام المنة» ص: ٢٩٩) وقال في «الإرواء» (١/ ٣٢٠): «وأعله بعضهم بما لا يقدح؛ وقد أجبنا عن ذلك في «صحيح أبي داود» (٥٠٧) وذكرت له هناك طريقًا آخر صحيحًا هو في منجاة من العلة المزعومة، ولذلك قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أسانيده جيدة، ومن تكلَّم فيه فما استوفى طرقه» وقد أشار إلى صحته الإمام البخاري في («جزء القراءة» ص: ٤)» انتهى.

وانظر كلام محققي «مسند الإمام أحمد» (١٨/ ٣٠٨، ٣١٢) حيث لهم بعض الملاحظات المفيدة على هذا الحديث.

● **قلتُ**: وفي الباب عن عليٍّ؛ أخرجه أبو داود في («السنن» ٤٩٠) بإسناد منقطع؛ فأبو صالح الغفاري: سعيد بن عبد الرحمن روايته عن عليٍّ مرسلة. كما قال أبو زرعة («جامع التحصيل ص١٨٢) وابن يونس في («تاريخ مصر») كما في («التقريب»).

(١) ورد ذلك عن عدة من الصحابة؛ منهم: (أبو هريرة وجابر بن سمرة والبراء بن عازب وعمر وابن عمر وغيرهم).

* أما حديث أبي هريرة؛ فرواه الترمذيُّ في («السنن» ٣٤٨، ٣٤٩) وابن ماجه (٧٦٨) مرفوعًا بلفظ: «لا تصلوا في أعطان الإبل» وسنده صحيح.

●● وأما حديث جابر بن سمرة؛ فأخرجه مسلم في («الصحيح» ٣٦٠) أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ.. أصلي في مبارك الإبل؟ قال: «لا»: وراجع («الفتح» ١/ ٦٢٨) (حديث ٤٣٠) وفي «مسائل الإمام أحمد» رواية صالح ابنه (٧٧٠): «وسألته عمن صلّى في أعطان الإبل يعيد؟ قال: نعم يعيد إذا صلى في الموضع الذي تأوى إليه».

○ **قلت**: وقد ورد تعليلُ ذلك في ألفاظ أخرى وهو: «فإنها خلقت من الجن» وورد «من الشياطين» راجع «الثمر المستطاب» (١/ ٣٨٧).

● أما سائر الطرق المشار إليها؛ فهي عند أبي داود (٤٩٣) وابن ماجه (٧٦٤، ٧٤٧، ٧٦٩، ٧٧٠).

(٢) ورد في ذلك عدة أحاديث لا تخلو من مقالٍ وضعف؛ فمنها حديث أبي هريرة المتقدم

مواضع الشياطين؛ كالمجزرة[أ]، والمزبلة[1]، والحمام ونحو ذلك، بخلاف

«الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام» وهو معلٌ كما تقدم. وحديثُ ابن عمر عند = = الترمذي أيضًا (٣٤٦) و (٣٤٧) وضعفه، وابن ماجه (٧٤٦) وفيه: «نهى رسول الله ﷺ أن يصلي في سبعة مواطن - فذكر منها - المزبلة والمقبرة والحمام ومعاطن الإبل...» وهو ضعيفٌ؛ وراجع («النيل» للشوكاني ٢/ ١٣٢) (برقم ٦١٧) وراجع («الإرواء» رقم ٢٨٧). ومنها حديث عمر ابن ابن ماجه (٧٤٧) وسنده ضعيف؛ فنافع لم يسمع من عمر وفيه أبو صالح وهوكاتب الليث متكلّم فيه.

● وقد ذهب أحمد إلى عدم صحة الصلاة في الحمام، وذهب الجمهور إلى صحتها، ولكن مع كراهته، وبشرط طهارة المكان)؛ أما من رأى عدم صحة الصلاة فيه؛ كأحمد - رحمه الله - وهو رأيٌ أبي محمد ابن حزم وغيرهما؛ كالشوكاني والصنعاني؛ فقالوا: «حكمة المنع من الصلاة في الحمام أنه يكثر فيه النجاسات وقيل: إنه مأوى الشيطان» ؛ أما الجمهور، فتمسكوا بقول النبي ﷺ : «جُعلت لي الأرض مسجدًا... الحديث»، وحملوا النهي في قوله : (إلا المقبرة والحمام) على حمامٍ متنجس؛ انظر («النيل» للشوكاني ٢/ ١٢٨) و («السبل» للصنعاني ١/ ٢٢٦) .

(١) لا يثبت في النهي عن الصلاة فيما عدا المقبرة وأعطان الإبل أو الحمام - على تصحيح بعضهم -؛ لا يثبت في ما عدا ذلك شيءٌ فيما أعلم ؛ **قال مُحدِّث الشام في («تمام المنة»** ص: ٢٩٩): «ولا أعلم حديثًا صحيحًا في النهي عن الصلاة في المواطن الأخرى، ولا يجوز القول ببطلانها فيها إلا بنصٍ عنه ﷺ ؛ فليعلم» انتهى.

○ **قلت**: ولكنه - رحمه الله - ذكر من ذلك أيضًا في («الثمر المستطاب» ١/ ٣٩٣) : «كل موضع يأوى إليه الشيطان؛ كأماكن الفسق والفجور، وكالكنائس والبيع ونحو ذلك: لقوله ﷺ حين نزلوا في سفرهم وناموا عن صلاة الصبح: «ليأخذن كلُ رجلٍ برأسِ راحلته؛ فإن هذا منزلٌ حضرنا فيه الشيطان»؛ فلم يصلِّ فيه . الحديث أخرجه مسلم من رواية أبي هريرة ﷺ.. ثم قال: قال النووي في («المجموع» ٣/ ١٦٢): «الصلاة في مأوي الشيطان مكروهة بالاتفاق، وذلك مثل مواضع الخمر والحانة ومواضع المكوس ونحوها من المعاصي الفاحشة، والكنائس والبيع والحشوش ونحو ذلك، فإن صلّى في شيء من ذلك ولم يماس نجاسة بدنه ولا ثوبه صحت صلاته مع الكراهة».

(أ) كذا في «خ» وفي «المطبوع»: «كالماخورة».

الأمكنة التي ظهر فيها الإيمان والقرآن والتوحيد، التي أثنى الله على أهلها، وقال فيهم: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ. رِجَالٌ لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ. لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾

[النور: ٣٥ ـ ٣٨]

الأماكن والأزمان التي لا تسلط فيها الشياطين

فهذه أمكنةُ النور والصالحين والملائكة، لا تتسلط عليها الشياطين بكلٍّ ما تريد، بل كيدهم فيها ضعيف، كما أن كيدهم في شهر رمضان ضعيف؛ إذ كانوا فيه يُسلسلون[1]، لكن لم يبطل فعلهم بالكلية، بل ضَعُف، فشرهم فيه على أهل الصوم قليل، بخلاف أهل الشراب، وأهل الظلمات؛ فإن الشيطان هنالك مَحَالُّهم، وهم يحبون الظلمة، ويكرهون النور، ولهذا

---

(١) كما ثبت في («الصحيحين» البخاري حديث ١٨٩٩ ومسلم حديث ١٠٧٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دخل شهر رمضان فُتحت أبواب السماء، وغُلقت أبواب جهنم، وسلسلت الشياطين» وفي رواية: «وصفدت».

● **قال القرطبي صاحب «المفهم»** (كما في «الفتح» ٤/ ١٣٧) بعد حمله للحديث على ظاهره:

«فإن قيل: كيف نرى الشرور والمعاصي واقعة في رمضان كثيرًا فلو صفدت الشياطين لم يقع ذلك؟ فالجواب: أنها إنما تقل عن الصائمين الصوم الذي حوفظ علي شروطه وروعيت آدابه، أو المصفد بعض الشياطين وهم المردة، لا كلهم ـ كما تقدّم في بعض الروايات ـ أو المقصود تقليل الشرور فيه وهذا أمرٌ محسوس؛ فإن وقوع ذلك فيه أقل من غيره، إذ لا يلزم من تصفيد جميعهم أن لا يقع شر ولا معصية، لأن لذلك أسبابًا غير الشياطين كالنفوس الخبيثة، والعادات الخبيثة، والشياطين الإنسية».

ينتشرون بالليل؛ كما جاء في الحديث الصحيح(١)، ولهذا أمر الله بالتعوذ ﴿مِن شَرِّ غَاسِقٍ(٢) إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق: ٣].

وخوارقُ الجن؛ كالإخبار ببعض الأمور الغائبة؛ وكالتصرفات الموافقة لأغراض بعض الإنس: كثيرةٌ، معروفةٌ في جميع الأمم؛ فقد كانت في العرب كثيرة، وكذلك في الهند، وفي الترك، والفرس، والبربر، وسائر الأمم، فهي أمورٌ معتادةٌ للجن والإنس.

آيات الأنبياء خارجة عن مقدور الإنس والجن

وآياتُ الأنبياء ـ كما تقدَّم ـ خارجةٌ عن مقدور الإنس والجن؛ فإنهم مبعوثون إلى الإنس والجن، فيمتنع أن تكون آياتهم أمورًا معروفةً فيمن بعثوا إليه؛ إذ يقال: هذه موجودةٌ كثيرًا للإنس، فلا يختص بها الأنبياء، بل هذه الخوارق هي آيةٌ وعلامةٌ على فجورِ صاحبها وكذبهِ، فهي ضدٌّ آياتِ الأنبياء التي تستلزم صدق صاحبها وعدله.

خوارق الشياطين علامة على فجور أوليائهم

ولهذا يكون كثيرٌ من الذين تخدمُهم الشياطين من أهل الشياطين.

وهذا معروف لكثيرٍ ممن تخدمه الشياطين.

بل من طوائف المخدومين من يكونون كلُّهم من هذا الباب؛ كالبوبي[أ] الذي للترك، وأكثر المؤلَّهين من هذا الباب، وهم يصعدون بهم في الهواء

---

(١) كما ثبت في «صحيح البخاري» ٥٦٢٣) و «صحيح مسلم» ٢٠١٢) (٩٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه يقول: «قال رسول الله ﷺ: «إذا كان جنح الليل ـ أو ـ أمسيتم ـ فكفُّوا صبيانكم، فإن الشياطين تنتشر حينئذٍ... الحديث». وهناك لفظ آخر عند مسلم (٢٠١٣) عن جابر أيضًا.

(٢) قال في «مختار الصحاح» ص: ٢٢٢): «الغسق: أول ظلمة الليل؛ والغاسق: الليلُ إذا غاب الشفق وقوله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾، قال الحسن: هو الليل إذا دخل الليل، وقيل: «إنه القمر».

(أ) كذا، قال د: الطويان: ولعلها: «كالبوى» بالألف المقصورة. وأشار إلى كتاب «الصفدية» (١/ ١٩١).

ويدخلون المدن والحصون بالليل والأبواب مغلقة، ويدخلون على كثيرٍ من رؤساء الناس، ويظنون أن هؤلاء صالحون قد طاروا في الهواءِ، ولا يعرف أن الجن طارت بهم.

الفرق بين الأحوال الشيطانية والآيات النبوية

وهذه الأحوال الشيطانية تَبْطل، أو تَضْعف إذا ذُكر الله وتوحيده، وقرئت قوارع القرآن؛ لا سيما آية الكرسي[1]. فإنها تبطل عامة هذ الخوارق الشيطانية.

وأما آياتُ الأنبياء والأولياء فتقْوى بذكر الله وتوحيده .

والجنُّ المؤمنون قد يعينون المؤمنين بشيءٍ من الخوارق، كما يُعين الإنسُ ـ المؤمنونُ ـ للمؤمنين بما يمكنهم من الإعانة.

وما لا يكون إلا مع الإقرار بنبوة الأنبياء ، فهو من آياتهم، فوجوده يؤيد آياتهم، لا يُناقضها مع أن آيات الأنبياء التي يدعون أعلى من هذا ، وأعلى من كرامات الأولياء؛ فإن تلك هي الآيات الكبرى.

مَنْ أنكر كرامات الأولياء لا يستطيعون إنكار الدعوات المجابة والرؤيا الصادقة

والذين ذُكر عنهم إنكار كرامات الأولياء من المعتزلة وغيرهم ـ كأبي إسحق الإسفراييني[2] وأبي محمد بن أبي زيد[3]، وكما ذكر ذلك أبو محمد ابن حزم ـ لا ينكرون الدعوات المجابة ولا ينكرون الرؤيا الصادقة؛ فإن هذا متفقٌ عليه بين المسلمين؛ وهو أن الله تعالى قد يخصُّ بعض عباده بإجابة دعائه أكثر من بعض[4]، ويخص بعضهم بما يريه من المبشرات، وقد كان

---

(١) وقد تقدّمت ؛ ص (٦٩٦) الإشارة إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه في ذلك في « صحيح البخاري » .

(٢، ٣) تقدّمت الإشارة إلى أقوالهم (ص: ٩١) وهناك قال المصنف : «كأن في الحكاية عنهم غلطًا».

(٤) ومنهم أويس القرني؛ كما في («صحيح مسلم» ٢٥٤٢) عن عمر؛ وفيه أن النبي ﷺ قال عنه : «لو أقسم على الله لأبره».

سعد بن أبي وقاص معروفًا بإجابة الدعاء؛ فإنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**اللَّهُمَّ سَدِّدْ رَمْيَتَهُ وَأَجِبْ دَعْوَتَهُ**»(١). وحكاياته في ذلك مشهورة.

---

(١) **إرساله أصح**، ومعناه له شواهد سيأتي ذكرها.

والحديث له عدة ألفاظ وهي:

- اللهم سدد رميته - وفي رواية سهمه - وأجب دعوته، وفي رواية سهمه: (وحبّبه).
- اللهم استجب لسعد إذا دعاك.
- اتقوا دعوات سعد.

ومضمون هذه الألفاظ واحد وهو أن سعد بن أبي وقاص ﷺ مستجاب الدعوة، وله ألفاظ وروايات مطولة على هذا مصحوبة بقصة لكن ما أوردناه هو شاهدنا.

وقد أخرجه الترمذي (حديث ٣٧٥١) وابن حبان (الموارد حديث ٢٢١٥) والحاكم (المستدرك ٣/ ٤٩٩) وابن أبي عاصم (السنة حديث ١٤٠٨) والبزار (البحر ٢٥٧٩)، وأبو نعيم (الحلية ١/ ٩٢، ٩٣) من طريق جعفر بن عون عن إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عن سعد بن أبي وقاص عن رسول الله ﷺ.

وتابع جعفر بن عون على وصله جماعةٌ؛ منهم:

- موسى بن عقبة عند أبي نعيم في (الحلية ١/ ٩٣) والحاكم (٣/ ٥٠٠) وسندُهُ ضعيفٌ جدًا؛ ففي سنده إبراهيم بن يحيى الشجري وأبوه يحيى بن هانيء بن خالد الشجري.
- يحيى بن سعيد عند أبي نعيم في (أخبار أصبهان) ١/ ١٢١).

ورواه على الإرسال كذلك كما سيأتي. فلا تفرح.

هؤلاء رووا الحديث موصولاً عن إسماعيل بن أبي خالد به.

خالفهم جمعٌ كبير من الحفاظ، وهم:

- جعفر بن عون الذي رواه موصولاً في رواية.

وهنا رواه مرسلاً أيضًا كما عند البيهقي في (الدلائل ٦/ ١٨٩) وقال عقب الحديث: «وهذا مرسل حسن».

- وكيع بن الجراح عند أحمد في (فضائل الصحابة (١٣١٣)) وابن أبي شيبة في (المصنف ١٢/ ١٨) (١٢١٩٩).
- يحيى بن سعيد عند أحمد في (فضائل الصحابة حديث ١٣٠٨). =

. . . .

= ـ يزيد بن هارون عند ابن سعد في (الطبقات ٣/ ١/ ١٠١) (٣/ ١٤٢).
ـ زائدة.
ـ سفيان بن عيينة.
ـ هشيم. عند الدارقطني في (العلل ٤/ ٦٤٠)
ـ أبو أسامة.

ومن ثمَّ قال الدارقطني في «العلل» (٤/ ٣٧٧) (رقم: ٦٤٠) مرجحًا الإرسال:
(وخالفه ـ أي خالف جعفر بن عون ـ زائدة وسفيان بن عيينة وهشيم وأبو أسامة وحكّام فرووه عن إسماعيل عن قيس مرسلاً عن النبي ﷺ وهو المحفوظ) .اهـ.

ورجّح المرسل أيضًا الترمذي قائلاً عقب إخراجه الحديث الموصول:
(وقد روي هذا الحديث عن إسماعيل عن قيس أن النبي ﷺ قال: .... وذكره، وهذا أصح) اهـ.

فهذا الذي تطمئن إليه النفس أن جعفر بن عون تفرد به [1] (أي بالوصل) من دون الثقات، فيكون الصحيح الإرسال والله تعالى أعلم بالصواب.

● وللحديث طرق أخرى عن سعد ، فمنها:
ـ عن عائشة بنت سعد عنه عند البزار في (البحر الزخار كما في جزء سعد المحقق[2] ١٤٣)، وفي سنده متروك؛ كما قال الهيثمي في المجمع (٦/ ١١٣).
ـ عن عامر الشعبي عنه عند الطبراني في (الكبير ١/ ٣١٨) وفي سنده مجالد بن سعيد، وعامر ابن شراحيل الشعبي مدلس وقد قال : قيل لسعد بن أبي وقاص.

وقد عزاه السيوطي في (الخصائص ٢/ ٢٨٠) لابن عساكر من طريق قيس بن أبي حازم عن أبي بكر الصديق قال سمعت النبي ﷺ يقول لسعد... وذكره وأخرجه الطبراني في (المعجم الأوسط حديث ٤٠٨١) من طريق أبي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس به مرفوعًا. =

---

(١) وقد تقدم أن متابعة موسى بن عقبة له لا يفرح بها، ففي سندها ضعيفٌ شديد، وكذا متابعة يحيى ابن سعيد فمرة وصل ومرة أرسل وقد وافق الإرسال حفاظ. وبعضهم يرى أن هذا زيادة ثقة وهي مقبولة، خاصة وقد صرّح قيس بالسماع من سعد.

(٢) بتحقيق أبي إسحاق حفظه الله تعالى .

⊲ وقد ثبتَ في «الصحيح»[1] عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «لَمْ يَبْقَ بَعدي مِنَ النُّبُوةِ إلاَّ الرُّؤيا الصَّالِحَة يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ أوْ تُرى له».

= وسنده ضعيفٌ من أجل أبي سعيد البقال.

○ **أما عن شواهده الدّالة على أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مستجاب الدعوة؛ فمنها:**

ـ ما رواه البخاري (حديث ٧٥٥) ومسلم (حديث ٤٥٣ مختصرًا) عن جابر بن سمرة قال: شكا أهل الكوفة سعدًا إلى عمر رضي الله عنه فعزله واستعمل عليهم عمارًا فشكوا ـ أي شكوا سعدًا ـ حتى ذكروا أنه... وفيه أن أسامة بن قتادة رجلاً من بني عبس قال:.. إن سعدًا كان لا يسير بالسرية ولا قسم بالسوية ولا يعدل في القضية، قال سعد: أما والله لأدعون بثلاث: اللهم إن كان عبدك هذا كاذبًا قام رياء وسمعة فأطل عمره وأطل فقره وعرضه بالفتن، وكان بعد إذا سئل يقول: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد قال عبد الملك فأنا رأيته بعد قد سقط حاجباه على عينيه من الكبر وإنه ليتعرض للجواري في الطرق يغمزهن).

ـ وما رواه الترمذي (حديث ٣٨١١) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال لخيثمة بن أبي سبرة: (أليس فيكم سعد بن مالك مجاب الدعوة).

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

ـ وعند الحاكم في (المستدرك ٣/ ٤٩٩) عن مصعب بن سعد عن سعد (أن رجلاً نال من علي رضي الله عنه فدعا عليه سعد بن مالك فجاءته ناقة أو جمل فقتله فأعتق سعد نسمة وحلف أن لا يدعو على أحد) وسندُهُ حسنٌ.

وشواهد أخر عند الحاكم في («المستدرك ٣/ ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١) فاطلع عليها إن شئت، والله تعالى أعلى وأعلم.

(١) (برقم: ٦٩٩٠) (١٢/ ٣٩١ الفتح) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوات إلا المبشرات. قالوا: وما المبشرات؟ قال: الرؤيا الصالحة».

● وأخرجه مسلم في («الصحيح» ٤٧٩) عن ابن عباس قال: كشف رسولُ الله ﷺ. الستارة؛ والناس صفوفٌ خلْف أبي بكر فقال: «أيها الناس! إنه لم يبق من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها المسلم، أو ترى له... الحديث».

⊳ وثبتَ عنه في الصحيح[1] أنه قال: «**إنَّ منْ عبَاد الله مَنْ لَوْ أقْسَمَ عَلَى الله لأبَرَّهُ**»؛ ذُكر ذلك لما أقسم أنس بن النضر أنه لا تُكسر ثنية الرُّبيِّع[2]، فاستجاب الله ذلك.

وأيضًا؛ فإن منهم البراء بن مالك؛ أخو أنس بن مالك، وكانوا إذا اشتد الحرب، يقولون: «**يا براء أقسم على ربك**»، فيقسم على ربه فينصرون[3].

---

(١) (برقم: ٢٧٠٣) عن أنس بن مالك. وهو في («صحيح مسلم» برقم: ١٦٧٥) عن أنس أيضًا؛ لكن الذي فيه أن الذي أقسم أمُّ الربيع.

(٢) وهي عمة أنس كما قال الحافظ في («الفتح» ٥/ ٣٦٠) وهي الرُّبيع ابنة النضر.

(٣) ●**أسانيدُهُ فيها ضعفٌ**؛ وقد أخرجه الحاكم في («المستدرك» ٣/ ٢٩١، ٢٩٢). والبيهقي في («الدلائل» ٦/ ٣٦٨) و(«الاعتقاد» ص: ٤٣٤) وغيرهم من طريق: محمد بن عبد العزيز الأيلي عن سلامة بن روح عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «**كم من ضعيف متضعف ذي طمرين لو أقسم على الله لأبره؛ منهم البراء بن مالك**». ثم فيه حكاية على نحو ما أشار المصنف.

● **قال شيخنا ابن أبي العينين في تعليقه على («الاعتقاد»):**

«وسلامة مختلف فيه، وقد تكلم في سماعه من عمه عقيل بن خالد، وكذا محمد بن عبد العزيز متكلم فيه أيضًا، وفي سماعه من سلامة بن روح، حتى قال يعقوب الفسوي: دخلتُ أيلة فسألت عن كتب سلامة بن روح، وحديثه من ابن عبد العزيز، وجهدتُ به كل الجهد، فزعم أنه لم يسمع من سلامة شيئًا، وليس عنده شيء من كتب سلامة، ثم حدّث بعد بما ظهر عنه من حديثه». قلت: وعلى هذا فالإسنادُ منقطع.

ورواه أبو نعيم في («الحلية» ١/ ٣٥٠) من طريق سعيد بن محمد، وهو الوراق عن مصعب بن سليم عن أنس بنحوه. والوراق واهٍ، وفي الإسناد من لم أعرفه.

وروى الترمذي في «سننه» (٣٨٥٤) قال: حدثنا عبد الله بن أبي زياد قال حدثنا سيار قال حدثنا جعفر بن سليمان قال حدثنا ثابت وعلي بن زيد عن أنس مرفوعًا: «كم من أشعث أغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبره منهم البراء بن مالك» وقال الترمذي: صحيح حسن. وروى مسلم (٢٦٢٢) وغيره من حديث أبي هريرة مرفوعًا: «رب أشعث أغبر مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره». انتهى. قلتُ: وطريقُ =

والقَسَمُ: قيل: هو من جنس الدعاء، لكن هو طلبٌ مؤكَّدٌ بالقسم.

فالسائل يخضع، ويقول: أعطني، والمقسم يقول: عليك لتعطيني، وهو خاضعٌ سائلٌ.

بعض الصوفية يدَّعي لنفسه من الكرامات ما لا يجوز أن يكون للأنبياء

لكن من الناس من يدَّعى له من الكرامات ما لا يجوز أن يكون للأنبياء؛ كقول بعضهم: إن لله عبادًا، لو شاءوا من الله أن لا يقيم القيامة، لما أقامها.

وقول بعضهم: إنه يُعطي «كُنْ»، أي: شيءٍ أراده، قال له: «كن»؛ فيكون.

وقول بعضهم: لا يعزب عن قدرته ممكن، كما لا يعزب[1] عن قدرة ربِّه مُحال؛ فإنه لما كثُر في الغلاة[2] من يقولُ بالحلول والاتحاد وإلهية بعض البشر، كما قاله النصارى في المسيح[3]، صاروا يجعلون ما هو من خصائص الربوبية لبعض البشر، وهذا كفرٌ. وأيضًا: فإنَّ كثيرًا من الناس لا يكون من أهل الصلاح، ويكون له خوارق شيطانية، كما لعُبَّاد المشركين وأهل الكتاب، فتتجلى لهم على أنها كرامات، فمن الناس من يُكذِّب بها، ومنهم من يجعلُ أهلها من أولياء الله، وذلك لأن الطائفتين ظنت أن مثل

= الترمذي شاهدٌ قويٌّ؛ لولا ما فيه من كلام على رواية جعفر بن سليمان عن ثابت ـ وكلامٍ في سيار.

(١) قال في («مختار الصحاح» ٢٠٤) : «عزَب: بعُد وغاب» .

قلت: ومنه قول الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [يونس: ٦١] أي: وما يغيب أو يبعد. وفي سورة («سبأ»: ٣) نحوها.

(٢) وهم ثمانية عشر فرقة ؛ انظرها على التفصيل في شرح العلامة ابن الجوزي في رسالته في («الفرق الضالة» ص ١٤٥ ـ ١٦٦ بتحقيقي).

(٣) قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢].

هذه الخوارق لا يكون إلا لأولياء الله، ولم يُميزوا بين الخوارق الشيطانية التي هي جنس ما للسحرة، والكهان، ولعُبّاد المشركين، وأهل الكتاب، وللمتنبئين الكذابين، وبين الكرامات الرحمانية التي يُكرم الله بها عباده الصالحين.

أقسام الناس في خوارق الفجار

فلما لم يُميِّزوا بين هذا وهذا، وكان كثيرٌ من الكفار، والفجار، وأهل الضلال، والبدع لهم خوارق شيطانية، صار هؤلاء منهم حزبين: حزبًا قد شاهدوا ذلك، وأخبرهم به من يعرفون صدقه، فقالوا: هؤلاء أولياء الله، وحزبًا رَأَوْا أن أولئك خارجون عن الشريعة، وعن طاعة الله ورسوله، فقالوا: ليس هؤلاء من الأولياء الذين لهم كرامات؛ فكذَّبوا بوجود ما رآه أولئك، وأولئك قد عاينوا ذلك أو تواتر عندهم، فصار تكذيبُ هؤلاء مثل تكذيب من ينكر السحر، والكهانة، والجن، وصرعهم للإنس، إذا كذب ذلك عند من رأى ذلك، أو ثبت عنده.

ومن كذَّب بما تيقن غيره وجوده، نقصت حرمته عند هذا المتيقن، وكان عنده إما جاهلاً، وإما معاندًا، فربما ردَّ عليه كثيرًا من الحق بسبب ذلك.

إنكار المعتزلة الكرامات والسحر والكهانة

ولهذا صار كثيرٌ من المنتسبين إلى زهْد، أو فقْرٍ، أو تصوُّف أو ولَه، أو غير ذلك، لا يقبلون قولهم، ولا يعبأون بخلافهم؛ لأنهم كذَّبوا بحق قد تيقنه هؤلاء، وأنكروا وجوده، وكذَّبوا بما لم يُحيطوا بعلمه، وقد يُدخلون إنكار ذلك في الشرع، كما أدخلت المعتزلة[1] ونحوهم إنكار كرامات الأولياء، وإنكار السحر، والكهانة في الشرع؛ بناءً على أن ذلك يقدح في آيات الأنبياء؛ فجمعوا بين التكذيب بهذه الأمور الموجودة، وبين عدم العلم بآيات الأنبياء، والفرق بينها وبين غيرها؛ حيث ظنوا أن هذه الخوارق الشيطانية من جنس آيات الأنبياء، وأنها نظير لها، فلو وقعت لم يكن

(١) وقد سبق إيرادُ ذلك في أول الكتاب عنهم.

للأنبياء ما يتميزون به.

قول الأشاعرة في الخوارق

والذين ردُّوا على هؤلاء من الأشعرية ونحوهم، يُشاركونهم في هذا في التسوية بين الجنسين، وأنه لا فرق.

لكن هؤلاء لما تيقنوا وجودها، جعلوا الفرق ما ليس بفرق؛ وهو اقترانها بالدعوى، والتحدِّي بمثلها، وعدم المعارضة، وهم يقولون: إنا نعلم بالضرورة أن الرب إنما خلقها لتصديق النبي.

أصلٌ باطلٌ عند الأشاعرة

وهذا كلامٌ صحيحٌ، لكنه يستلزم بطلان ما أصّلُوه؛ من أنه لا يخلق شيئًا لشيء.

وأيضًا: فاختصاصها بوجود العلم الضروري عندها دون غيرها، لا بد أن يكون لأمرٍ أوجب التخصيص، وهم يقولون: بل قد تستوي الأمور، ويوجد العلم الضروري ببعضها دون بعض؛ كما قالوا مثل ذلك في العادات: إنه يجوز انخراقها كلُّها بلا سبب على أعظم الوجوه؛ كجعل الجبال يواقيت، لكن يُعلم بالضرورة أن هذا لا يقع، فكذلك قالوا في المعجزات: يجوز أن يخلقها على يد كاذب[1] ... وإنما خلقها على يد الصادق بما ادَّعى من العلم الضروري صحيح.

وأما قولهم: إن المعلوم به يماثل غيره، فغلطٌ عظيمٌ، بل هم لا يعرفوا الفرق، بمنزلة العامي الذي أوردت عليه شبهات السوفسطائية[2]؛ فهو يعلم بالضرورة أنها باطلة، ولكن لايعرف الفرق بينها وبين الحق، ولكن العامي يقول: فيها فسادٌ لا أعرفه، لا يقول: دلائل الحق كدلائل الباطل.

---

(١) بياضٌ في الأصل «المطبوع» مقدار نصف سطر. «الفقي». قلتُ: وكذا في «خ».

(٢) ● **قلتُ**: وقد أفاض العلامة ابن الجوزي في كتابه القيم «تلبيس إبليس» (في ذكر تلبيسه في العقائد والديانات) في ذكر تلبيسه على السوفسطائية؛ في كلامٍ طويل (ص ٥٣ - إلى - : ٥٥).

وهؤلاء ادَّعـوا الاستـواء في نفس الأمـر، فغلطوا غلـطًا عظيمًـا، ولو قالـوا: بينهمـا فرقٌ؛ لكنه لم يتلخَّص لنا؛ لـكان قولهم حـقًّا، وكانـوا قد ذكروا عدم العلم، لا العلم بالعدم، كما يقول ذلك كثيرٌ من الناس؛ يقول: ما أعـرف الفرق بينهما، وذلك أن العـلم الضروري يحصل ببعض الأخـبار دون بعض.

وقد قيل: إنا نعلم أنه متواترٌ بحصول علمنا الضروري به.

○ **والتحقيق:** أنه إذا حصل لهم علمٌ ضروريٌّ، كان قد حصل الخبر الذي يوجبه لهم، وقد لا يحصل لغيرهم.

والعلم يحصل بـعدد المخبرين، وبـصفاتهم، وبأمـورٍ أخرى تنضم إلى الخبر، ومن جعل الاعتبار بمجرد العدد فقد غلط، والأكثرون يقولون: العلم الحاصل به ضروري، وقيل: إنه نظري، وهو اخـتيار الكعبي، وأبي الحسين، وأبي الخطاب.

كلُّ علمٍ نظري فمنتهاه أنه ضروري

○ **والتحـقيق:** أنه قد يكون ضـروريًا، وقد يكون نظريًا، وقد يجتـمع فيه الأمران؛ يكون ضـروريًا، ثم إذا نظر فيـه وُجد أنه يوجب العـلم. وكذلك العلم الحـاصل عقـب الآيات قد يكون ضـروريًا، وقـد يكون نظريًا، وكلُّ نظري فإن منتـهاه أنه ضـروري. ولهذا قال أبو المعـالي: «المرتضى عندنا أن جميع العلوم ضرورية؛ أي: بعدحصـول أسبابها، ولا بد من فرق في نفس الأمر بين ما يوجب العلم، وما لا يوجبه.

أصلُ خطأ الأشاعرة والمعتزلة في الخوارق

وأصلُ خطأ الطائفتين: أنهم لم يعـرفوا آيات الأنبياء، ومـا خصَّهم الله به، ولم يقْدروا قدر النبوة، ولم يقدروا آيات الأنبياء قدرها، بل جعلوا هذه الخوارق الشـيطانية من جنسـها؛ فإمـا أن يكذبوا بوجودها، وإمـا أن يسووا بينهما، ويدّعوا فرقًا لا حقيقة له.

ولهذا يوجد كثيرٌ ممن يكذب بهذه الخوارق الشيطانية أن تكون لبعض الأشخاص لما يراه من نقص دينه وعلمه، فإذا عاينها بعد ذلك أو ثبتَ عنده، خضع لذلك الشخص الذي كان عنده: إما كافرًا، وإما ضالاً، وإما مبتدعًا جاهلاً، وذلك لأنه أنكر وجودها معتقدًا أنها لا توجد إلا للصالحين، فلما تيقن وجودها، جعلها دليلاً على الصلاح، وهو غالطٌ في الأصل، بل هذه من الشياطين؛ من جنس ما للسحرة والكهان، ومن جنس ما للكفار من المشركين وأهل الكتاب؛ فإن لمشركي الهند والترك وغيرهم، ولعُبَّاد النصارى؛ من هذه الخوارق الشيطانية أمورًا كثيرة يطول وصفها أكثر وأعظم من أكثر مما يُوجد منها لأهل الضلال والبدع من المسلمين، وما يوجد منها للمنافقين؛ فإن الشياطين لا تتمكن من إغواء المسلمين، وإن كان فيهم جهلٌ وظلم، كما تتمكن من إغواء المشركين وأهل الكتاب.

○ ولهذا ثنّى في القرآن قصةَ موسى مع السحرة، وذكر ما يقولُهُ الكفار لأنبيائهم؛ فإنه ما جاء نبيٌّ صادقٌ قط إلا قيل فيه: إنه ساحر أو مجنون؛ كما قال تعالى: ﴿ **كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ. أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ** ﴾ [الذاريات: ٥٢ ـ ٥٣]، وذلك أن الرسول يأتي بما يخالف عاداتهم، ويفعل ما يرونه غير نافع، ويترك ما يرونه نافعًا، وهذا فعلُ المجنون؛ فإن المجنون فاسدُ العلم، والقصد، ومن كان مبلغه من العلم إرادة الحياة الدنيا، كان عنده من ترك ذلك، وطلب ما لا يعلمه: مجنونًا، ثم النبي مع هذا يأتي بأمورٍ خارجة عن قدرة الناس؛ من إعلام بالغيوب[1]، وأمور خارقة لعاداتهم؛ فيقولون: هو ساحر.

الفرق بين النبي والساحر عند الفلاسفة

وهذا موجودٌ في المنافقين الملحدين المتظاهرين بالإسلام؛ من الفلاسفة

(١) قال تعالى: ﴿ **عَالِمُ الْغَيْبِ فَلا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا. إِلاَّ مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا** ﴾ [الجن: ٢٦، ٢٧].

ونحوهم؛ يقولون : إن ما أخبرت به الأنبياء من الغيوب، والجنة والنار؛ هو من جنس قول المجانين، وعندهم خوارقهم من جنس خوارق السحرة، والممرورين المجانين؛ كما ذكر ابن سينا، وغيره، لكن الفرق بينهما: أن النبيَّ حسَنُ القصد، بخلاف الساحر، وأنه يعلم ما يقول، بخلاف المجنون. لكن معجزات الأنبياء عندهم قُوى نفسانية، ليس مع هذا ولا هذا شيء خارج عن قوة النفس.

معجزات الأنبياء عند الفلاسفة

والقاضيان؛ أبو بكر، وأبو يعلى، ومن وافقهما: متوقفون في وجود المخدوم الذي تخدمه الجن؛ قالوا: لا يُقطع بوجوده.

معنى الكاهن

○ وكذلك الكاهن: ذكروا فيه القولين : قول من يقول: إنه المتخرص؛ وقولَ من يقول: إنه مخدوم. وهم متوقفون فيه، لا يقطعون بوجود مخدوم كاهن، كما يقطعون بوجود الساحر؛ لأنه في زمانهم وجد الساحر.

القرآن أخبر بالسحر بخلاف الكاهن

والقرآنُ أخبرنا بالسحر في سورة البقرة[1]، بخلاف الكاهن؛ فإن القرآن ذكر اسمه [2]، ولو تدبروا لعلموا أن الكاهن هو المذكور في قوله: ﴿**هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ**﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

○ وفي «**الصحيح**» [3] عن النبيِّ ﷺ أنه قيل له: «إنَّ مِنّا قَومًا يأتُونَ الكُهّانَ، قَالَ: **فَلاَ يَأْتُوهُمْ**».

○ وسئل عن الكُهَّان وما يخبرون به؟ فأخبر أنَّ الجنَّ تسترق السمع،

---

(١) (رقم الآية: ١٠٢).

(٢) كما في («الطور» : ٢٩) و («الحاقة» : ٤٢) قال تعالى: ﴿**فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ**﴾ [الطور: ٢٩].

(٣) («صحيح مسلم» ٥٣٧) ؛ وقد تقدم (ص: ٦٠٧٧).

وتخبرهم به[١].

فالكتاب والسنة أثبتا وجود الكاهن.

وأحمد قد نص على أنه يُقتل؛ كالساحر[٢].

لكن الكاهن إنما عنده أخبار، والساحر عنده تصرف؛ بقتل، وإمراض وغير ذلك، وهذا تطلبه النفوس أكثر.

وابن صياد كان كاهنًا، ولهذا قال له النبيُّ ﷺ: «**قَدْ خَبَّأْتُ لَكَ خَبِيًا، فَقَالَ: الدُّخُ: فقال: اخْسَأْ، فَلَنْ تَعْدُو قَدْرَكَ**»[٣]. إنّمَا أنتَ مِنْ إخوَان الكُهّان.

---

(١) تقدّم في المصدر السابق و (ص: ١٠٥) وهو في «الصحيحين» عن عائشة.

(٢) وفي («المغني» لابن قدامة ١٢/ ٣٠٥) قال: «فأما الكاهن الذي له رَئِيٌّ من الجن تأتيه بالأخبار، والعرّاف الذي يحدس ويتخرص، فقد قال أحمد - في رواية حنبل - في العراف والكاهن والساحر: أرأى أن يُستتاب من هذه الأفاعيل. قيل له: يُقتل؟ قال: لا، يحبس لعله يرجع» . ثم قال: «وقال: الساحر والكاهن حكمهما القتل أو الحبس حتى يتوبا لأنهما يُلَبِّسان أمرَهما ، وحديث عمر: «اقتلوا كلّ ساحرٍ وكاهن وليس هو من أمر الإسلام». وهذا يدلُّ على أن كلَّ واحدٍ منهما فيه روايتان؛ إحداهما : أنه يُقتل إذا لم يتب. والثانية: لا يقتل؛ لأن حكمه أخفُّ من حكم الساحر وقد اختُلف فيه ، فهذا يَدرْء القتل عنه أولى» انتهى . وانظر كلام الحافظ ابن حجر في («الفتح» ١٠/ ٢٣٢ - إلى - : ٢٣٥) و («التفسير» للقرطبي البقرة: ١٠٢) (٢/ ٣٣، ٣٤ دار الكتب).

(٣) **حديث صحيح**. وليس منه : «إنما أنت من إخوان الكهان» .
أخرجه البخاريُّ في («الصحيح» ١٣٥٤، ٣٠٥٥) ومسلم في («الصحيح» ٢٩٣٠) من حديث ابن عمر.
○ **قلت**: وقوله «إنما أنت من إخوان الكهان» لم أظفر بها؛ ولعلّها زيدت من المصنف من جهة المعنى؛ ففي شروحات أهل العلم؛ كالحافظ في («فتحه» ٦/ ٢٠١) فقد قال: «قوله (فلن تعدو قدرك)؛ أي: لن تجاوز ما قدّر الله فيك؛ أو مقدار أمثالك من =

. . . .

= الكهان». ونقل الحافظ قول القرطبي وهو : «كان ابـن صياد على طريقة الكهنة يخبر بالخبر فيصح تارة ويفسد أخرى».

● **قال النووي في («شرح مسلم» ١٨/ ٤٨) :**

قال الخطابي:

«وأما امتحانُ النبيِّ ﷺ بما خبأه له من آية الدخان فلأنه كان يَبْلغه ما يدعيه من الكهانة. . وقال: «خبأت لك خبيئًا» فقال: «هو الدخ». أي الدخان، وهي لغة منه. فقال له النبي ﷺ : «اخسأ فلن تعدو قدرك» أي: لا تجاوز قدرك وقدر أمثالك من الكهان الذين يحفظون من إلقاء الشيطان كلمة واحدة من جملة كثيرة بخلاف الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم؛ فإنهم يوحي الله تعالى إليهم من علم الغيب ما يوحى فيكون واضحًا كاملاً؛ بخلاف ما يلهمه الله الأولياء من الكرامات والله أعلم». انتهى.

قلت: وفي («الفتاوي» ١١/ ٢٨٣) لابن تيمية ـ رحمه الله ـ استشهد بهذا الحديث؛ وقال عقب قوله: (اخسأ فلن تعدوا قدرك) يعني: إنما أنت من إخوان الكهان. وهذا تأويلُ كلامي من قبل؛ والله أعلم.

●● **قال الحافظ ابن كثير («التفسير» البقرة: ٣٤):**

«قال القرطبي : قال علماؤنا من أظهر الله على يديه ممن ليس بنبي كرامات، وخوارق العادات؛ فليس ذلك دالاً على ولايته ؛ خلافًا لبعض الصوفية والرافضة». هذا لفظه[1]؛ ثم استدل على ما قال بأن لا نقطع بهذا الذي جرى الخارق على يديه أنه يوافق الله بالإيمان وهو لا يقطع بنفسه لذلك . يعني: والولي الذي يقطع له بذلك الأمر.

○ **قلتُ:** وقد استدل بعضهم على أن الخارق قد يكون على يد غير الولي ، بل قد يكون على يد الفاجر والكافر أيضًا؛ بما ثبت عن ابن صياد أنه قال هو الدخ حين خبأ له رسول الله ﷺ ﴿ **فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ** ﴾ وبما كان يصدر عنه أنه كان يملأ الطريق إذا غضب حتى عبد الله بن عمر؛ وما ثبتت به الأحاديث عن الدجال بما يكون على يديه من الخوارق الكثيرة من أنه يأمر السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت وتتبعه كنوز الأرض مثل اليعاسيب وأن يقتل ذلك الشاب ثم يحييه إلى =

(١) («التفسير» ١/ ٢٠٤ دار الكتب) القرطبي.

ولما قضى في الجنين بغرة، قال حملُ بنُ مالك: أيودي من لا شَرب ولا أكل، ولا نطَقَ ولا استهلّ، قتل ذلك يُطلّ؛ فقال: «**إنما أنت من إخوان الكهان**»؛ من أجل سجعه الذي سجع[1].

فكانوا يسجعون أساجيع.

وقد رأيتُ من هؤلاء شيوخًا يسجعون أساجيع كأساجيع الكهان، ويكون كثيرٌ منها صدقًا.

ولهذا جمع الله بين الكاهن والشاعر، في قوله: ﴿**وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلاً مَّا تُؤْمِنُونَ . وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ . تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ**﴾

[الحاقة: ٤١ ـ ٤٣]

= غير ذلك من الأمور المهُولة . وقد قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي قلت للشافعي يقول: كان الليث بن سعد يقول: إذا رأيتم الرجل يمشي على الماء ويطير في الهواء؛ فلا تغتروا به حتى تعرضوا أمره على الكتاب والسنة... انتهى».

(١) **حديث صحيح.**

أخرجه البخاري في («الصحيح» ٥٨٥٨ و..) ومسلم في («الصحيح» برقم ١٦٨١) (٣٦) و (١٦٨٢) من حديث أبي هريرة ﷺ قال: اقتتلت امرأتان من هذيل. فرمت إحداهما الأخرى بحجر فقتلتها. وما في بطنها . فاختصموا إلى رسول الله ﷺ . فقضى رسولُ الله ﷺ أن دية جنينها غُرَّةٌ: عبد أو وليدةٌ. وقضى بدية المرأة على عاقلتها. وورّثها ولدها. ومن معهم. فقال حملُ ابن النابغة الهذلي[1]: يا رسول الله! كيف أغرم من لا شرب ولا أكل، ولا نطق ولا استهل؟ فمثلُ ذلك يطل[2]. فقال رسول الله ﷺ : «إنما هذا من إخوان الكهان»[3] من أجل سجعه الذي سجع[4]. هذه رواية مسلم. وليس في هذا الوارد: «إنما أنت»، والله أعلم.

---

(١) وهو وليُّ المرأة؛ كما في رواية الصحيح.

(٢) يعني يُهدر.

(٣) أي لمشابهة كلامه كلامهم.

(٤) من تفسير الراوي؛ كما قال القرطبي («الفتح» ١٠/ ٢١٨ ط المعرفة).

وكذلك في الشعراء: ذكر الكاهن والشاعر بعد قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ . عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ . بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ١٩٢ ـ ١٩٥]، إلى قوله: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ . يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣].

والرسول ـ في آية الحاقة(١) ـ محمدٌ؛ وقال أيضًا: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ . ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ . مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ . وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ . وَلَقَدْ رَآهُ بِالأُفُقِ الْمُبِينِ . وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ . وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ . فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ . إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ١٩ ـ ٢٧].

فلما أخبر به أنه قول رسول؛ هو ملك من الملائكة؛ نَفَى أن يكون قول شيطان، ولما أخبر هناك أن قول رسول من البشر، نفى أن يكون قولُ شاعر؛ أو كاهن؛ فهذا تنزيه للقرآن نفسه.

ونزّه الرسول أن يكونَ على الغَيب بضنين؛ أي: مُتَّهم، وأن يكون بمجنون؛ فالجنون: فسادٌ في العلم، والتهمة: فسادٌ في القصد، كما قالوا: ساحرٌ أو مجنون؛ وقال في الطور: ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ . أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ . قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ﴾ [الطور: ٢٩ ـ ٣١]

معنى الكاهن عند العرب

وقد أخبر عن الأنبياء قبله أنه: ﴿مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ﴾ [الذاريات: ٥٢]، ولم يقولوا: كاهن؛ لأن الكاهن عند العرب: هو الذي يتكلّم بكلامٍ مسجوع، وله قرينٌ من الجن.

وهذا الاسم ليس بذم عند أهل الكتاب، بل يسمون أكثر العلماء بهذا الاسم، ويُسمُّون هارون عليه السلام وأولاده الذين عندهم التوراة بهذا

(١) (آية: ٤٠ ـ ٤٢) وهي قوله: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ...﴾ ـ إلى قوله ـ ﴿وَلا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ﴾.

الاسم.

والقدر المشترك: العلم بالأمور الغائبة والحكم بها.

اسم الكاهن ليس بذم عند أهل الكتاب

فعلماء أهل الكتاب يخبرون بالغيب، ويحكُمونَ به عن الوحي الذي أوحاه الله، وكهّان العرب كانت تفعل ذلك عن وحي الشياطين ، وتمتاز بأنها تسجع الكلام.

بخلاف اسم الساحر؛ فإنه اسم معروفٌ في جميع الأمم.

وقد يدخل في ذلك عندهم المخدوم الذي تخبره الشياطين ببعض الأمور الغائبة. ولكون الساحر يأتي بالخوارق شبَّهوا النبي به؛ وقالوا: ساحر، فدلَّ ذلك على قدرٍ مشترك.

من الفروق بين النبي والساحر

لكن الفرقان بينهما أعظم؛ كالفرق بين الملائكة والشياطين، وأهلِ الجنة وأهلِ النار، وخيار الناس وشرارهم، وهذا أعظم الفروق بين الحق والباطل.

والكفار قالوا عن الأنبياء: إنهم مجانين وسحرة.

فكما يُعلم بضرورةِ العقل من وجود أعظم الفرق بينهم وبين المجانين، وأنهم أعقل الناس، وأبعدُهم عن الجنون، فكذلك يُعلم بضرورة العقل أعظم الفرق بينهم وبين السحرة، وأنهم أفضل الناس وأبعدهم عن السحر.

فالساحر يُفسد الإدراك حتى يُسمع الإنسان الشيء، ويراه، ويتصور خلاف ما هو عليه.

وظائف الرسل

والأنبياء يُصححون سمع الإنسان، وبصره، وعقله؛ والذين خالفوهم صمٌّ بكمٌ عميٌ فهم لا يعقلون.

فالسحرة يزيدون الناسَ عمى، وصممًا، وبكمًا.

صفة النبي ﷺ في التوراة

والأنبياء، يرفعون عماهم، وصممهم، وبكمهم؛ كما في «الصحيح»[(١)] عن عطاء بن يسار أنه سأل عبد الله بن عمرو، ـ وروي عبد الله بن سلام[(٢)] ـ أنه قيل له: أخبرنا ببعض صفة رسول الله ﷺ في التوراة، فقال: إنه لموصوفٌ في التوراة ببعض صفته في القرآن: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٥] و الفتح: ٨]، وحرزًا للأميين، أنت عبدي سميتُك المتوكل؛ لستَ بفظٍّ، ولا غليظٍ، ولا سخَّاب بالأسواق، ولا تجزى بالسيئة السيئة، ولكن تجزي بالسيئة الحسنة، وتعفو وتغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء؛ فافتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا، وقلوبًا غلفًا؛ بأن يقولوا: لا إله إلا الله».

---

(١) (برقم: ٢١٢٥، ٤٨٣٨) وغيره.

من طريق فليح بن سليمان وعبد العزيز بن أبي سلمة كلاهما عن هلال بن أبي هلال عن عطاء بن يسار عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ فذكره.

وقد خالف كلاً من فليح وعبد العزيز: سعيدُ بن أبي هلال. في تعيين الصحابي، فقال: عن هلال عن عطاء عن ابن سلام. كما عند البخاري معلقًا.

● قال الحافظ في («الفتح» ٤/ ٤٠٣):

«وطريقهُ هذه وصلها الدارمي في («مسنده» رقم: ٦) ويعقوب بن سفيان في («تاريخه» ٣/ ٣٣٨) قلت: ومن طريقه البيهقي في («الدلائل» ١/ ٣٧٦) ثم قال: ـ والطبراني (الكبير «مسند عبد الله» جزء مطبوع بتحقيق طارق عوض الله رقم ١٦٣) جميعًا بإسنادٍ واحد عنه. ولا مانع من أن يكون عطاء بن يسار حمله عن كلٍّ منهما؛ فقد أخرجه ابن سعد («الطبقات» ١/ ٢٧٠) من طريق زيد بن أسلم قال: بلغنا أن عبد الله بن سلام كان يقول... فذكره. وأظن المبلغ لزيد هو عطاء بن يسار؛ فإنه معروف بالرواية عنه؛ فيكون هذا شاهدًا لرواية سعيد بن أبي هلال. والله أعلم» انتهى.

قلت: وإسنادُ حديث عبد الله بن سلام فيه عبد الله بن صالح وهو متكلمٌ فيه؛ لكنْ شاهدُ طريق زيد بن أسلم يعضده؛ والعلم عند الله.

(٢) انظر التعليق المتقدم.

وهذا مذكورٌ عند أهل الكتاب في نبوة أشعيا[١].

المراد بالتوراة

ولفظ «التوراة» ؛ قد يُرادُ به: جميعُ الكتب التي نزلت قبل الإنجيل؛ فيقال: التوراة، والإنجيل. ويُرادُ بالتوراة: الكتاب الذي جاء به موسى وما بعده من نبوة الأنبياء المتبعين لكتاب موسى، قد يُسمَّى هذا كلُّه توراة؛ فإنَّ التوراة تُفسِّر الشريعة؛ فكلٌّ من دان بشريعة التوراة: قيل لنبوته: إنها من التوراة.

وكثيرٌ مما يعزوه كعب الأحبار[٢] ونحوُهُ إلى التوراة، هو من هذا الباب، لا يختصُّ ذلك بالكتاب المنزل على موسى[٣]؛ كلفظ الشريعة عند المسلمين: يتناول القرآن، والأحاديث النبوية، وما استخرج من ذلك؛ كما قد بُسط هذا في موضع آخر.

○**والمقصودُ هنا:** أن الأنبياء يفتحون الأعين العمي، والآذان الصم، والقلوب الغلف. والسحرةُ يفسدون السمع والبصر والعقل، حتَّى يُخيل

---

(١) لم يثبت عندي حديثٌ في نبوة «أشعيا» ؛ فأتوقفُ في ذلك؛ والعلم عند الله.

(٢)● **قال الذهبي في («السير» ٣/ ٤٨٩):**

«هو كعب بن ماتع الحميريُّ اليماني العلامة الحبْر؛ الذي كان يهوديًا فأسلم بعد وفاة النبيّ ﷺ، وقدم المدينة من اليمن في أيام عمر ؓ، فجالس أصحاب محمد ﷺ، فكان يحدّثهم من الكتب الإسرائيلية؛ ويحفظ عجائب، ويأخذ السنن عن الصحابة. وكان حسنَ الإسلام ، متين الديانة، من نبلاء العلماء» . «توفى كعبٌ بحمص ذاهبًا للغزو في أواخر خلافة عثمان ؓ؛ فلقد كان من أوعية العلم» انتهى.

(٣) **أورد الذهبي في («السير» ٤/ ٤٩٣)** قصة حكاها شهر بن حوشب عن كعب ؛ وفيها قال كعب على كتاب كان معه: «إنها التوراة كما أنزلها الله على موسى ما غُيِّرت ولا بُدّلت..» .

● **قال الذهبي**: «هكذا رواه ابن أبي خيثمة في «تاريخه» عن هدبة عن همام؛ وشهر لم يلحق كعبًا».

للإنسان الأشياء بخلاف ما هي عليه، فيتغير حسُّه وعقله؛ قال في قصة موسى: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ١١٦]. وهذا يقتضي أن أعين الناس قد حصل فيها تغيُّر؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ. لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر: ١٤، ١٥]؛ فقد علموا أن السحر يُغير الإحساس، كما يوجب المرض والقتل، وهذا كلُّه من جنس مقدور الإنس؛ فإن الإنسان يقدر أن يفعل في غيره ما يفسد إدراكه، وما يمرضه ويقتله؛ فهذا مع كونه ظلمًا وشرًا، هو من جنس مقدور البشر.

الجني يُرى قرينه نظير الشيء ليس عينه

والجنيُّ إذا أراد أن يري قرينه أمورًا غائبة سأل عنها، مثَّلها له؛ فإذا سئل عن المسروق، أراه شكل ذلك المال، وإذا سُئل عن شخص، أراه صورته؛ ونحو ذلك.

وقد يظن الرائي أنه رأى عينه، وإنما رأى نظيره.

تمثُّل الجني بصورة الإنس

وقد يتمثل الجنيُّ في صورة الإنسي، حتى يظن الظان أنه الإنسي؛ وهذا كثيرٌ؛ **كما تصوَّر لقريش في صورة سراقة بن مالك بن جعشم ـ وكان من أشراف بني كنانة ـ؛ قال تعالى: ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ﴾** [الأنفال: ٤٨] **. الآية، فلما عاين الملائكة ولَّى هاربًا، ولما رجعوا ذكروا ذلك لسراقة، فقال: والله ما علمت بحربكم، حتى بلغتني هزيمتكم**[1].

---

(١) ورد عن ابن عباس عند الطبري في («التفسير» ١٦١٨٣) وابن أبي حاتم في («التفسير» ٩١٥٧) والبيهقي في («الدلائل» ٣/ ٧٨) وسندُهُ فيه عللٌ؛ وانظر طرقًا عن ابن عباس ساقها الحافظ ابن كثير في («التفسير» ٧/ ١٠٠) مكتبة أولاد الشيخ) (تفسير الأنفال: ٤٩) وله شاهد مرسلٌ حسن؛ رواه ابن إسحاق في («السيرة» كما في «السيرة لابن هشام» ٢/ ٤٠٥ ط ابن رجب) ومن طريقه الطبري في («التفسير» ١٦١٨٥) عن =

وهذا واقعٌ كثيـرًا، حتى إنه يتصورَّ لمن يعظم شخصًـا في صورته، فإذا استغاث به، أتاه، فيظن ذلك الشخـص أنه شيخه الميت، وقد يقول له: إنه بعض الأنبياء، أو بعض الصحابة الأموات، ويكون هو الشيطان.

وكثيرًا من الناس أهل العبادة والزهد من يأتيه في اليقظة، من يقول: إنه رسـول الله، ويظن ذلك حقّـا، ومن يرى إذا زار بعض قـبـور الأنبيـاء أو الصالحين أن صـاحب القبـر قد خـرج إليه، فـيظن أنه صاحب القـبر ذلك النبي، أو الرجل الصالح، وإنما هو شيطانٌ أتى في صـورته إن كان يعرفها، وإلا أتى في صورةِ إنسان، وقال: إنه ذلك الميت.

تمثل الشيطان بالخضر

وكذلك يـأتي كثيـرًا من الناس في مواضـع، ويقول [1]: إنه الخضر، فاعتقد أنه الخضر، وإنما كان جنيًا من الجن.

الصحابة لم يدّعوا لأنفسهن رؤية الخضر.

ولهـذا لم يجترئ الشيطان على أن يقـول لأحدٍ مـن الصحـابة: إنه الخضر، ولا قال أحدٌ من الصحابة: إني رأيت الخضر.

= عروة ابن الزبير قال: فذكره.

● وله شـاهد عند الطبـري (١٦١٩٢) عن مـحمـد بن كـعب؛ وعنده (١٦١٨٤) عن السدي، وعند ابن أبي حاتم في («التفسير» ٩١٥٦) عن عباد بن عبد الله بن الزبير.

● قلت: ولعلّه بهذه الروايات والطرق يسـاعدُ على القولِ بنبـوته؛ وأن له أصلاً، وأنه قابلٌ للتحسين؛ والعلم عند رب العالمين.

(١) وأكثرهم من الصوفية.

○ قلت: والمقصود بالخضر هنا: صاحب موسى ﷺ؛ وقد نقل القرطبي في («التفسير» الكهف: ٧٧) عن الجمهور القولَ بنبـوته. بينما رأى آخرون أنه وليٌّ وليس بنبيٍّ. وقد توقفتُ في إثبات نبوته؛ كما في كتابي «روضـة المشتاقين في فضائل الأنبياء والمرسَلين» (فصلٌ: هل هؤلاء أنبياء) (ص: ٤٣٣) أقـول هذا؛ مع يقيني وجزمي بولايته وأنه من الصالحين الأتقياء ؛ وقد جـزم بثبوت نبوته علامة العصر ناصـر الدين الألباني ـ رحمه الله ـ. إما في «الصحيحة» أو «الضعيفة».

وإنما وقع هذا بعد الصحابة.

وكلَّما تأخر الأمر كثر، حتى إنه يأتي اليهود والنصارى، ويقول: إنه الخضر.

ولليهود كنيسةٌ معروفةٌ بكنيسة الخضر.

وكثيرٌ من كنائس النصارى يقصدها هذا الخضر. والخضر الذي يأتي هذا الشخص غير الخضر الذي يأتي هذا.

ولهذا يقول من يقول منهم: لكلِّ وليٍّ خضر؛ وإنما هو جنيٌّ معه.

والذين يدعون الكواكب، تتنزل عليهم أشخاصٌ يسمونها روحانية الكواكب، وهو شيطانٌ نزل عليه لمّا أشرك، ليُغويه.

كما تدخل الشياطين في الأصنام، وتكلِّم أحيانًا لبعض الناس، وتتراءى للسدنة أحيانًا[1]، ولغيرهم أيضًا.

وقد يستغيث المشرك بشيخ له غائب، فيحكي الجنيُّ صوته لذلك الشيخ، حتى يظن أنه سمع صوت ذلك المريد مع بعد المسافة بينهما. ثم إن الشيخ يُجيبه، فيحكي الجنيُّ صوتَ الشيخ للمريد، حتى يظن أن شيخه سمع صوته وأجابه، وإلا فصوتُ الإنسان يمتنع أن يبلغ مسيرة يوم، ويومين، وأكثر.

---

(١) تقدّم (ص: ٦٩٧ و ٦٩٨) إيرادُ تأييدٍ لذلك في قصة بعث خالد بن الوليد لهدم العزى عند النسائي في «الكبرى» عن أبي الطفيل.

○ قلت:

والسدنة؛ كما في «مختار الصحاح» (ص: ١٤٧) : «السادن خادم الكعبة، وبيت الأصنام؛ والجمع (السدنة)» انتهى. وكذا في («القاموس» ص: ١٥٥٥) وزاد: «وعمل الحِجَابة».

وقد يحصل للمريد أن يؤذيه، فيدفعه الجنيُّ، ويخيل للمريد أن الشيخ هو دفعه. وقد يُضرب الرجل بحجر، فيدفعه عنه الجني، ثم يصيب الشيخ بمثل ذلك، حتى يقول: إني اتقيت عنك الضرب، وهذا أثره فيَّ.

وقد يكونون يأكلون طعامًا، فيُصَوَّر نظيره للشيخ، ويجعل يده فيه، ويجعل الشيطان يده في طعام أولئك، حتى يتوهَّم الشيخ وهم أن يد الشيخ امتدت من الشام إلى مصر، وصارت في ذلك الإناء.

مناداة عمر: يا سارية الجبل الجبل

وعمر بن الخطاب لما نادى: يا سارية الجبل[1]؛ قال: (**إن لله جندًا يبلِّغونهم صوتي**)؛ فعلم أن صوته إنما يبلغ بما ييسره الله من تبليغ بعض الملائكة، أو صالحي الجن، فيتهفون بمثل صوته؛ كالذي ينادي ابنه، أو غير ابنه، وهو بعيدٌ؛ لا يسمع: يا فلان، فيسمعه من يريد إبلاغه، فينادي: يا فلان، فيسمع ذلك الصوت، وهو المقصود بصوت أبيه. وإلا فصوت البشر ليس في قوته أن يبلغ مسافة أيام.

وقد قلنا: إن آيات الأنبياء التي اختصوا بها خارجة عن قدرة الجن والإنس، قال تعالى: ﴿**قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا**﴾ [الإسراء: ٨٨] .

وأما إذا كانت مما تقدرُ عليه الملائكة؛ فهذا مما يؤيدها؛ فإن الملائكة لا يطيعون من يكْذبُ على الله، ولا يُؤيدونه بالخوارق، فإذا أُيِّد به، كما أيد

---

(١) تقدّم؛ (ص: ٩٦) وقد حسَّنهُ الحافظُ في «الإصابة» وابنُ كثير في «التاريخ» وغيرهما، ولفظة: «إن لله جندًا يبلغوني صوتي»؛ وقفت عليها عند الطبري في («التاريخ» ٢/ ٥٥٣) ذكر فتح فساو دارا، برواية السدى عن شعيب عن محمد عن أبي عمر (كذا!) وأخرجها أبو نعيم في «دلائل النبوة» (٥٢٧) (٢/ ٧٤١) وسندُهُ ضعيف.

الله به نبيه والمؤمنين يوم بدر[١]، ويوم حنين[٢]، كان هذا من أعلام صدقه، وأنه صادقٌ على الله، في دعوى النبوة؛ فإنها لا تؤيد الكذب، لكن الشياطين تؤيد الكذاب، والملائكة تؤيد الصدق.

التأييد من الملائكة بحسب الإيمان

والتأييد بحسب الإيمان، فمن كان إيمانه أقوى من غيره، كان جنده من الملائكة أقوى، وإن كان إيمانه ضعيفًا كانت ملائكته بحسب ذلك؛ كملَكِ الإنسان وشيطانه، فإنه قد ثبتَ في «الصحيح»[٣] عن النبيِّ ﷺ أنه قال: **«مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلاَّ وُكِّلَ به قَرِينُهُ مِنَ المَلائكَةِ وقَرِينُهُ مِنَ الجنِّ. قَالُوا: وَبِكَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: وَبي، لكنَّ الله أعَانَني عَلَيْهِ فَأسْلَمَ»**. وفي حديثٍ آخر[٤]: **«فَلاَ يَأمُرُني إلاَّ بخَيرٍ»**.

● وهو في «صحيح مسلم» من وجهين: من حديث ابن مسعود، ومن

---

(١) كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢].

(٢) كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ . ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦، ٢٧]. وقد مرّ (ص: ٤٣١).

(٣) يعني: «صحيح مسلم».

● وهو فيه برقم (٢٨١٤) عن ابن مسعود.

● وبرقم (٢٨١٥) عن عائشة.

(٤) تلك اللفظة تابعة للحديث، وليست في حديث آخر!

● **قلت**: ولفظُ حديث عائشة هو: أن رسول الله ﷺ خرج من عندها ميلاً. قالت: فغِرتُ عليه. فجاء فرأى ما أصنع. فقال: مالك يا عائشة؟! أغرت؟!» فقلت: وما لي لا يغار مثلي على مثلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «أقد جاءك شيطانك؟». قالت: يا رسول الله! أو معي شيطان؟ قال: «نعم» قلت ومع كلِّ إنسان؟ قال: «نعم» قلت: ومعك؟ يا رسول الله؟ قال: «نعم. ولكنّ ربي أعانني عليه حتى أسلم».

حديث عائشة.

○ وقال ابن مسعود: «إن للقلب لمة من الملك، ولمة من الشيطان، فلمة الملك: إيعاد بالخير، وتصديق بالحق، ولمة الشيطان: إيعاد بالشر، وتكذيب بالحق»(١).

---

(١) أثر صحيح عن ابن مسعود قوله.
وقد رُوي من وجوه عنه:
● فرواه حماد بن سلمة عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود موقوفًا. («العلل» لابن أبي حاتم ٢/ ٢٤٤).
● ورواه معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عبد الله عن ابن مسعود موقوفًا.
أخرجه الطبري في («التفسير» البقرة: ٢٦٨).
● ورواه جرير عن عطاء عن مرة عن ابن مسعود قوله: («التلبيس» لابن الجوزي) كما في («النفيس» رقم: ٣٧).
● ورواه مسعر عن عطاء عن أبي الأحوص عوف بن مالك بن فضلة عن ابن مسعود قوله (أشار إليه ابن كثير في «التفسير») (البقرة: ٢٦٨).
● قلتُ: وقد رُوي مرفوعًا عن ابن مسعود؛
فأخرجه الترمذيُّ (٢٩٨٨) والنسائي في («الكبري» التفسير ١/ ٢٧٩) وأبو يعلى في («المسند» ٤٩٩٩) (٨/ ٤١٧) وابن حبان في («الصحيح» ٩٩٧) (الموارد ٤٠) وابن جرير في («التفسير» البقرة ٢٦٨) وابن أبي الدنيا في («مكائد الشيطان» كما في تلبيس إبليس) (النفيس ٣٦ - ٣٧) وكما في (تفسير ابن كثير) وابن أبي حاتم كما في («التفسير» لابن كثير) والبزار في («البحر الزخار» ٢٠٢٧).
من طريق:
أبي الأحوص - وهو سلام بن سليم - عن عطاء بن السائب عن مرة الهمداني عن ابن مسعود مرفوعًا.
● قال الترمذيُّ: (حسن غريب لا نعلمه مرفوعًا إلا من حديث أبي الأحوص).
● قال البزار: «لا نعلمه يروي عن عبد الله عن النبي ﷺ إلامن هذا الوجه بهذا الإسناد؛ وقد رواه غير أبي الأحوص موقوفًا». =

فإذا كانت حسنات الإنسان أقوى، أُيّدَ بالملائكة تأييدًا يقهر به الشيطان، وإن كانت سيئاته أقوى، كان جند الشيطان معه أقوى، وقد يلتقي الشيطان المؤمن بشيطان الكافر، فشيطان المؤمن مهزولٌ ضعيف، وشيطان الكافر سمينٌ قوي.

الإنسان بفجوره يؤيد شيطانه على ملكه وبصلاحه يؤيد ملكه على شيطانه

فكما أن الإنسان بفجوره يؤيد شيطانه على ملكه، وبصلاحه يؤيد ملكه على شيطانه، فكذلك الشخصان يغلب أحدهما الآخر؛ لأن الآخر لم يؤيد مَلَكَه، فلم يؤيده، أو ضعف عنه؛ لأنه ليس معه إيمانٌ يُعينه؛ كالرجل الصالح إذا كان ابنهُ فاجرًا، لم يمكنه الدفع عنه لفجوره، وبَسْط هذه الأمور له موضعٌ آخر.

● **والمقصودُ هنا**؛ الكلام على الفرق بين آيات الأنبياء وغيرهم، وأن مَنْ قال: إن آيات الأنبياء، والسحر، والكهانة، والكرامات، وغير ذلك من جنسٍ واحدٍ، فقد غلط أيضًا.

المتكلمون لم يعرفوا آيات الأنبياء

والطائفتان لم يعرفوا قدر آيات الأنبياء، بل جعلوها من هذا الجنس؛

= **قلت**: وسماع أبي الأحوص من عطاء بعد الاختلاط ؛ وقد خُولف كما تقدّم.

● **قال الألبانيُّ في** («ضعيف الجامع» ١٩٦١) :

«سند الحديث عندي ضعيف لأن فيه عطاء بن السائب؛ وكان قد اختلط في آخر عمره، ورمز له بالضعف» ا.هـ وانظر («المشكاة» ٨٤) .

○ قلت: فالراجح الوقف؛ وانظر («العلل» لابن أبي حاتم ٢/ ٢٤٤) ؛ وقوّاه أيضًا شيخ الإسلام في («الفتاوى» ٤/ ٣١، ٣٢)؛ حيث قال: «وهذا الكلام الذي قاله ابن مسعود هو محفوظ عنه، وربما رفعه بعضهم إلى النبي ﷺ» . وانظر «تفسير ابن كثير» عند قول الله تعالى : ﴿ **الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ** ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

●وانظر «الوهم والإيهام» لابن القطان (٥/ ٨٢٥) فقد حسَّنهُ هناك؛ ولعلَّ مؤلف «الصحيح الجامع لأخبار الجن» (ص ٦٢ ط الفتوح) لم ينتبه حين حسَّن هذا الحديث من الوجه المروي عن النبي ﷺ.

فهؤلاء نفوه، وهؤلاء أثبتوه وذكروا فرقًا لا حقيقة له.

وإذا قال القائل: آياتُ الأنبياء لا يقدر عليها إلا الله، أو أن الله يخترعها ويبتدئها بقدرته، أو أنها من فعل الفاعل المختار، ونحو ذلك.

الردُّ على الأشاعرة

قيل له: هـذا كلامٌ مجملٌ؛ فقد يـقالُ عن كلِّ ما يكـون آية: لا يقدر عليـه إلا الله؛ فإن الله خالقُ كلِّ شيء، وغـيرهُ لا يستقل بـإحداث شيء، وعلى هذا: فلا فرق بين المعجزات وغيرها.

وقد يقال: لا يقدر عليها إلا الله أي: هي خارجةٌ عن مقدورات العباد، فإن مقدوراته على قسمين: منها مـا يفعله بواسطة قدرة العبد [أ]؛ كأفـعال العباد، وما يصنعونه؛ ومنها ما يفعله بدون ذلك، كإنزال المطر.

فإن أراد هذا القائل: أنها خارجة عن مقدور الإنس؛ بمعنى: أنه لا يقع منهم؛ لا بإعانة الجن، ولا بغير ذلك؛ فهذا كلامٌ صحيحٌ.

وإن أراد أنه خارج عن مقـدورهم فقط، وإن كان مقدورًا للـجن؛ فهذا ليس بصحيح؛ فإن الرسل أرسلوا إلى الإنس والجن، والسحر والكهانة وغير ذلك تقدر الجنُّ على إيصالها إلى الإنس، وهي مناقضةٌ لآيات الأنبياء؛ كما قال تـعالـى: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ . تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

وإن أراد أنها خارجة عن مقدور الملائكة والإنس والجن أو أن الله يفعلها بلا سبب: فهذا أيضًا باطلٌ.

فمن أين له أن الله يخلقها بلا سبب؟ ومن أين له أنه لا يخلقها بواسطة الملائكة الذين هم رسله في عامة ما يخـلقه؟ فمن أين له أن جبريل لم ينفخ في مريم حتى حملت بالمسيح؟ وقد أخبر الله بذلك.

(أ) في «خ»: «العباد».

وهو وأمه مما جعلهما آيةً للعالمين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

خلق المسيح بلا أب من أعظم الآيات وكان بواسطة نفخ جبريل

وخلْقُ المسيح بلا أب من أعظم الآيات؛ وكان بواسطة نفخ جبريل، قال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا . قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا . قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ[1] لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا . قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾ [مريم: ١٧ ـ ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢]

وكذلك طمْسُ أبصارِ قوم لوط كان بواسطة الملائكة [2].

والذي عنده علمٌ من الكتاب لما قال عفريتٌ من الجن لسليمان: ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ . قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النمل: ٣٩، ٤٠]؛ أتته به الملائكة [3].

كذلك ذكره المفسرون عن ابن عباس [4] وغيره: أن الملائكة أتته به أسرع

(١) قال الشيخ الفقي: «قوله: «ليهب» بالياء وهي قراءة أبي عمرو وورش وقالون والباقون يقرؤونها لأهب بالهمزة بدل الياء».

(٢) كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٢٧].

(٣) تقدَّم (ص: ٣٣٧) أنه لم يرد نصٌّ يبين من هو «الذي عنده علمٌ من الكتاب» وقد اختلف في ذلك المفسرون؛ مع أن أكثرهم؛ كما تقدّم؛ يرى أنه آصف به برخيا وكان صديقًا يعلم اسم الله الأعظم؛ وهوما رجحه البيهقي في «الاعتقاد»؛ وإن كنتُ أميل إلى ظاهر سياق الآي القرآني؛ بأنه جنٌّ مسخرٌ لنبي الله سليمان ﷺ؛ وهو ما قال به ابن تيمية في مكانٍ آخر من هذا المصنَّف؛ والله أعلم.

(٤) أثر ابن عباس:

أورده البغوي في («المعالم» ٣/ ٤٢٠ النمل: ٤٠) قال: =

مما كان يأتي به العفريت.

وقد أخبر الله تعالى أنه أيَّد محمدًا ﷺ بالملائكة وبالريح، وقال تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٩].

وقال تعالى يوم حنين: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

وقال تعالى يوم الغار: ﴿فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [التوبة: ٤٠]. وقال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢].

○ وقد ثبتَ في «الصحيح»[(١)]: «**أن الإنسان يُصوِّره مَلَكٌ في الرَّحم بإذن الله، ويقول الملك: أي: ربِّ نطفة، أي: رب علقة، أي رب مضغة**»، فإذا كان الخلق المعتاد يكون بتوسط الملائكة.

وقال ـ يُقرر التوحيد ـ بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ﴾ [البقرة: ٢١] الآيات.

ثم النبوة، بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ﴾ [البقرة: ٢٣]، ثم المعاد.

= «وروي جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال: فذكره في سياق».

● **قلت**: وهذا إسنادٌ ضعيفٌ جدًا. فجويبر ومقاتل لا يحتج بهما؛ والضحاك كثير الإرسال، ولم يسمع من ابن عباس على قول الأكثرين؛ كما في («جامع التحصيل») ترجمة: الضحاك بن مُزاحم.

(١) («البخاري» ٣٣٣٣) و («مسلم» ٢٦٤٦) عن أنس مرفوعًا؛ وهو في («صحيح مسلم» ٢٦٤٤) عن حذيفة بن أسيد مرفوعًا، وأخرجه «البخاري» (برقم: ٣٢٠٨، ٣٣٣٢) و («مسلم» برقم: ٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود ﷺ قال: حدثنا رسول الله ﷺ ـ وهو الصادق المصدوق ـ قال: «إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك؛ ثم يبعث الله ملكًا... الحديث».

وكذلك - في[أ] الأنعام - يُقرر التوحيدَ، ثم النبوةَ في وسطها، ثم يختمها بأصول الشرائع والتوحيد أيضًا، وهو ملة إبراهيم[1] ؛ وهذا مبسوطٌ في غير هذا الموضع.

● **والمقصودُ:** أنه قد بيَّن انفراده بالخلق، والنفع، والضر، والإتيان بالآيات، وغير ذلك، وأن ذلك لا يقدر عليه غيره؛ قال تعالى: ﴿ **أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لاَّ يَخْلُقُ** ﴾ [النحل: ١٧] .

وقال تعالى: ﴿ **وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ . بَدِيعُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ . ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ . لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ . قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ . وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . اتَّبِعْ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ . وَلا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا**

---

(١) قال تعالى لنبيه محمد ﷺ : ﴿ **قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا** ﴾ [الأنعام: ١٦١] . وغيرها من الآيات؛ كقوله : ﴿ **إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ** ﴾ [النحل: ١٢٠].

●● وفي « مسند أحمد » (٣ / ٤٠٧) وغيره **بإسناد حسنهُ الحافظ في («النتائج» ٢/ ٣٨٠)** من حديث عبد الرحمن بن أبزى قال: كانَ رسول الله ﷺ إذا أصبح قال: «أصبحنا على فطرة الإسلام؛ وكلمة الإخلاص، ودين نبينا محمد ﷺ ؛ وملة أبينا إبراهيم حنيفًا مسلمًا؛ وما كان من المشركين».

(أ) من «خ» وليست في المطبوع.

كَانُوا يَعْمَلُون . وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لا يُؤْمِنُونَ . وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠٠ ـ ١١٠] .

ففي هذه الآيات تقرير التوحيد، حتى في إنزال الآيات، قال : ﴿ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ ﴾ .

وكذلك قوله في العنكبوت : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ . أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾

[العنكبوت: ٥١ ـ ٥٢]

وقال أيضًا : ﴿ وَقَالُوا لَوْلا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يُنَزِّلَ آيَةً وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأنعام: ٣٧]، هذا بعد قوله : ﴿ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِيَ نَفَقًا فِي الأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِي السَّمَاءِ فَتَأْتِيَهُم بِآيَةٍ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدَىٰ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأنعام: ٣٥] .

وهو أرسله بآيات بان بها الحق، وقامت بها الحجة ، وكانوا يطلبون آيات تعنتًا، فيظن من يظن أنهم يهتدون بها، لكن لا يحصل بها المقصود، وقد تكون موجبة لعذاب الاستئصال، فتكون ضررًا بلا نفع، وبيَّن سبحانه أنه قادرٌ على إنزال الآيات، وأنها ليست إلا عنده.

وغير أفعال العباد؛ قد اتفق الناس على أنه لا يخلقه إلا الله، وإنما تنازعوا في أفعال العباد [١] .

---

(١) وقد فصَّلهَا المصنف ـ رحمه الله ـ في («الفتاوي» ٨/ ١١٧ فما بعدها).

والصواب: أنها أفعال لهم، وهي مخلوقة لله (١)، لكن آيات الأنبياء لا تكون مما يقدر عليه العبد، كما قال: ﴿قُلْ إِنَّمَا الآيَاتُ عِندَ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٩]

والملائكة إنما هي سببٌ من الأسباب؛ كما في خلق المسيح من غير أب، فجبريل إنما كان مقدوره النفخ فيها، وهذا لا يُوجب الخلق، بل هو بمنزلة الإنزالِ في حقٍّ غير المسيح.

وكذلك المسيح لما خلَق من الطين كهيئة الطير (٢): إنما مقدوره تصوير الطين، وأما حصول الحياة فيه: فبإذن الله؛ فإن الله يحيي ويميت، وهذا من خصائصه؛ ولهذا قال الخليل: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

وفي القرآن، في غير مواضع: ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ [الروم: ١٩]، ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، ﴿وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الروم: ١٩]، ﴿وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ [آل عمران: ١٥٦].

وما يتولّد عن أفعال الملائكة وغيرهم ليسوا مستقلين به، بل لهم فيه شركة؛ كطمس أبصار اللوطية (٣)، وقلب مدينتهم (٤).

---

(١) قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦] وقال سبحانه: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [غافر: ٦٢]؛ فأفعالُ العبادِ مخلوقةٌ لله؛ مفعولةٌ له؛ ليست هي نفس فعله؛ وأما العبد فهي فعله القائم به. كما قال في («الفتاوي» ص ١٢٢/ ٨).

(٢) كما في («آل عمران»: ٤٩، و«المائدة»: ١١٠).

(٣) كما في («القمر» ٣٧).

● قلت: واللوطية؛ نسبة لقوم لوط؛ وقد جاءت هذه النسبة هكذا في حديث رواه أحمد عن عبد الله بن عمرو مرفوعًا ووقفه أصح؛ كما في ابن كثير («التفسير البقرة»: ٢٢٣).

(٤) كما في («هود»: ٨٢ و«الحجر»: ٧٤) من قول الله: ﴿فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾.

وكذلك النصر: إنما يقدرون على القتال كالإنس، والنصر هو من عند الله؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ١٠].

والقرآنُ إنما يقدرون على النزول به، لا على إحداثه ابتداءً، فهم يقدرون على الإتيان بمثله من عند الله.

وأما الجن والإنس فلا يقدرون على الإتيان بمثله؛ لأن الله يكلِّم بمثله الجن والإنس ابتداءً.

ولهذا قال: ﴿لا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ﴾ [الإسراء: ٨٨]، وقال تعالى: ﴿فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ [البقرة: ٢٣]، وقال: ﴿فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ﴾ [هود: ١٣]، وقال: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، لَمْ يكلِّفهم نفس الإحداث، بل طالبهم بالإتيان بمثله؛ إما إحداثًا، وإما تبليغًا عن الله، أو عن مخلوق؛ ليُظهر عجزهم عن جميع الجهات؛ فقد يُقال: فنفسُ أفعالِ العباد ليست من الآيات؛ إذ كانت مقدورة ومفعولةً للعبد، وإن كان ذلك بإقدار الله تعالى، ولا نفس القدرة على ذلك الفعل؛ فإن المقصود من القدرة هو الفعل.

بل الآيات خارجة عن مقدور جميع العباد؛ الملائكة، والجن، والإنس، وهي أيضًا لا تُنال بالاكتساب؛ فإن الإنس والجن قد يقدرون بأسباب مباينة لهم على أمور؛ كما يقدرون على قتل من يقتلونه، وإمراضه، ونحو ذلك.

آيات الأنبياء لا يتوصل إليها بسبب

وآيات الأنبياء لا يقدر أحدٌ أن يتوصل إليها بسبب.

والسحر والكهانة مما يمكن التوصل إليه بسبب؛ كالذي يأتي بأقوالٍ وأفعالٍ تحدثه بها الجن.

فالنبُوة لا تُنال بكسب العبيد، ولا آياتُها تحصل بكسب العباد، وهذا من الفروق بين آيات الأنبياء، وبين السحر والكهانة، **وبينهما فروقٌ كثيرةٌ، أكثر من عشرة:**

من الفروق بين آيات الأنبياء وبين خوارق السحرة والكهان

● **أحدها:** أن ما تخبر به الأنبياء، لا يكون إلا صدقًا. وأما ما يُخبر به من خالفهم؛ من السحرة، والكهان، وعُبّاد المشركين، وأهل الكتاب، وأهل البدع، والفجور من المسلمين؛ فإنه لا بد فيه من الكذب.

● **الثاني:** أن الأنبياء لا تأمر إلا بالعدل، ولا تفعل إلا العدل؛ وهؤلاء المخالفون لهم لا بُد لهم من الظلم؛ فإنَّ ما خالف العدل لا يكون إلا ظلمًا؛ فيدخلون في العدوان على الخلق، وفعل الفواحش، والشرك، والقول على الله بلا علم، وهي المحرمات التي حرمها الله مطلقًا؛ كما قال تعالى: ﴿ **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ** ﴾

[الأعراف: ٣٣]

● **الثالث:** أن ما يأتي به من يخالفهم معتادٌ لغير الأنبياء؛ كما هو معتادٌ للسحرة، والكهان، وعباد المشركين، وأهل الكتاب، وأهل البدع والفجور.

وآيات الأنبياء هي معتادة أنها تدل: على خبر الله وأمره، على علمه وحكمه؛ فتدلُّ على أنهم أنبياء، وعلى صدق من أخبر بنبوتهم؛ سواء كانوا هم المخبرين، أو غيرهم.

وكرامات الأولياء هي من هذا؛ فإنهم يخبرون بنبوة الأنبياء. وكذلك أشراط الساعة: هي أيضًا تدلُّ على صدق الأنبياء؛ إذ كانوا قد أخبروا بها.

فالذي جعله أولئك من كرامات الأولياء، وأشراط الساعة ناقضًا لآيات الأنبياء، إذ هو من جنسها، ولا يدل عليها، فأولئك كذبوا بالموجود.

وهؤلاء سوَّوا بين الآيـات وغيرها، فلم يكـن في الحقيقة عـندهم آية، وكانت الآيات عند أولئك منتقضة.

وأولئك نصروا جهلهم بالتكذيب بالحق.

وهؤلاء نصروا جهلهم أيضًا بقول الـباطل؛ فقالوا: إن الآية هي المقرونة بالدعوى التي لا تعارَض، وزعموا أنه لا يمكـن معارضة السحر والكهانة إذا جُعل آية، وأنه إذا لم يعارض، كان آيةً، وهو تـكذيب بالحق أيضًا، فإنه قد ادَّعاه غير نبيٍّ، ولم يعارض.

فالطـائفتان أدخلت فـي الآيات ما ليس منـها، وأخرجت منهـا ما هو منها؛ فكراماتُ الأولياء، وأشراط الساعة من آيات الأنبياء، وأخرجوها.

والسحـر والكهانـة ليس من آياتـهم، وأدخلوهـا، أو سوَّوا بينـها وبين الآيات، بل ونوابها [١].

● **الرابـع**: إن آيات الأنبياء والنبوة، لو قُدر أنـها تُنال بالاكتساب، فهي إنما تُنال بعبادة الله وطاعته؛ فإنه لا يقول عاقلٌ: إن أحدًا يصير نبيًا بالكذب والظلم، بل بالـصدق والعدل؛ سواءٌ قال: إن النبوة جزاء عـلى العمل، أو قال: إذا زكى نفسه، فاض عليه ما يفيض على الأنبياء، فعلى القولين: هي مستلزمةٌ لالتزام الصدق والعدل.

وحينـئذٍ: فيمـتنع أن صاحبـها يكذب علـى الله؛ فإن ذلك يفـسدها؛ بخلاف من خالف الأنبياء؛ من السـحرة، والكهان، وعُباد المشركين، وأهل البدع والفجور؛ من أهل الملل؛ أهل الكتاب، والمسلمين؛ فإن هؤلاء تحصل لهـم الخوارق، مع الـكذب والإثم، بل خـوارقهم مـع ذلك أشد؛ لأنـهم يخالفون الأنبياء، وما ناقض الصدق والعدل، لم يكن إلا كذبًا وظلمًا.

---

(١) قال الفقي: «هكذا بالأصل»، ولعله: «بل قدموها».

○ فكلٌّ من خالف طريق الأنبياء؛ لا بد له من الكذب والظلم؛ إما عمدًا، وإما جهلاً.

وقوله تعالى: ﴿ تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢٢]؛ ليس من شرطه أن يتعمد الكذب، بل من كان جاهلاً يتكلَّم بلا علم، فيكذب؛ فإن الشياطين تنزل عليه أيضًا؛ إذ من أخبر عن الشيء بخلاف ما هو عليه، من غير اجتهادٍ يُعذر به، فهو كذاب.

ولهذا يصف الله المشركين بالكذب، وكثيرٌ منهم لا يتعمد ذلك؛ وكذلك قال النبيُّ ﷺ لما أفتى أبو السنابل: «**بأن المُتوفي عنها الحامل لا تحل بوضع الحَمْلِ، بَل تَعْتَدَ أبعد الأجلَين**؛ فقال: «**كذب أبو السنابل**» [(١)]؛ أي: في قوله: بأن المتوفي عنها الحامل لا تحل بوضع الحمل، بل تعتد أبعد الأجلين.

وكذلك لما قال بعضهم: ابن الأكوع حبط عمله، قال النبيُّ ﷺ: «**كذب من قالها، إنه لجاهدٌ مجاهد**» [(٢)]، ونظائره كثيرة.

فالأنبياء لا يقع في إخبارهم عن الله كذب؛ لا عمدًا، ولا خطأ.

وكلٌّ من خالفهم لا بد أن يقع في خبره عن الله كذب ضرورة، فإن خبره إذا لم يكن مطابقًا لخبرهم، كان مخالفًا له، فيكون كذبًا.

فالذي تنزَّل عليه الشياطين إذا ظن واعتقد أنهم جاؤوا من عند الله، وأخبر بذلك، كان كاذبًا، وكذلك إذا قال عما أوحوه إليه: إن الله أوحاه

(١) سبق (ص: ٥٥٦ حاشية: ١)؛ وهو في «الصحيحين» دون قوله: «كذب أبو السنابل» ففيها كلامٌ من جهة الإسناد.

(٢) **صحيح**؛ وقد تقدّم (ص ٥٥٨) حاشية (١).

إليه، كان كاذبًا؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ﴾
[الأنعام: ١٢١]

ولما شاع خبر المختار بن أبي عبيد، وهو أول من ظهر في الإسلام بالكذب في هذا [١]، وثبتَ في الصحيح[٢] عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**يكونُ في ثَقيف كذَّابٌ ومبير**»، فكان الكذاب هو المختار بن أبي عبيد، وكان يتشيع لعلي؛ ولهذا يوجد الكذب في الشيعة أكثر مما يوجد في جميع الطوائف، والمبير: هو الحجاج بن يوسف [٣]، وكان ظالمًا معتديًا، وكان

(١) ● **قال تلميذه الذهبي في** («**الميزان**» ٤/ ٨٠): «المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذّاب. لا ينبغي أن يُرْوى عنه شيء لأنه ضال مُضل. كان يزعم أن جبريل كان ينزل عليه..».

● قلت: وقد ترجمه الحافظ ابن كثير في («التاريخ» ٨/ ٢٩٢) وقال: (وكان يُظهر التشيع ويبطن الكهانة، وأسرّ إلى أخصائه أنه يوحى إليه، ولكن ما أدري هل كان يدّعي النبوة أم لا؟.. ولا شك أنه كان ضالاً مضلاً أراح الله المسلمين منه».

وقد ذكر ابن كثير أن مصعب بن الزبير حاصر المختار وضيق عليه حتى قتله جنوده وأتوه برأسه؛ فوضعت بين يديه؛ كما وضع رأس ابن زياد بين يدي المختار؛ وكما وضع رأس الحسين بين يدي ابن زياد؛ وكما وضع رأس مصعب بين يدي عبد الملك بن مروان [١]. («البداية والنهاية» ٨/ ٢٩١).

وقد قال العلامة أحمد شاكر («التعليق على الطبري» ١٢/ ٨٦): «كذاب متنبئ خبيث، قتله الله بيد مصعب بن الزبير وأصحابه سنة ٦٧ من الهجرة».

(٢) («**صحيح مسلم**» برقم: ٢٧٤٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر مرفوعًا. في قصة طويلة.

● **قلت**: وهو عند البيهقي في («الدلائل» ٦/ ٤٨١، ٤٨٢) والحميدي (٣٢٦).

(٣) **الثقفي الأمير؛ كان قتّالاً مبيرًا**؛ ترجمه الذهبي في («السير» ٤/ ٣٤٣) حيث قال فيه: «**أهلكه الله في رمضان** سنة خمسٍ وتسعين كهلاً؛ وكان ظلومًا، جبارًا، ناصبيًا، =

(١) وقد بكى عبد الملك بكاء حارًا حين رأى رأس مصعب بين يديه؛ كما في «البداية» (٨/ ٣٢٠).

يتشيع لعثمان، والمختار يتشيع لعليٍّ، فذُكر لابن عمر [١]، وابن عباس[٢]

= خبيثًا، سفاكًا للدماء. وكان ذا شجاعة وإقدام، ومكر ودهاء، وفصاحة وبلاغة، وتعظيم للقرآن. قد سقت من سوء سيرته في تاريخي الكبير، وحصاره لابن الزبير بالكعبة ورميه إياها بالمنجنيق، وإذلاله لأهل الحرمين، ثم ولايته على العراق والمشرق كلّه عشرين سنة، وحروبٌ ابن الأشعث له، وتأخيره للصلوات؛ إلى أن استأصله الله. فنسُبُّه ولا نحبه. بل نبغضه في الله. فإن ذلك من أوثق عري الإيمان. وله حسنات مغمورة في بحر ذنوبه. وأمْره إلى الله. وله توحيدٌ في الجملة، ونظراء من ظلمة الجبابرة والأمراء» انتهى.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في («التفسير» ٧٨٤٠) من طريق:
أبي بكر بن عياش عن أبي إسحاق قال: قال رجل لابن عمر: إن المختار يزعم أنه يوحى إليه؛ قال: «صدق؛ فتلا هذه الآية: ﴿وإنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾».
● قلتُ: وإسناده معلٌّ بسماع أبي بكر من أبي إسحاق - وهو السبيعي؛ كما قال أبو حاتم [١] في («علل الحديث» لابنه ١/ ٣٥): «وسماع أبي بكر من أبي إسحاق ليس بذاك القوي» ا.هـ.
○ وسماع أبي إسحاق من ابن عمر نفاهُ أبو حاتم كما في («جامع التحصيل» برقم: ٥٧٦) وقال: «إنما رآه رؤية».

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في («التفسير» ٧٨٤١) عن أبيه؛ ومن طريقه الطبري في («التفسير» برقم: ١٣٨٣٢) عن المثنى كلاهما عن أبي حذيفة عن عكرمة بن عمّار عن أبي زميل قال: كُنْت قاعدًا عند ابن عباس فجاءه رجل من أصحابه؛ فقال: يا أبا عباس، زعم أبو إسحاق أنه أوحى إليه الليلة! - يعني المختار بن أبي عبيد - فقال ابن عباس: صدق! فنفرت؛ فقلت: يقول ابن عباس: «صدق»! فقال ابن عباس: هما وحيان؛ وحي الله؛ ووحي الشيطان، فوحي الله إلى محمد، ووحي الشيطان إلى أوليائهم؛ ثم قرأ: ﴿وإنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾. قلتُ: وسندهُ فيه أبو حذيفة وهو موسى بن مسعود النهدي قال الحافظ في «التقريب»: «صدوقٌ سيء الحفظ؛ وكان يصحف وحديثه عند البخاري في المتابعات» ا.هـ. وقد روي عنه أبو حاتم؛ وهو ممن يتشدد في من يروي عنهم. وعكرمة بن عمار متكلّم فيه؛ خاصة =

(١) أفادهُ محقق الكواكب النيرات لابن الكيال. الأخ عبد القيوم عبد رب النبي (ص: ٣٥٦).

أمر المختار، وقيل لأحدهما: إنه يزعم أنه يوحى إليه، فقال: صدق، ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقيل للآخر[١]: إنه يزعم أنه ينزل عليه، فقال: صدق: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١، ٢٢٢].

● **الخامس**: أن ما تأتي به السحرة، والكهان، والمشركون، وأهل البدع؛ من أهل الملل، لا يخرج عن كونه مقدورًا للإنس والجن.

وآيات الأنبياء لا يقدر على مثلها؛ لا الإنس ولا الجن؛ كما قال تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

● **السادس**: أن ما يأتي به السحرةُ، والكهّان، وكلُّ مخالف للرسل تُمكن معارضته بمثله، وأقوى منه؛ كما هو الواقع لم عَرَف هذا الباب.

وآيات الأنبياء، لا يُمكن أحدًا أن يعارضها؛ لا بمثلها، ولا بأقوى منها.

وكذلك كراماتُ الصالحين، لا تعارض؛ لا بمثلها، ولا بأقوى منها؛ بل

= في روايته عن يحيى بن أبي كثير قال الحافظ في «التقريب»: «صدوق يغلط». وأبو زميل هو سماك بن الوليد وهو ثقة.

(١) إنما الذي وقفتُ عليه؛ تلا هذه الآية عبد الله بن الزبير بن العوام؛ كما عند الطبري في («التفسير» ٢٦٨٢٩) وابن أبي حاتم في («التفسير» ١٦٠٣٩) وعزاه السيوطي في «الدر» لابن أبي شيبة وعبد ابن حميد. من طريق إسرائيل عن أبي إسحاق عن سعيد ابن وهب قال: كنت عند عبد الله بن الزبير؛ فقيل له: إن المختار يزعم أن يوحي إليه؛ فقال: صدق، ثم تلا: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَن تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ. تَنَزَّلُ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء].

● **قلت: وفي سنده أبو إسحاق وهو السبيعي مختلط؛ ورواية إسرائيل عنه بعد اختلاطه؛ كما في («الكواكب» ص: ٣٥٠)؛ مع أن روايته عنه في الصحيحين؛ كما في المصدر المتقدم (ص٣٥١).**

قد يكون بعضها آيات أكبر من بعض، وكذلك آيات الصالحين.

لكنها متصادقة، متعاونة على مطلوب واحد، وهو عبادةُ الله، وتصديق رسله، فهي آياتٌ، ودلائلُ، وبراهين متعاضدة على مطلوب واحد، والأدلة بعضها أدلُّ وأقوى من بعض.

ولهذا كان المشايخ ـ الذين يتحاسدون، ويتعادون ويقهر بعضهم بعضًا بخوارقه؛ إما بقتلٍ وإمراض، وإما بسلب حاله وعزله عن مرتبته، وإما غير ذلك ـ؛ خوارقهم شيطانيةٌ، ليست من آيات الأنبياء والأولياء.

وكثيرٌ من هؤلاء يكون في الباطن كافرًا منافقًا، وكثيرٌ منهم يموتُ على غير الإسلام. وكثيرٌ منهم يكون مسلمًا مع ظلم يُعرف أنه ظلم، ومنهم من يكون جاهلاً يحسب أن ما هو عليه مما أمر الله به ورسوله، وهذا كما يقع للملوك المتنازعين على الملك من قهر بعضهم لبعض. فهذا خارجٌ عن سنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه الراشدين.

● **السابع**: أن آيات الأنبياء هي الخارقة للعادات؛ عادات الإنس والجن، بخلاف خوارق مخالفيهم؛ فإنَّ كلَّ ضرْب منها معتادٌ لطائفة غير الأنبياء.

وآيات الأنبياء ليست معتادةً لغير الذين يصدقون على الله، ويصدقون من صدَق على الله؛ وهم الذين جاؤا بالصدق وصدّقوا، وتلك معتادة لمن يفتري الكذب على الله، أو يكذب بالحق لما جاءه، فتلك آيات على كذب أصحابها، وآيات الأنبياء آياتٌ على صدْق أصْحَابها؛ فإن الله سبحانه لا يُخلي الصادق مما يدلُّ على صدْقه، ولا يُخلي الكاذب مما يدل على كذبه؛ إذ من نعته ما أخبر به في قوله: ﴿**أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ**﴾ [الشورى: ٢٤]، ثم قال خبرًا مبتديًا: ﴿**وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ**﴾ [الشورى: ٢٤]؛ فهو سبحانه لا بد أن يمحق الباطل، ويحق الحق بكلماته.

وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ . لَوْ أَرَدْنَا أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لاَّتَّخَذْنَاهُ مِن لَّدُنَّا إِن كُنَّا فَاعِلِينَ . بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٦ ـ ١٨] .

كما أخبر في موضعٍ أنَّه لم يَخْلق الخلق عبثًا ولا سدى[١] ، وإنما خلقهم بالحق وللحق، فلا بد أن يجزي هؤلاء وهؤلاء بإظهار صدق هؤلاء، وإظهار كذب هؤلاء؛ كما قال: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨] .

● **الثامن**: أن هذه لا يقدر عليها مخلوق، فلا تكونُ مقدورةً للملائكة، ولا للجن، ولا للإنس، وإن كانتْ الملائكة قد يكون لهم فيها سبب بخلاف تلك؛ فإنها إما مقدورة للإنس، أو للجن، أو مما يمكنهم التوصل إليها بسبب.

وأما كراماتُ الصالحين فهي من آيات الأنبياء ـ كما تقدم ـ، ولكن ليست من آياتهم الكبرى، ولا يتوقف إثبات النبوة عليها، وليست خارقة لعادة الصالحين، بل هي معتادة في الصالحين من أهل الملل؛ في أهل الكتاب، والمسلمين.

وآيات الأنبياء التي يختصون بها خارقةٌ لعادة الصالحين.

● **التاسع**: أن خوارق غير الأنبياء؛ الصالحين، والسحرة، والكهان، وأهل الشرك، والبدع، تنالُ بأفعالهم؛ كعباداتهم، ودعائهم، وشركهم، وفجورهم، ونحوَ ذلك.

وأما آيات الأنبياء فلا تحصل بشيء من ذلك، بل الله يفعلها آيةً وعلامةً لهم، وقد يُكرمهم بمثل كرامات الصالحين، وأعظم من ذلك، مما يقصد به

(١) في (سورة «المؤمنون»: ١١٥).

إكرامهم.

لكن هذا النوع[1] يقصد به الإكرام والدلالة، بخلاف الآيات المجردة؛ كانشقاق القمر، وقلب العصا حية، وإخراج يده بيضاء، والإتيان بالقرآن، والإخبار بالغيب الذي يختصُّ الله به.

فأمرُ الآيات إلى الله، لا إلى اختيار المخلوق، والله يأتي بها بحسب علمه، وحكمته، وعدله، ومشيئته، ورحمته؛ كما يُنزل ما يُنزله من آيات القرآن، وكما يخلق من يشاء من المخلوقات؛ بخلاف ما حصل باختيار العبد؛ إما لكونه يفعل ما يُوجبه، أو يدعو الله به فيجيبه؛ فالخوارق التي ليست آيات. تارة تكون بدعاء العبد، والله تعالى يُجيب دعوة المضطر إذا دعاه، وإن كان كافراً[2]؛ لكن للمؤمنين من إجابة الدعاء ما ليس لغيرهم.

وتارةً تكون بسعيه في أسبابها؛ مثل توجهه بنفسه وأعوانه، وبمن يُطيعه من الجن والإنس في حصولها.

وأما آيات الأنبياء: فلا تحصل بشيء من ذلك.

● **العاشر**: أن النبيَّ قد خلَتْ من قبله أنبياء يعتبر بهم؛ فلا يأمر إلا بما أمرت به الأنبياء؛ من عبادة الله وحده، والعمل بطاعته، والتصديق باليوم الآخر، والإيمان بجميع الكتب والرسل، فلا يُمكن خروجُه عما اتفقت عليه الأنبياء.

وأما السحرة، والكهان، والمشركون، وأهل البدع من أهل الملل، فإنهم

---

(١) قال الشيخ الفقي:
«يعني بذلك مثل النصر على الأعداء وكشف الكربات ونوال الرغبات؛ فهذا النوع فيه الإكرام والدلالة بخلاف الثاني؛ للدلالة فقط».

(٢) كما في («يونس»: ٢٢، ٢٣).

يخرجون عما اتفقت عليه الأنبياء؛ فكلُّهم يُشركون مع تنوعهم، ويُكذّبون ببعض ما جاء به الأنبياء، والأنبياء كلهم مُنَزَّهون عن الشرك، وعن التكذيب بشيء من الحق الذي بعث الله به نبيًا؛ قال تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ . فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ﴾ [البقرة: ١٣٦ـ ١٣٧].

وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً . أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا﴾ [النساء: ١٥٠ـ ١٥١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

وقال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٣] .

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ . وَإِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [المؤمنون: ٥١ ـ ٥٢]، ثم قال: ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون: ٥٤].

وقال تعالى لما ذكر الأنبياء: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ . وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ كُلٌّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ . فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾ [الأنبياء: ٩٣ ـ ٩٤].

وقال تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ . بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾ [البقرة: ١١١ـ ١١٢] .

فالأنبياء يُصدِّق متأخرُهم متقدمَهم، ويُبشِّر متقدمُهم بمتأخِّرهم؛ كما بشَّر المسيح ومن قبْلَه بمحمد[١]، وكما صدق محمدٌ جميع النبيين قبلَهُ؛ ولهذا يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ ﴾ [النساء: ٤٧].

وقال: ﴿ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ . مِن قَبْلُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾ [آل عمران: ٣ ـ ٤]

وقال: ﴿ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾ [المائدة: ٤٨] .

---

(١) كما في («البقرة» ١٢٩) و («الصف» ٦).

والأنبياء، وأتباعهم، كلُّهم مؤمنون، مسلمون؛ يعبدون الله وحده بما أمر، ويُصدقون بجميع ما جاءت به الأنبياء.

ومن خالفهم: لا يكون إلا مُشركًا، ومكذبًا ببعض ما أنزل الله، وبين الطائفتين فروقٌ كثيرةٌ غير خوارق العادات.

● **الحادي عشر**: أن النبيَّ هو وسائر المؤمنين لا يُخبرون إلا بحق، ولا يأمرون إلا بعدل؛ فيأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويأمرون بمصالح العباد في المعاش والمعاد، لا يأمرون بالفواحش، ولا الظلم، ولا الشرك، ولا القول بغير علم.

فهم بُعثوا بتكميل الفطرة وتقريرها، لا بتبديلها وتغييرها، فلا يأمرون إلا بما يُوافق المعروف في العقول، الذي تتلقاه القلوب السليمة بالقبول.

فكما أنهم هم لا يختلفون؛ فلا يُناقض بعضهم بعضًا، بل دينهم - وملتهم - واحد، وإن تنوعت الشرائع، فهم أيضًا موافقون لموجب الفطرة التي فطر الله عليها عباده، موافقون للأدلة العقلية لا يُناقضونها قط، بل الأدلة العقلية الصحيحة كلّها توافق الأنبياء لا تخالفهم.

وآيات الله السمعية والعقلية؛ العيانية والسماعية؛ كلُّها متوافقة، متصادقة، متعاضدة؛ لا يُناقض بعضها بعضًا؛ كما قد بُسط هذا في غير هذا الموضع.

والذين يُخالفون الأنبياء؛ من أهل الكفر، وأهل البدع؛ كالسحرة، والكهان، وسائر أنواع الكفار؛ وكالمبتدعين من أهل الملل؛ وأهل العلم، وأهل العبادة؛ فهؤلاء مخالفون للأدلة السمعية والعقلية؛ للسماعية والعيانية، مخالفون لصريح المعقول، وصحيح المنقول؛ كما أخبر الله عنهم بقوله: ﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [الملك: ٨] الآية.

فهؤلاء يُـخالفون أقـوال الأنبياء؛ إما بـالتكذيب، وإمـا بالتحـريف من التأويل، وإمـا بالإعراض عنها وكتـمانها؛ فإما أن لا يذكـروها، أو يذكروا ألفاظها، ويقولـون: ليس لها معنى يعرفه مخلـوق؛ كما أخبر الله عن أهل الكـتاب: أن منهـم من يُكذب فـي اللفظ، ومـنهم من يُـحرف الكلـم في المعنى، ومنـهم جُهَّال لا يفقهون ما يقـرؤون، قال تعالى: ﴿**أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ**﴾ [البقرة: ٧٥] إلى قوله: ﴿**فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ**﴾ [البقرة: ٧٩].

الأنبياء كملوا الفطرة ومخالفوهم أفسدوا الحس والعقل والخبر

وكذلك هم مخالفـون للأدلة العقلية؛ فالأنبياء كمّـلوا الفطرة، وبصّروا الخلق؛ كما تقدم فـي صفة محمد ﷺ ؛ **أن الله يفتـح به أعينًا عمـيًا، وآذانًا صمًا، وقلوبًا غلفًا** [١].

ومخالفوهم يُفسدون الحس والعقل، كما أفسدوا الأدلة السمعية.

والحسُّ والعقل بهما تُعرف الأدلة.

والطرق ثلاثة: الحس، والعقل، والخبر.

فمخالفوا الأنبياء أفسدوا هذا، وهذا، وهذا.

مخالفوا الأنبياء قسمان

أما إفسادهم لما جاء عن الأنبياء: فظـاهرٌ، وإما إفسادهم للحس والعقل فإنهم قسمان:

- قسمٌ أصحابُ خوارق حسية؛ كالسحرة، والكهان، وضلاّل العباد.
- وقسْمٌ أصحابُ كلامٍ واستدلال بالقياس بالقياس والمعقول.

وكلٌّ منهما يُفسد الحس والعقل.

أصحاب الحال الشيطاني

أما أصحابُ الحالِ الشيطاني: فقد عُرف أن السحر يُغير الحس والعقل،

(١) تقدّم وهو صحيح؛ كما في (ص: ٧٢٣).

حتى يخُيَّل إلى الإنسان الشيء بخلاف ما هو. وكذلك سائر الخوارق الشيطانية، لا تأتي إلا مع نوعٍ فسادٍ في الحس أو العقل؛ كالمؤلَّهين الذين لا تأتيهم إلا مع زوال عقولهم، وآخرين لا تأتيهم إلا في الظلام، وآخرين يتمثل لهم الجنُّ في صورة الإنس، فيظنون أنهم إنس، أو يرونهم مثال الشيء؛ فيظنون أن الذي رأوه هو الشيء نفسه ، أو يُسمعونهم صوتًا يُشبه صوت من يعرفونه، فيظنون أنه صوتُ ذلك المعروف عندهم.

وهذا كثيرٌ موجودٌ في أهل العبادات البدْعية التي فيها نوعٌ من الشرْك ومخالفة للشريعة.

أصحاب الكلام والمقال البهتاني

وأما أصحابُ الكلامِ والمقالِ البهتاني؛ فإنهم بنوا أصولهم العقلية، وأصول دينهم الذي ابتدعوه على مخالفة الحس والعقل.

أصل كلام أهل الكلام

فأهل الكلام أصلُ كلامهم في الجواهر والأعراضِ مبنيٌّ على مخالفة الحس والعقل؛ فإنهم يقولون: إنا لا نشهد، بل ولا نعلم في زماننا حدوثَ شيء من الأعيان القائمة بنفسها، بل كلُّ ما يشهدُ حدوثَهُ؛ بل كل ما حدث من قبل أن يُخلق آدم؛ إنما يحدثُ أعراضٌ في الجواهر التي هي باقيةٌ، لا تستحيل قط، بل تجتمع وتتفرق.

والخلقُ عندهم؛ الموجود في زماننا، وقبلَ زماننا؛ إنما هو جمعٌ وتفريق، لا ابتداع عينٍ، وجوهر قائم بنفسه؛ ولا خلق لشيء قائم بنفسه؛ لا إنسان، ولا غيره، وإنما يخلق أعراضًا، ويقولون: إن كل ما نشاهده من الأعيان فإنها مركبة من جواهر، كلُّ جوهر منها لا يتميز يمينه عن شماله؛ وهذا مخالفةٌ للحسِّ والعقل كالأول.

ويقول كثيرٌ منهم: إن الأعراض لا تبقى زمانين، ويقولون: إنه لا يفنى ويعدم في زماننا شيءٌ من الأعيان، بل كما لا يحدث شيءٌ من الأعيان، لا يفنى شيءٌ من الأعيان.

فهذا أصلُ علمهم، ودينهم، ومعقولِهم الذي بنو عليه حدوثَ العالم، وإثباتَ الصانع؛ وهو مخالفٌ للحس والعقل.

ويقولُ الذين يُثبتون الجوهر الفرد: إن الفلك والرحاء، وغيرَهُما يتفكك كلما استدار.

ويقول كثيرٌ منهم: إن كلَّ شيء فإنه يمكن رؤيته، وسمعهُ، ولمسهُ؛ إلى غير ذلك من الأمور التي جعلوها أصول علمهم ودينهم؛ وهي مكابرةٌ للحسُ والعقلِ.

الفلاسفة أضل من المتكلمين فيجعلون ما في الذهن ثابتًا في الخارج

والمتفلسفة أضلُّ من هؤلاء، فإنهم يجعلون ما في الذهن ثابتًا في الخارج؛ فيدّعون أن ما يتصوره العقل من المعاني الغائبة الكلية موجودةٌ في الجواهر، قائمةٌ بأنفسها؛ إما مجردة عن الأعيان، وإما مقترنة بها؛ وكذلك العدد، والمقدار، والخلاء، والدهر، والمادة: يدَّعون وجود ذلك في الخارج.

وكذلك ما يُثبتونه من العقول، والعلَّة الأولى الذي يُسمِّيه متأخروهم «واجب الوجود».

وعامة ما يُثبتونه من العقليات، إنما يوجد في الذهن، فالذي لا ريب في وجوده: نفسُ الإنسان، وما يقوم بها، ثم ظنوا ما يقوم بها من العقليات موجودًا في الخارج.

الفلاسفة أصول علمهم العقليات. والمتكلمون أصول علمهم الحسيات.

فكان إفسادهم للعقل أعظم، كما أن إفساد المتكلِّمين للحسِّ أعظمُ.

مع أن هؤلاء المتفلسفة عمدتهم هي العلوم العقلية، والعقليات عندهم أصح من الحسيات، وأولئك المتكلِّمون أصولُ علمهم هي الحسّيات، ثم يستدلُّون بها على العقليات، وبسطُ هذه الأمور له موضعٌ آخر.

● **والمقصود هنا:** التنبيهُ على أن من خالف الأنبـياء، فإنه كما أنه مُكذِّبٌ لما جاؤوا به من النبوة والسمع، فهـو مخالفٌ للحسِّ والعقل؛ فقد فسَدَ عليه الأدلة العقلية والنقلية؛ والله سبحانه وتعالى أعلم(١).

(١) تم الجزء الثاني والأخير من الكتاب، وأسأل الله أن يبارك فيه وأن يجعله لمؤلفه ومحققه وقارئه ذخرًا يوم الدين، والحمد لله رب العالمين.

وكتبه

ابو عبد الله محمد بن العفيفي
منية سمنود ـ الدقهلية ـ مصر
هاتف : ٠٤٠/٢٩٦٥٢٩١

○ الفهارس العامَّة ○

لكتاب النبوات
لشيخ الإسلام ابن تيمية
ـ رحمه الله تعالى ـ

١ ـ فهرس للفوائد المجموعة من التعليقات للمحقق.

٢ ـ فهرس الأحاديث.

٣ ـ فهرس الآثار.

٤ ـ فهرس الموضوعات:

(أ) فهرس صنعه المحقق[١].

(ب) فهرس صنعه العلامة الفقي.

---

(١) وهذا النوع قد أثبتُّ فيه جملة أبواب من عمل الدكتور الطويان سدّده المنان سبحانه.

(١)

الفوائد المجموعة
والدرر المنثورة

في

«التعليقات على النبوات»

وكتبها

أبو عبد الله محمد بن العفيفي

○ مسائل فقهية وعقدية ○

المسائل	الصفحة
١ ـ تعريف الخارق	٩٠
٢ ـ عقيدة المعتزلة	٩١
٣ ـ كرامات الأولياء	٩٢
٤ ـ الحكايات في الكرامات والموقف منها	٩٣
٥ ـ كرامة لعمر رضي الله عنه	٩٦ و٩٧
٦ ـ معنى الإرهاص	١٠٠
٧ ـ عصمة الأنبياء	١٠١
٨ ـ معنى العرض	١٠٣
٩ ـ المعراج	١٠٤
١٠ ـ أيُّ الآيات أوّل: طلوع الشمس أم خروج الدابة والنار	١٠٧
١١ ـ شهداء الله في الأرض	١١٣
١٢ ـ تفسير البشري في الدنيا	١١٨
١٣ ـ من هم التتار	١٢٠
١٤ ـ النبي الملك والعبد الرسول	١٢٢

○ رجالٌ وتراجم ○

○ سماعاتٌ وفوائد حديثية ○

(٢)

فهرسُ الأحاديثِ (١)

الواردة في أصل الكتاب وحواشيه

(١) أدمجتُ أحاديث الأصل مع أحاديث الحاشية في فهرست هذا الكتاب وميزت أحاديث الحاشية بـ(ح)
● ثم لم أراعِ ترتيب الأحاديث ولا الآثار على حروف الهجاء فالأحاديث التي تحت حرف الألف ثم الباء ثم. . إلى الياء غير مرتبة؛ فليتنبه.

حرف الألف

مسلسل	الصفحة
١ ـ أن النبي سئل عن الكهان	٦٧٧
٢ ـ إنكم تقاتلون الترك صغار الأعين ذلف الأنف ينتعلون. . .	١٠٦
٣ ـ أن النبي صلى الله عليه وعلى. آله وصحبه. وسلم مُرَّ عليه بجنازة فأثنوا عليها خيرًا. . وفيه. . أثم عليها خيرًا وفيه. . أنتم شهداء الله في الأرض».	١١٢
٤ ـ إذا سمعت جيرانك يقولون: أحسنت، فقد أحسنت. . .	١١٣
٤ ـ أما هو فقد أتاه اليقين من ربه (في شأن عثمان بن مظعون)	١١٩
٥ ـ اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت. . .	٢٣١
٦ ـ إنك لا تستطيعه ولا تطيقه. . . اللهم آتنا في الدنيا حسنة	٢٣٥
٨ ـ إذا أحب الله عبدًا نادى جبريل إني أحب فلانًا	٢٤٤ و٢٤٥
١٠ ـ أول ما خلق الله العقل	٢٨٠
١١ ـ إن الله زوي الأرض مشارقها ومغاربها	٢٨٩
١٢ ـ أن النبي ﷺ كان إذا قام من الليل يقول: اللهم ربِ جبريل وميكائيل وإسرافيل فاطر السموات والأرض	٢٩٥
١٣ ـ إنما هلك من كان قبلكم باختلافهم في الكتاب	٢٩٩
١٤ ـ ألا إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد	٥٤٩

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الذال

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف العين

حرف الفاء

حرف الصاد

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام ولا

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

* فهرس الأحاديث القدسية:

(٣)

فهرس

آثار الصحابة والتابعين [١]

---

(١) لم يُراعَ كذلك الترتيب فيه حسب حروف الهجاء لظروفٍ ما، والله المستعان.
● تنبيه:
ربما توسعت في هذا الفهرس في إيراد أقوال لمن دون التابعين وغيرهم.

(٤)

(أ) فهرس الموضوعات

○ فهرس الموضوعات ○

○ فهرس الموضوعات ○

تم الفهرس وربنا المحمود

ولـــه المكـــارم والعـــلا والجـــود

وكتبه أبو عبد الله محمد بن العفيفي

م. سمنود/ دقهلية

بمصر

هاتف ٢٩٦٥٢٩١ / ٠٤٠

(٥)

(ب) فهرسُ الموضوعات

من صُنْع الشيخِ الفقي ـ رحمه الله تعالى [(١)].

---

(١) وهو فهرس تفصيلي موضحٌ لفصول الكتاب، وقد أثبتُّه هنا لفائدته.

فهرس

الموضوع	الصفحة

الله عنه أكثر

- **بيان** أن قوله تعالى: ﴿**قل ما كنت بدعًا من الرسل**﴾ يبين أن هذا الجنس من الناس وهم الرسل قد تقدم له نظراء وعرف الناس جنس ما جاءوا به.
- **بيان** أن الناس يعرفون أن السحرة لهم خوارق ولهذا كانوا إذا طعنوا في الرسل اتهموهم بالسحر فلما كانت النبوة معلومة لهم والسحر معلومًا لهم بين الله الفرق بين أفعال الأنبياء وأفعال السحرة إلخ.
- **بيان** الفرق بين خوارق السحرة وخوارق الأنبياء وأفعال السحرة وأفعال الأنبياء وأن أهم خصائص المعجزة أن تكون خارجة عن مقدور جميع البشر ولا يمكن معارضتها.
- **بيان** أن من لم يعرف وجود الأنبياء في العالم وخصائصهم كما يعرف السحرة لم يكن لهم في الأنبياء كلام كأرسطو وأتباعه.
- **بيان** السبب في أن أرسطو لم يعلم بالأنبياء مع أن موسى عليه السلام كان موجودًا قبله.
- **بيان** أن طريق معرفة الأنبياء وخصائصهم يكون بمعرفة أخبارهم واستقراء أحوالهم ولهذا قرر الله أمر النبوة في القرآن وإثبات جنسها بما رقع في العالم من قصص الأنبياء وما وقع لهم مع من كذبهم من أممهم.
- **بيان أن الله تعالى** لما أراد تقرير جنس ما جاء به محمد ﷺ مثله

وضرورة العقل.

- بيان بطلان كلام الكلابية الذي بنوه على هذه الطريقة.
- بيان أن هذه الطريقة في الاستدلال كانت سببًا في افتراق الأمة.
- بيان أن كثيرًا من أهل النظر جعلوا ما أوجبوه من النظر الذي هو أصل الدين هذه الطريقة المبتدعة التي ذمها سلف الأمة لذلك عدل منها بعض المتأخرين منهم كالغزالي والرازي والتبس الأمر على بعض آخر فسلكوا مسلك الملاحدة من الحكماء وأظهروه في قالب المكاشفة إلخ

إنكار جمهور المتكلمين أن يكون الله محبًا أو محبوبًا

- بيان أن الله لا يحب الشرك
- بيان أن الذين أعرضوا عن طريق الرسول في العلم والعمل وقعوا في الضلال.
- بيان أن النظر الشرعي هو النظر فيما بعث به الرسول من الآيات والهدى.

بيان أن الاستدلال على الخالق بخلق الانسان طريقة عقلية صحيحة وشرعية دل عليها القرآن. وهذا من أهم مباحث هذا الكتاب البديع وبيان أن ما اصطلح عليه الأصوليون في تسميتهم الدليل الشرعي ما دل بمجرد خبر الرسول اصطلاح قاصر.

- بيان أن الأشعري استدل بخلق الإنسان لكنه سلك طريقة الجهمية.

- **بيان** أن الفلاسفة مع كونهم أشد مخالفة للسمع والعقل من هؤلاء عرفوا فساد طريقتهم فاستطالوا عليهم وسلكوا طريق الامكان والوجوب وهو فاسد وقد بين المصنف وجه فساده
- **نقض** المصنف لقول الفلاسفة أن الجواهر لا تفنى.
- **وبيان** أن نظريات الطبيعة والكيمياء في هذا العصر أيدت ما ذهب إليه قدس سره.
- **بيان** أن الطرق التي ذكرها الرازي في الاستدلال على إثبات الصانع باطلة لأنها مبنية على باطل بيان أن الرازي لما استدل بحدوث الصفات سماها طريقة القرآن مع أن طريقة القرآن هي الاستدلال بآيات الله في خلق الأعيان والاعراض إلخ.
- **بيان** أن أصل الاشتباه في هذا المقام أن خلق الشيء في مادة هل هو خلق عين أم أحداث اجتماع وافتراق والناس في هذا على ثلاث فرق ـ بيان طريقة الجهمية في أن الجسم مركب من مادة وصورة.
- **بيان** أن الجسم مركب عند الفلاسفة من مادة وصورة وأن المادة باقية والصور الجوهرية تتعاقب عليها وبيان أن الجواهر حادثة عند أهل الملل ولكن الدليل الذي استدلوا به وهو أن ما لا يخلو من الحوادث فهو حادث باطل
فلا دليل عندهم على حدوثها
- **بيان** أن المتكلمين لما جهلو النشأة الأولى للإنسان وقالوا ببقاء المادة وفناء الاعراض اضطربوا في المعاد والبعث هل هو جمع هذه

الأجزاء بعد تفريقها أو اعادتها بعد انعدامها إلخ.

● **بيان** خطأ الفلاسفة في توهمهم أن المادة باقية بعينها وإنما تفسد صورتها

فساد قول الأشاعرة في أن خلق الله للكائنات عبارة عن خلق الأعراض فقط وهي تفنى بنفسها إلخ

● **بيان** أن من عرف النشأة الأولى عرف النشأة الأخرى

فساد قود الجهمية في أن الله لا يحدث شيئًا من شيء لا جوهرًا ولا عرضًا

● **بيان** الحق في إحداث الأشياء ونقض كلام الجهمية.

● **بيان** أن خاصية الخلق هي قلب جنس إلى جنس

اختلاف الناس في الامكان هل هو صفة خارجية لا بد لها من محل أو حكم عقلي لا يفتقر إلى غير الذهن وتحقيق المقام في ذلك

● **بيان** أن الجهمية غلطوا فيما جاء به الشرع كما غلطوا في المعقولات

● **وبيان** الاشتباه فيما يسمى شرعًا وعقلاً وسمعًا

● **بيان** ما أدخله الجهمية في الشرع وليس منه

● **بيان** أن التبديل نوعان أحدهما مناقضة خبر الرسول والثاني مخالفة أمره

● **بيان** أن القول الحق هو القرآن والحال الحق هو الأيمان

● **بيان** أن الكتاب والسنة ناطقان بأن الله يحب ويحب خلافًا للجهمية وأدلة ذلك

تم والحمد لله،،